عبد اللطيف بن علي السلطاني

في سبيل العقيدة الإسلامية

الطبعة الأولى

1402 هـ _ 1982 م

نشر



هذا الكتاب

○ العقيدة الاسلاميّة عقد أبرمه المسلم بينه وبين خالقه، وأوثقه بالايمان بكل ما أخبر به خالقه.

○ العقيدة الاسلاميّة هى العقيدة الصحيحة السالمة من الدخل والغش والبهتان، فتكوّن صاحبها تكوينا سليما فترقّى روحه وتوصّلها إلى الهدف الاسمى من هذه الحياة: "وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" وتجعل صاحبها ذا مُثل عليا وقوّة عظيمة حتى يصير كأنّه طود راسخ وعَلَم شامخ. وقليل هم أهلها وأقلّ منهم أنصارها.

○ وفى هذا الكتاب تتجلّى العقيدة الاسلاميّة بأجلى تجلّيها فى نفر من أولئكم الرجال الابرار النزهاء، فبهم قام الحقّ وثبت وأرسى قواعده على الأرض الصلبة فرست فبقيت مواقفهم فى نصر الحقّ مذكورة فهى أنجع الأدوية فى علاج أمراض البشريّة وأنجح الطرق والوسائل للكمالات النفسيّة.

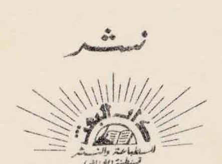
25 د.ج.

عبد اللطيف بن علي السلطاني

في سبيل العقيدة الإسلامية

الطبعة الأولى
1402 هـ ـ 1982 م

نشر



الإفتتاح



إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا

الآية 96 من سورة مريم عليها السلام

جمعت هذه الآية بين الايمان بقواعده فى قوله : أمنوا وبين الاسلام بقواعده في قوله : وعملوا الصالحات.

الإهداء

إلى أرواح المعذبين والمحرومين في مجتمعهم الإسلامي،

إلى كل مؤمن بربه كامل في إيمانه،

إلى كل مسلم صادق في إسلامه،

إلى الأحرار غير المستعبدين في كل مكان

أهدي كتابي هذا

ليثبتوا ويثبتوا فوق أرضهم أقدامهم،

من أجل الحق والعقيدة الإسلامية،

وليفتحوا أبصارهم على ماضيهم، وينيروا بالإسلام بصائرهم.

المؤلف

توجيه وارشاد :

الحمد لله ولى المؤمنين ، ومسبغ النعم على الخلق أجمعين ، فمن شكرها وأدى حقها عد فى جماعة المؤمنين ، ومن جحدها وأنكرها وكفر بها حشر فى زمرة الاغبياء الجاهلين ، والجاحدين الكافرين .

والصلاة والسلام على امام المرسلين ، وخاتم رسل الله أجمعين ، محمد بن عبد الله أكرم رسل الله المعظمين ، وعلى آلهم ومن تبع هداهم ، واستمر فى سيره على الطريقة المثلى الى يوم الدين ، ولم يخرج عنها الى بنيات الطريق ، بل حافظ على السير فى خطها المستقيم ، عاملا ، وناصرا ، وداعيا ، ومدافعا ، فكان من الناجين ، فالله وحده ناصر الحق وأهله ، على الباطل وجنده ، وهو القائل : «وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ» والقائل : « اَللّٰهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » .

وبعد فان من حق الله الخلاق العليم على عباده ان يعبدوه وحده ولا يشركوا معه غيره ، وان يطيعوه ولا يخالفوا له أمرا ولا نهيا ، ولا يخافوا سواه ، أولئك

هـــم الذين استنارت عقولهم بنور التوفيق ، فوهبوا حياتهم وكل ما يملكون ، الى ما يغرس فى نفوس عباد الله حبه وطاعته ، وذلك بارشادهم الى سلوك صراط الله المستقيم ، والسبيل الواضح القويم ، وهو ديـن الله الاسلام الذى لا يقبل من أحد غيره « وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ». اذ هو دين الله الى البشر اجمعين ، وشريعته السمحة البينة ، عقيدة وعملا ، فقد كثرت عقائد الزيـــغ والضلال والبهتان ، وانتشر دعاتها فى كـــل مكان ، يصدون الناس عن سبيل الله ، ويوجهونهم شطـــر سبيل الشيطان ، وقد وجدوا فى بعض الضالين مـــن أعانهم على نشر باطلهم فى المجتمعات ، وبلغ بهم هذا الى المجتمعات الاسلامية ، والاوساط الطلابية ، والمفروض فيهم ان يكونوا على جانب من الحذر والنباهة ، ولكنهم اغتروا بمعسول الكلام المزيف ، والبس عليهم الامر ، وانطلت عليهم الحيل ، وانها ـ والله ـ لسبة شنيعة ، وكارثة خطيرة ، لحقت بشعبنا المسلم ، وشبابنا المرجو للمهمات بعد ان استرد مجده السليب ، ووطنه العزيز من يد الغاصب الغريب ، ذلك هو شعبنا الجزائرى الذى ما عرف فى تاريخه القديم الا بصلابة عوده ، وقـــوة عقيدته الاسلامية ، حتى فى احلك ليالى الاستعمـــار ، فقد كان له رصيد وافر من ذخيرة عقيـــدة التوحيد ، فاستنار فى حياته بنور الاسلام وعقيدة التوحيـــد ، وبهذا ـ فقط ـ حافظ على شخصيته في دينه وعقيدته،

وعلى كل مميزاته ومميزات شخصيته الاسلامية ، مـــن اخلاق فاضلة ، وسجايا حميدة ، ذات الطابع الاسلامى، من حياء وكرم ، وغيرة ونجدة ، فى الملمات والمهمات ، ولم يندمج فيما حاط به من جماعات الضلال ، وتمسك بحبل الله المتين ، واعتصم به وعقد العزم على ان لا يسل يده منه مهما نزل به ما نزل من صارفات الايام واحداثها فنجا ـ والفضل لله ـ من كل محاولات المستعمر الكثيرة، التى كم حاول واجتهد فى صرفه عن دينه وعقيدته ، فباء فى كل محاولاته بالفشل والخيبة ، واستمر شعبنا يقاوم الدخيل بتلك العقيدة ، الى ان استرد أرضـــه وشرفه وحريته من غاصبها الدخيل ، وحررها من كل شيطان مارد .

ومن المؤسف جدا أن تظهر فى أوساط شباب هذا الشعب المسلم شرذمة قليلة حقيرة ادعت انها من رجال العلم الحريصين على نفع الوطن وأهله ، فتفاءل الناس بها وقالوا : عسى ولعل أن نرى منها قولا صحيحا وسلوكا سليما ، غير ان الواقع أبطل هذا التفاؤل وأظهر أنها ما اتخذت العلم لباسا الا للتدليس وبث الالحاد والبلبلة فى أوساط الشباب ـ اذ يصعب عليها جلب الكبـــار المتشبعين بالتعاليم الصحيحة الى ضلالها والحادها ـ فهى مسخرة ومسيرة ومأجورة من قبل اسيادها الملاحدة الذين يريدون مسخ شباب الامة الجزائرية المسلمة ، ووجدت مساندة من بعض ابناء هذا الوطن ممن تغذوا بلبن المستعمر الكافر ، وهم فى حقيقتهـــم لا دين لهـم ،

ولا وطنية تعصمهم ، ولا ضمير يؤنبهم ، ولا هدف لهم سوى حب الشهرة واشباع الشهوات ، وتحريف الشباب الجزائرى المسلم عن المنهج الاقوم ، وفتح المجال لهذه الشرذمة فأطنبت فى الكذب والتـــزوير والبهتان ، وأصدرت منشورات لطخت بياضها بســواد الكـــذب والبهتان ، كما لطخت بياض صحائفها ، فجاءت تلـك الوريقات الملطخة « وخذة » وكارثة اصيبت بها امتنا فى شبابها ! ومن العجب والوقاحة انها صارت تعارض نشر الكتب الاسلامية فى وطن الاسلام !! وما فكرت انها فى وطن اسلامى عريق فى اسلامه ، غيور عن معتقداته، وهى واعوانها ومسيروها والحارسون عليها والراضون عنها فى ذلك شركاء .

فالبرغم من تشجيع هذه الشرذمة الضالة ، ورغـم مساندتها المطلقة، فقد خابت فى كل محاولاتها لايقاف تيار الاتجاه الاسلامى ، فركضت وراء سرابها ما شاء لها الشيطان واعوانه ان تركض ، وكذبت ما شاء لها الهوى ان تكذب ، وشوشت على المصلين والعباد فى بيوت الله ، الى ان اطلقت لسانها وأقلامها المأجورة فى أعـز عزيز على الامة الاسلامية ، والى ما فى قلبها من عقيدة التوحيد ، محاولة انتزاعها واقتلاع جذورها ، ظنا منها ان هذا ميسور وسهل ، ولكن هيهات ثم هيهات !! فقد اصطدمت بالواقع وباءت بالفشل الذريع والخيبة المرة.

فتنبهوا أيها المسلمون الى هذا ولا تغفلوا عما يراد بكم وبالوطن العزيز .

فالى شبابنا المسلم الواعى لما يجب عليه ، هـــذه الفصول من حياة قادة التوحيد وأنصـار عقيدتـــه ، والادلاء على الخير واصلاح النفوس ، وهم ما بين رسول من رسل الله الكرام عليهم الصلاة والسلام ـ فقـــد أمرنا خالقنا بالتأسى بهم ـ وبين مؤمن بدعوتهم ، فأخذ عنهم خالص العقيدة الصحيحة ، وزبدة الايمان الصحيح فى الصدق والوفاء للعقيدة ، والاقتداء بعباده الصالحين، فاصبروا ـ أيها الابناء البررة ـ على ما يصيبكم فــى سبيل عقيدتكم كما صبروا ، وستفوزون بالنصر كما فـازوا وكونوا لعقيدتكم الصحيحة تكن لكـم ، تمسكوا بها ودافعوا عنها عدوان الالحاد والملحدين فانكم أنصار الحق ودعاته ، وهم انما يدافعون عن الباطل ويدعون اليه ، تماما كما كان مشركو قريش يفعلون فى دفاعهم عن أوثانهم ، فما أشبه اليوم بالامس ، والليلة البارحة، واثبتوا كما ثبت أسلافكـــم الاولون ، فان العاقبـــة للصابرين الثابتين ، والنصر انما يناله الصادقـــون المخلصون ، والهزيمة والخذلان من نصيب المعتديـــن الظالمين ، واجعلوا نصب أعينكم قول الشاعر الحكيم حين قال :

قـــف دون رايك فى الحياة مجاهـــدا
ان الحيـــــاة عقيـــدة وجهـــــاد

واذكروا ـ أيها الابناء ـ موقف رسول الله ـ ابراهيم الخليل ـ عليه السلام من أجل عقيدته ، التوحيدية ،

حين قال : **حَسْبِيَ ٱللَّـهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ** ، فهل تركه ربه للظالمين ؟؟ وهل تخلى عنه وتركه ولـم ينصره ؟ حـين ارادوا به كيدا فجعلهم ربه الاخسرين ؟ كلا وتفكروا ـ جيدا ـ فى موقف أصحاب الاخدود ، وهم يعرضون على النار الواحد بعد الواحد ، تلك النار التى أوقدها لهم الظالمون ، وهل خافوها ؟ واعتبروا بصلابة عـود الصحابى « بـلال » فى عقيدته ، وظهـره تحت سياط مشركى قريش فى حر الظهيرة وفى بطحاء مكة ، يريدون أن ينتزعوا منه عقيدة التوحيد ، ليكفر بالله وبرسوله محمد صلى اللـه عليه وسلم ، ويؤمن باللات والعـزى ويكون من المشركين ، وهل أجابهم الى ذلك ؟ كلا بل أخذ يقول ويردد . « **أَحَـدٌ أَحَـدٌ** » .

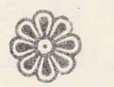
لهذا يجب عـلى العلماء أمام هذا الالحاد الذى يتزايد خطره وشره يوما بعد يـوم محاولا بث عقيدته الالحادية يجب عليهم اليقظة والانتباه والعمل ، لدرء هذا الخطر بما يليق به من نشر الكتب التى تقاومه وتبطل عملـه اذ هو لا يؤمن برب ولا بخالق ولا ببعث ، ولا بما يأتى بعده من حساب وجزاء ، ولا بنار ولا بجنة ، ولا بالحياة الاخرى الدائمة ، فهو مادى ولا يؤمن الا بالمادة ، اذ هو يسعى بكـل قواه أن ينجح فى أعماله الاجرامية هذه ، فعلى العلماء أن يحاربوا الالحاد بجميع أشكاله وأنواعه وأساليبه ، فنحن مسلمون مؤمنون ، نؤمن بما جاءنا من عند اللـه ، فنؤمن بالبعث وبالحياة الاخرى بعد هـذه الحيـاة .

هـذا هـو توجيهنا لشبابنا ولكهـولنا ولشيـوخنا ، فالسكوت عن الالحاد ودعوته ، وهى تنشر بيننا،جريمة كبيرة يقترفها من يسكت عنها ، ترضية لجانب فلان أو فلان ، فالحق واحد ، والاسلام حـق ، والالحاد باطل ، (**وَٱلْإِسْلَامُ يَعْلُو وَلَا يُعْلَى**) متى وجد أنصارا مخلصين ، ومؤمنين به صادقين .

ونرجو الله ربنا ومولانا أن يقوى ايماننا ، ويتقبل منا أعمالنا ، وأن يثيبنا عليها بقدر اخلاصنا لعقيدتنا ، وأن ينصر جنـد الاسلام ، جند الحق والهداية والسلام أينما كانوا ، وحسبنا اللـه ونعـم الوكيل ، ولا حـول ولا قوة الا بالله العلى العظيم . فانا كما قال القائل :

كتبت وقـد أيقنت يـوم كتابـى
بأن يـدى تفنى ويبقـى كتابـها

فان كتبـت خـيرا ستجزى بمثلـه
وان كتبـت سـوءا عليها كتابـها



تمهيد :

قال بعض علماء الاسلام ومنهم (عبد الرحمن ابن مهدى) الذى كان من الملازمين للامام مالك ، كما كان من أعلم الناس بالحديث : ينبغى لمن أراد أن يصنف كتابا ـ دينيا ـ ان يبدأه بالحديث الصحيح الذى رواه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وهو قوله : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **(إِنَّمَا ٱلْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ ٱمْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ)** . أخرجه الامامان البخارى ومسلم فى صحيحهما ، ففى هذا الحديث تنبيه لطالب العلم الدينى الى تصحيح نيته ، لان الجزاء على الاعمال انما يكون على حسب نية العامل ، اذ لا يصح وضوء ولا صلاة ولا صوم ولا جهاد ولا أى شىء من جميع الطاعات الالمن نوى وقصد انه أراد بعمله طاعة الله عز وجل ، اما اذا تجرد العمل من النية فانه يكون لغوا لا ثواب عليه ولا جزاء فيه ، اذ بالنية والقصد تتميز الاعمال الدينية عن غيرها من سائر الاعمال ، فالنية عنصر أساسى فى

صحة الاعمال وبطلانها ، فليس عمل المنافق الذى يحضر مصلى المسلمين ويصلى معهم من غير وضوء ـ وهو غير مؤمن بها ـ كمن يصليها بنية فعل الواجب الذى أوجبه الله عليه ، لانه مؤمن بوجوبها عليه والى هذا تشير الآية الكريمة وهي قوله تعالى : (**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ**) .

وقد جرى بعض العلماء على هذا العمل من تقديم هذا الحديث على غيره ، منهم الامام البخارى فى صحيحه ، حيث ابتدأه بالحديث المذكور ، وقد ذكره فى سبعة مواضع من صحيحه للمناسبة .

ونظرا لكثرة فوائد هذا الحديث وصحته فقد قال فيه الامام الشافعى ـ رحمه الله ـ وغيره : هو ثلث الاسلام ، كما قال : انه يدخل فى سبعين بابا من أبواب الفقه ، وقال آخرون من العلماء : هو ربع الاسلام ، لما رأوا فيه من ان أصول الاسلام التى بنيت عليها أحكامه ترجع الى أربعة أحاديث نبوية ، أولها حديث عمر هذا (**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**) ، وثانيها حديث أبى هريرة رضى الله عنه : (**مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ**) ، وثالثها حديث النعمان بن بشير رضى الله عنه : (**إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ**) ، ورابعها حديث سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه : (**اِزْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ الخ**) .
وقيل غير هذه الاربعة ، وقد جمعها الحافظ أبو الحسن طاهر بن معوذ المعافرى الاشبيلى الاندلسى فقال :

عُمْدَةُ الدِّينِ عِنْدَنَا كَلِمَاتٌ
أَرْبَعٌ مِنْ كَلَامِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ
اِتَّقِ الشُّبُهَاتِ ، وَازْهَدْ ، وَدَعْ مَا
لَيْسَ يَعْنِيكَ ، وَاعْمَلَنَّ بِنِيَّةِ

وقيل قائلها الامام الشافعى ، وحديث انما الأعمال بالنيات المذكور حديث صحيح ـ كما مر ـ فهو من الاحاديث التى يدور عليها التكليف الدينى ، تعددت طرق رواياته ، وكلها تتصل بمن سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فلم يصح الا من روايته هو عن النبى صلى الله عليه وسلم ، واتفق العلماء على صحته لثقة رواته ، وتلقوه بالقبول ، واستخرجوا منه أنواعا شتى من أصول الاحكام والتوجيه ، وبه صدر الامام البخارى صحيحه ـ كما تقدم قريبا ـ واقامه مقام الخطبة لصحيحه حسبما أشار اليه من كتب عليه وشرحه وهذا العمل منه ـ رحمه الله ـ اشارة الى ان كل عمل أو قول لا يراد به وجه الله فهو لغو وباطل ، لا ثمرة له ولا فائدة فيه ، لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ، مثل الذى يصلى رياء وسمعة ، من حيث لم يقصد بصلاته طاعة الله بفعل ما أوجبه عليه ، فان صلاته لا تنفعه ولا تنهاه عن الفحشاء والمنكر ، لان هذا من ثمرتها ـ وان تردد فاعلها عن المساجد ـ وكمن يريد ـ باسم المجاهد وبطاقته ـ ان يكون مجاهدا له من الحقوق ما للمجاهدين فى سبيل الله ، ولم تكن له نية الجهاد فى سبيل الله ، أو لم يجاهد

أصلا ، فحشر نفسه فى زمـرة المجاهدين ، بالرغم مما وضحه القرآن وبينه رسول اللـه صلى الله عليه وسلم بفصيح العبارة ، فهو مجاهد ـ بالسيف ـ وبالرغم على الاسلام والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم ، وفى الوقت نفسه رأيناه لم يستجب لما طلبه منـه الاسلام ، بفعل ما فرضه عليه ، وترك ما نهاه عنه ، من الاستقامة عـلى شرعه ، بتحليل حـلاله ، وتحريم حرامه ، والقيام بواجباته ، والكف عـن منهياته ، فهـو تارك للواجبات ـ كالصلاة مثـلا ـ منتهك للمحرمات ـ كشرب الخمـر مثلا ـ فكيف يعقل أو يتصور متصور انه من المجاهدين في سبيل الله ، وهذا محال تصوره في الاسلام ، ومن قال غير هذا فهو جاهل بالاسلام،ولم يفهم أحكام الاسلام أو سولت له نفسه الافتراء على الله الكذب ، اذ شتان بين الجهـاد والقتال! و «**إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ**»

هذا هو الحـق والصواب حب من حب وكره وكره ، وما سواه غش فى الاسلام ، والنبى صلى الله عليه وسلم قال : (**مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا**) ولا ينبغى لمن لا يفهم أحكام الاسلام ان يقحم نفسه بين العلماء ـ ولـو لقبه العامة بالشيخ ـ لانه يكتسب بذلك اثما ، ويكون سبة وعارا على الشريعة الاسلامية ، وكارثة تنزل بها ، وعرضة لمسخ الله الى شر مخلوقاته ، فقد كثر ادعياء العلم حتى صاروا يتكلمون فى كل شيء ، ولو فيما لا يعرفون، كما سمعناهم يتكلمون فيما ليس لهم به علم . قال جرير :

وَابْنُ اللَّبُونِ إِذَا مَا لُزَّ فِى قَرَنٍ ... لَمْ يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ الْبُزْلِ الْقَنَاعِيسِ

ولمنزلة حديث عمر المتقدم (**إِنَّمَا ٱلْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ الخ**) ولمكانته عند من عرفوا منزلته في التشريع الاسلامى قال الامام عبد الرحمن بن مهدى ـ المتقدم الذكر ـ : لو صنفت كتابا فيه أبواب لجعلت حديث عمر هذا فى كل باب من أبوابه .

اما الامام مسلم ـ رحمه الله ـ فقد أورده فى كتاب الجهاد من صحيحه ، وكأنه أراد بعمله هذا ان يشير الى ان البعض ممن يدعون الجهاد ـ ولـم تكن لهم نيـة فيه ـ لا نصيب لهم فى ثمراته ، ولهذا نبههم الى ان النية فى العمل هى روحه ومخه، وبدونها فهو جسد ميت بلا روح.

وكلمة ـ انما ـ تفيد الحصر ، كما قال جمهور علماء العربية والاصول وغيرهم ، حيث قالوا : ان لفظة انما موضوعة للحصر ، فتثبت المذكور هـنا ـ وهـو قبـول الاعمال والجزاء عليها اذا عملت مصحوبة بالنية ، وتنفى ما سواها ، فكأنه قال : ان الاعمال تحسب وتقبل ويجازى عليها فاعلها اذا كانت بنيـة ، ولا تحسب ولا تقبل ولا جزاء عليها أذا تجردت منها،مثل سائر العبادات والطاعات جميعها كما مر،وتفصيل هذا فى كتب الفقه والحديث .

وبناء على ما جاء فى هذا الحديث فان الرسول صـلى الله عليه وسلم بين لأمته أنواعا ثلاثة ممن هاجروا من مكـة الى المدينة تاركين مكـة أرض الشرك ـ فى ذلك الوقت ـ الى المدينة أرض الاسلام ، وهم :

أ ـ مهاجر هاجر بنية وقصد تقوية حزب الله ونصره

وتأييد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى هذه النية غالب الصحابة رضوان الله عنهم اجمعين .

ب ـ ومهاجر هاجر بنية وقصد كسب الدنيا والمال ، لان من كان يتعامل معهم من المؤمنين فى مكة هاجروا الى المدينة ، فلحق بهم من أجل فائدته الدنيوية ، فلم يسعه المقام بعدهم فى مكة ، فلحق بهم لنيل مكاسب دنيوية ، لا تعود فائدتها الا عليه . وكان يغزو معهم لينال نصيبه من الغنيمة .

ج ـ ومهاجر آخر خطب امرأة ليتزوج بها ، تدعى (أم قيس) فابت ان تتزوجه ما دام فى مكة ، الا اذا هاجر الى المدينة ، فأجابها الى شرطها ، وهاجر الى المدينة من أجل الزواج بها ، وجاء فى الروايات عن الصحابة ان هذا المهاجر كان يعرف باسم (مهاجر أم قيس) فهذان الصنفان الاخيران من المهاجرين لم يكونا من المهاجرين لله ، لما بينا من انعدام النية فى هجرتهما ، فلم يفوزا بثواب الهجرة اذ الهجرة فى الشرع هى الخروج من أرض الكفر الى أرض الاسلام ، وفى وقتنا الحاضر انعكست هذه المعانى فصارت الهجرة تطلق على من هاجر من أرض الاسلام الى أرض الكفر لمقاصد سياسية وغيرها .

جاء فى الحكم الماثورة : (لو نفع علم بلا عمل لما ذم الله سبحانه أحبار وعلماء أهل الكتاب) و (لو نفع عمل بلا اخلاص لما ذم الله سبحانه المنافقين) .

نسأل الله العالم بالنيات ان يجعل نياتنا فى أعمالنا وأقوالنا خالصة له من كل شائبة تفسدها وتحبطها ، ونرجوه ان يجعلها خالصة لوجهه الكريم آمين .

تقديم :

العقيدة

العقيدة هى قوة عظيمة ، تحتل مكان الاحساس من الانسان ، فتهب لصاحبها الايمان بما يعتقده وشدة المقاومة لكل ما لا يتفق مع ما مالت اليه تلك العقيدة وارتضته لنفسها ، وهذا لتأييد ما عقد عليه صاحبها عزمه واختياره ، وتحول بينه وبين الضعف والخور والذوبان فى كل طارىء جديد ، وهذه الصفة احدى مميزاتها ، قال الشاعر المفلق الحطيئة :

أولئك قوم ان بنوا احسنوا البناء
وان عاهدوا أوفوا وان عاقدوا شدوا

فالعقيدة مأخوذة من العقد ، بمعنى اللى ، يقول القائل : عقدت الحبل فهو معقود ، فهذا فى الحسيات ، واما فى المعنويات فمعناها التعهد والالتزام ، ومن هذا جاءت عقدة النكاح والبيع والشراء وغير ذلك ، من العهود والعقود والالتزامات ، والعقد ـ بالكسر ـ هو الخيط ينظم فيه الخرز واللؤلؤ وغيرهما .

قال علماء اللغة العربية ـ فى مادتها ـ : عقد يعقد ـ بالكسر ـ عقدا وعقودا ، معناه : التزم بالعهد والعقد فيجب عليه الوفاء بما التزمه وعقده ، وتقول : تعاقد القوم على كذا بمعنى تعاهدوا والتزموا به ، ومنه قوله تعالى : **(يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ)** . قيل فى تفسيرها : هى العهود ، وقيل هى الفرائض التى التزموها وتحملوها بعقيدة التوحيد والاسلام .

والعقيدة هى الحكم الذى لا يقبل الشك فى نظر معتقده ، كما قال الجوهرى .

وفى الدين ما يقصد به الاعتقاد دون العمل ، كعقيدة وجود الله عز وجل ، واعتقد كذا بقلبه آمن به وصدق ، واعتقد الامر صدقه ، وعقد عليه قلبه وضميره وتدين به واتخذه دينا ، فأصحاب العقيدة هم من كانت لهم عقيدة عقدوا عليها قلوبهم ، فصارت أرواحهم ونفوسهم وحياتهم مبذولة بسخاء فى سبيل عقيدتهم ، فهم قد اشتروا بها ـ العقيدة ـ ما اعتقدوه ـ ودفعوها فداء وثمنا لها ـ وهى الغالية ـ فى سبيل بقائهم على عقيدتهم التى اعتقدوها وعقدوا عليها حياتهم ، ورضوا بما دفعوه فيها ، وذلك بثباتهم عليها وتمسكهم بها من غير ان يلزمهم بها احد ، أو يجبرهم عليها مجبر ، وهذا هو الايمان بالعقيدة .

وهذه فصول جمعتها من ملف حياة أبطال العقيدة الاسلامية الذين ظهروا مع ظهور دين الله الاسلام الخالد

تصلح لتربية النفوس وتوطينها عليها لكى تخوض معركة الحياة التى تجرى بين الايمان والالحاد ، فهى معارك ضارية من قديم الزمان الى اليوم والى ما بعد اليوم ويلزم مقاومة الالحاد بالعقيدة القوية ، فهى سلاح الانتصار الذى لا يغلب صاحبه ، جمعتها من قصص القرآن وكتب السيرة التى اهتمت بحياة أولئك الابطال وما نالهم من خصوم الاسلام ، واسميتها **(فى سبيل العقيدة الاسلامية)** فهى تتناول مواقف شجاعة وقفها أولئك الابطال فى وجوه أعداء الله والاديان السماوية ، مثلهم مثل كفار قريش الذين وقفوا فى وجه العقيدة الاسلامية والدعوة المحمدية ، وحاولوا بكل قواهم صد الناس عنها وصرفهم عن الاهتداء بهديها ، غير ان الله مكن لها فى الارض وثبتها بثبات أولئك المؤمنين على عقيدتهم التى آمنوا بها ، فلم يرهبهم وعيد ، ولم يؤثر فيهم عذاب شديد ، بل صمدوا لكل ذلك صمود الجبال العظام ، ومنهم الرسل الكرام الذين اختارهم الله لتحمل الرسالة وتبليغ دين الله الى البشر اجمعين ، وتطهير العقائد من كل ما يخل بعلو مرتبة الانسان على سائر المخلوقات ، وقد ميزه خالقه بالعقل والادراك للاشياء والموجودات على حقيقتها ، ومن غير اللائق به ان يخضع لمخلوق قد يكون أقل منه ادراكا ، وأحرى به اذا كان جمادا أو نباتا ، فان فى هذا الخضوع والطاعة لغير الخلاق العليم اهدارا لكرامة الانسان التى اكرمه بها خالقه الحكيم ، ورفع منزلته على منازل غيره ، وجعله هو

المتصرف فيها ، فقد ضل هذا الانسان عن الصراط المستقيم ـ ولا زال فى ضلاله الى الآن ـ بالرغم من المراحل التى قطعها الانسان فى ميادين شتى من علوم وغيرها ، فجاءت دعوة الرسل والشرائع السماوية لتعود به الى الطريق المستقيم التى حاد عنها بضلاله ، فآمن بها طائفة من هذا النوع هديت اليها ، فآمنوا بتلك الدعوة وهى تدعوهم الى توحيد الله الخلاق العليم ، فايدوها وكانوا من انصارها ، بالرغم مما حاط بهم من مخاطر وأهوال ، تتفتت منها الجبال الصخرية ، ويذوب منها صلب الحديد من شدة فظاعتها واهوالها ، لتكون لنا نعم العون على ما نلاقيه من اتعاب فى سبيل حياتنا الاسلامية من خصوم الاسلام فى بلد الاسلام سواء كانوا من الخارجين عنه بالاصالة ، أو المنتسبين اليه بالوراثة ، فقد كثر منهم التهجم والعدوان على العقيدة الاسلامية وعلى حامليها ، فنحن فى حاجة ماسة الى امثلة بطولية صادقة ، مما ضربه للعالم أولو العزم والثبات على العقيدة والمبدإ من أولئك الابطال الذين هم من الرعيل الاول فى بداية انبثاق نور الاسلام وعقيدة التوحيد ، ففى ماضينا وتاريخنا ـ والفضل والحمد لله ـ امثلة رائعة تصلح لتربية أنفسنا وابناء زماننا عليها .

فنذكرهم بهذه الامثلة النادرة فى غير ماضى الامة الاسلامية ، لقد صرنا نخشى ـ والله ـ دروسها واندثارها بل ونسيانها ، حيث اننا ، شاهدنا ولمسنا وسمعنا بما يجرى فى الاوطان الاسلامية من صدود

واعراض ونكران لعقيدة الاسلاف ، ولما أتت به هذه العقيدة ـ حيث لا أفضل منها فى الوجود ـ ولقلة الدعاة لهذه العقيدة وتفرقهم ، وليست لهم أسلحة الدفاع العصرية فقد هجمت عليها عقيدة الالحاد والكفر والذبذبة بوسائل العصر ، وهى تنادى وتقول : انها جاءت لمحاربة عقيدة الاسلام الموروثة عن الآباء والاجداد فالسكوت عن هذا الهجوم يعتبر من العقوق الفاضح الذى تلبس به أبناء هذا الجيل ، بل صرنا نخشى ضياعها حتى من أوساط من يزعمون انهم من زمرة علماء الدين وورثة الانبياء والمرسلين ، وهنا نتساءل : هل سكت الانبياء والمرسلون عن تبليغ دعوتهم ؟ وهل اهملوا دعوتهم التى كلفوا بها ؟ وهل كان فيهم الذى لا يقول كلمة الحق للحق ؟ وهل جرفتهم تيارات زمانهم الداعية الى تلك العقائد الزائفة التى كانت سائدة فى زمانهم ؟ تلك العقائد التى كانت على شفا حفرة من النار ، وعلى شفا جرف هار .

فنحن ـ الآن ـ اذا درسنا التاريخ وقرأناه فانما ندرسه ونقرؤه من نافذة الحروب التى تشن على الاوطان ـ التراب والحجر والشجر الخ ـ ، واذا مجدنا أبطاله انما نمجدهم من زاوية مواقفهم فى وجه الغزاة الفاتحين ـ ونعتز بهذا ـ اما من جهة العقيدة والدين والاخلاق ، فذلك أمر تافه فى نظر البعض منا ـ لا يدخل فى الحساب والحقيقة هى كامنة فى العقيدة والدين ، وقد شاهدنا وعلمنا ان من كان يحيا بدون عقيدة ودين فانه يسهل

عليه خيانة وبيع وطنه بابخس الاثمان ، والشاهد على هذا الذى قدمناه البطل المغوار المرحوم الامير (عبد القادر ابن محيى الدين) فانه انما وقف فى وجه الغزاة الاستعماريين حين احتلالهم للجزائر بلباس العقيدة والدين لا بسواهما مما تلوكه ألسنة القوم اليوم ، كل هذا مقصود به ابعاد الدين من ساحة الحرب والتحرير ، وهى نية خبيثة وقصد سيء لا يخفى على أحد .

فالامير عبد القادر ـ رحمه الله ـ كان عالما دينيا بعقيدته التوحيدية فقيها اسلاميا بفقهه فى أحكام دينه وأجوبته التى كان يجيب بها سائليه مبسوطة فى الكتاب الذى حوى سيرته واعماله (تحفة الزائر) فقد كان فى حياته عالما قبل ان يكون أميرا وقائدا ، ولذا قدمه أهله وبنو عشيرته لقيادة المجاهدين فى حربهم للاستعمار وجيوشه ، فهو من أبطال العقيدة المعروفين بمواقفهم النادرة ، فاذا ما مجدناه فى يوم ـ ما ـ فلا ينبغى ان يخفى هذا المعنى علينا ، فأبطال العقيدة عندنا كثيرون والحمد لله ، ولم تصدر منهم خيانة ولا ضعف أيام المقاومة كما وقعت من غيرهم ممن لا عقيدة دينية لهم .

فمواقف كهذه المواقف الراسخة تقتضى علماء الاسلام الناصحين ـ اينما كانوا ـ ان يوحدوا كلمتهم ، ويقووا صفوفهم ، ويدعموها بصدق النية والاخلاص فى العمل لنصرة العقيدة ، ولمجابهة هذا التيار الالحادى المهاجم على دين التوحيد ، اذ لو وجدهم أمامه فى ساعة الهجوم

لاختفى بدلا من الظهورَ بهذا المظهر الذى ينم على التحدى لعقيدة الامة فى وطنها ، وعلى من كان منهم ضعيفا ان يتخلى عن تلك الذبذبة المشينة ، التى ظهرت عليهم فى هذا العصر ، فقد ساقتهم الى توهين كلمة الحق التى هى كلمتهم ، وتقوية صف الباطل والالحاد بسكوتهم ، وبكل اسف وحسرة ، فقد رأينا منهم من اظهر عداءه لدعاة الحق وناصرى العقيدة الاسلامية ، بل وحتى ان البعض منهم لم يكتف بسكوته حتى أظهر الشماتة والتشفى بسبب ما أصاب بعض الدعاة ويصيبهم من أعداء الحق والعقيدة الاسلامية ، وما ذلك الا لاغراض دنيئة ونفوس مريضة بمرض ـ ما ـ كالحسد ـ مثلا ـ وهو داء قديم فيهم ، نسأل الله الشفاء لنا ولهم من هذا المرض الخطير ، أو كان ذلك منهم لمصالح ذاتية خوفا من ان تفوتهم بوقوفهم الى جانب الحق وانصاره ، فضلوا وأضلوا ، والله وحده يتولاهم بما يشاء ، فانه يمهل ولا يهمل ، وهو ـ وحده ـ القوى العزيز .

فالى حماة العقيدة الاسلامية أمثلة صحيحة من تلكم المواقف التى ـ **ثبتت كركائز للحق اعتمد عليها ، فثبتت أقدامه ودعمتها فى أرض الايمان** ـ فنجعلها نصب اعيننا ، كمصباح منير يرينا ويكشف لنا طريق السلامة والنجاة من مخاطر هذه الحياة ، ويجنبنا سبل الغواية والضلال ، فانهم ـ أهل تلك المواقف ـ هم أهل العقيدة الصحيحة الثابتون عليها بالرغم مما نالهم من أجلها وفى

سبيلها ، فحفظ لهم التاريخ أروع القصص ، واسما الامثلة ، واصدق الايمان .

والعقائد كثيرة ومتنوعة ، فمنها عقيدة التوحيد ، وهى عقيدتنا نحن المسلمين ، وهى التى ندين الله بها .

وعقيدة التثليث ، وهى التى طرأت على المسيحية بعد ان كانت فى أول أمرها وفى زمان رسولها عيسى عليه السلام عقيدة توحيدية .

وعقيدة الشرك بالله ، وفيها تعدد الالهة المعبودة ، والمشركون اصناف وأنواع متعددة فى اشراكهم .

وعقيدة الملاحدة ، التى تنكر وجود الاله بتاتا .

وعقيدة التوحيد هى العقيدة الصحيحة ، وهى الحق الذى لا ينجو أحد الا بها ، وهى مبنية على توحيد الاله الخالق لكل شىء ، والذى تجب طاعته على كل المخلوقين اذ لا خالق سواه .

ونراها فى وقتنا الحاضر أصابها شىء من الضعف فى قلوب البعض من المسلمين وهذا بسبب احتكاكهم بغيرهم ممن لا عقيدة لهم أصلا أو ممن لهم عقيدة باطلة وغير مقبولة شرعا وعقلا ، وتظهر نتيجة هذا الضعف في الكلام الذى نسمعه من بعض من ينتسبون للاسلام ، من ذلك ان بعض الناس ينطقون بكلمات تشعر بان قائلها لا يفهم ما يقول ، ولا يشعر بان صفة الخلق والايجاد لا تعطى

الا لله الواحد القهار ، فهو الخالق لا خالق سواه ، وهذا معنى التوحيد ، ولا مدبر لشؤون الخلق الا هو ، فهو العليم الحكيم ، وليس له شريك يعينه ، ولا وزير يؤازره بل هو وحده خالق كل شىء ، لا اله معه ، ولا قادر على الخلق والايجاد يسانده أو ينوب عنه ، فهو كما قال : (**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**) .

وكما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه : (**اَللّهُمَّ إِنَّكَ لَسْتَ بِإِلَهٍ اُسْتَحْدَثْنَاهُ ، وَلاَ بِرَبٍّ اُبْتَدَعْنَاهُ ، وَلاَ كَانَ قَبْلَكَ مِنْ إِلَهٍ نَلْجَأُ إِلَيْهِ وَنَذَرُكَ ، وَلاَ أَعَانَكَ عَلَى خَلْقِنَا أَحَدٌ فَنُشْرِكَهُ فِيكَ ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ**) .

ومن اظهار سوء الادب مع الخلاق العليم ما نسمعه – بين الحين والآخر – من بعض كبار الناس وصغارهم ، مما يعتبر فى الشرع وقاحة وسوء أدب مع من خضعت له ولقدرته وعزته جميع المخلوقات من انس وجان ، فقد سمعناهم يتفوهون بالفاظ نابية وغير لائقة بالعبد الضعيف ، والعاجز البين العجز ، فاذا أراد الواحد من هؤلاء الناس ان يتكلم عن العناية والاهتمام بالمواطن فى تهذيبه وتهيئته لاى مهمة كانت لتناط بعهدته قال من غير حياء من الله خالقه وخالق كل شىء هكذا بتبجح وفخر (**نريد خلق الانسان المواطن**) وهذه العبارة فيها اساءة الادب – بل ربما الكفر والجحود للخالق الواحد – مع الله الذى لا شريك معه فى خلق الانسان المواطن وغيره فلا خالق مع الله الخالق لكل شىء ، ومنه هذا المخلوق الخالق ، غرورا ، وجاء فى القرآن الكثير من الآيات

لترفع عن هذا النوع من المغرورين غرورهم ، فقد قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ، هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ ؟ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ) (1) . وقال : (ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) (2) .

فلا خالق الا الله ، فتنبهوا أيها (الغافلون المخطئون) العاجزون عن رد الموت عنكم اذا حل بكم ، وصححوا عقيدتكم فى الله قبل ان يفوتكم الاوان ، فأى شيء جعلكم لا تدفعونه عنكم اذا نزل بساحتكم ؟ ذلك هو عجزكم وضعفكم أيها الخالقون جهلا وغرورا واستخفافا بمن خلقكم ورزقكم ، فانتم محتاجون اليه فى كل حين .

دعوا هذه الكلمات الغير اللائقة بالبشر الضعيف ، والتى قد تؤدى بصاحبها الى الكفر شيئا فشيئا ، اذ هى من خصائص المدبر الحكيم ، والخالق ـ وحده ـ الذى له الخلق والايجاد ، والهداية والارشاد ، دعوها حتى لا تلعنكم الاجيال المقبلة كما (لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ، ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ، كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ ، لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) (3) . فقولوا : نهيء بدل نخلق .

(1) سورة فاطر ـ الآية : 3 .
(2) سورة الانعام ـ الآية : 102 .
(3) سورة المائدة ـ الآيتان : 78 ـ 79 .

أي السبل أنفع لنشر العلم ؟

ان حياة العالم العامل بعلمه موزعة بين تعليم العلم وبثه فى أوساط أمته والراغبين فيه ، وبين تأليف الكتب لفائدة الخلق أجمعين ، وتصنيفها ونشر العلم بواسطتها، وكل هذا من واجبات العلماء العاملين بعلمهم ولكن أيهما أولى بالتقديم والعناية ؟ هل نشر العلم وتصحيح العقيدة بواسطة التعليم للناس أهم وأولى بالاهتمام والتقديم ؟ او نشرهما بواسطة تأليف الكتب وتصنيفها ؟ فمال بعض المفكرين من العلماء الى الاهتمام بالتعليم ونشره بين الراغبين فيه واعدادهم لقراءة الكتب التى تؤلف ، بينما مال البعض الآخر الى نشره وتعميمه بواسطة تصنيف الكتب وتأليفها ، ليستفيد منها المعاصر وغيره ، اذ هى لمن حضر وعاصر مؤلفها ولمن سيأتى من بعد ، فهى بهذا الاعتبار من أهم ما يتركه الاولون للآخرين من التراث الغالى ، كما هو الشأن فيما تركه لنا أسلافنا الاماجد ، فقد استفدنا منها فوائد عظيمة لا تقوم بقيمة ، اذ حفظت لنا لغتنا وديننا وعقيدتنا وأخلاقنا وتاريخنا وأدبنا وغير ما ذكر ، ولولا ما تركه لنا أولئك الاسلاف العاملون بالرغم من

قلة الوسائل التى تعينهم على التأليف والنشر ، لولا تلك الكتب لضللنا عن طريقتهم المثلى ، ولأصابنا الزيغ والخسارة ، اذ العلماء يموتون ، ويذهب علمهم بموتهم، اذا لم يدونوه — وهل عوضنا من مات من علمائنا فى العهد الاخير ؟ — بخلاف تآليفهم الباقية بعد موتهم ، فانها تبقى ولا تضيع بموت مؤلفيها ، فمال الى الرأى الاول واختاره كثير من العلماء السابقين، والى هذا الرأى مالت (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) فأنشأت المدارس لتعليم الصغار التعليم الابتدائى ، ومعهد « عبد الحميد بن باديس » للتعليم الثانوى ، والمساجد لتعليم الكبار الراغبين في التعلم، وفيها وبواسطتها كانت تلقى دروس التوجيه الدينى والوعظ والارشاد والاخلاق الاسلامية ، للعامة الذين فاتهم التعلم فى وقته .

اما تأليف الكتب وتصنيفها بالنسبة الى أفراد جمعية العلماء فكان قليلا ، بالنظر الى صرف الاهتمام من معلميها وشيوخها الى اعداد القراء للكتب أو للتأليف ، لان شعبنا كانت فيه الامية متفشية ومستحكمة الحلقات وكانت صحف الجمعية وغيرها قليلة الانتشار بالنظر الى كثافة السكان، فقد رأينا البعض من أبناء الامة يشتريها أو يشترك فيها بقصد التأييد والاعانة لا غير، اما القراءة لها والاستفادة منها فلا يستطيع ، لانه أمى ، وبهذا الرأى عملت وداومت عليه ، حتى تخرج من مدارسها ومعهدها — الوحيد — لديها طائفة لا بأس بها ، استفادت منها الامة فائدة أغنتها عن جلب الكثير ممن يقوم بأعباء

التعليم حين جاء وقت الاستقلال للوطن ، وان كان فيهم من اختار العمل فى الادارات الحكومية ، فرارا من متاعب التعليم وأوزاره الثقيلة ، وطلبا للراحة البدنية، وهذا عمل فى غير محله ، اذ لو مال معلموهم القدامى الى هذا من قبل ، أى الى عبودية الادارة لما كانوا هم فى مستواهم الحالى ، وعلى كل حال فقد حصل ما حصل بواسطة التعليم وأتعابه ومشاقه .

ولا زلت اذكر تلك السنوات التى قضيناها فى التعليم واشعر فيها براحة ضميرى اذا ذكرتها أو تذكرتها فقد كنا نقضى معظم يومنا ونصيبا من ليلنا في التعليم بين تلامذة المدرسة ، ودروس المعهد ، ودروس المسجد للرجال وللنساء، وقد تصل ساعات العمل الى اثنتى عشر ساعة بين اليوم والليلة وتارة تزيد على ما ذكر — وهو عمل مرهق ومضنى — واخوانى الشيوخ الاحياء يعرفون هذا .

وبهذا تكون « جمعية العلماء » قد أدت ما عليها من واجبات ثقيلة لا يعرفها الا من عاش معها ومارسها ، ولا يستسهل عملها ، أو يستصغره ، أو يستهين به الا جاهل به ، أو مأفون الرأى عديم الذوق والمعرفة للامور ، على حقيقتها ، ولا زلت أذكر ذلك اليوم الذى ودعنا فيه رئيسها المرحوم — ان شاء الله — الشيخ البشير الابراهيمى فى شهر مارس (1952) حين امتطى الطائرة في طريقه الى المشرق العربي كي يسعى لدى

دوله حتى تمد يدها للشعب الجزائرى لتعينه بقبـــول بعثات من طلبة المعهد الباديسى يدرسون فى معاهدها وجامعاتها ، فكان منها ما أرادت الجمعية ، وانتقلـــت بعثاتها والتحقت بالمعاهد والجامعات الشرقية العربية ، وجاء استقلال الوطن عن الاستعمار ، وعادت البعثات من المشرق العربى وكانوا على درجات متفاوتة فى العلم وكانت الجمعية تعلق على رجوعهم مزودين بالعلــوم النافعة كثير الامال ، اذا عادوا الى وطنهم بعلم غزيــر ونشاط كبير وتضحية فريدة فى بابها ، نظرا لما تركوا عليه وطنهم ، ونظرا لما رأوه فى شيوخهم من النشاط والجد والتضحية فى العمل ، كل ذلك بدون حســاب أو عـــوض .

رحم الله من مات من أولئك الشيوخ الذين ضربوا أحسن الامثلة فى البــذل والتضحية ، فى حــين كــان المستعمر يلوح من بعيد ، ويرغب فى وظائفه ، غير ان الجمعية ورجالها المنخرطين فيها أعرضوا عن ذلك وبقوا مخلصين لمبدا الجمعية ، وهو الترفع عن وظائف المستعمر ورضوا باتعاب جمعية العلماء ، فشيوخها معلمون فى وقــت التعليم ، وسعاة وجباة للمال فى وقــت العطلة الصيفية ، والتنقل فى الجبال والصحراء لنشر دعوتها الاسلامية والعقيدة السلفيــة البعيــدة عـــن البـــدع والخرافات ، اذ هذا هدف من أهدافها ، يقومون به فى جـــولاتهم .

أما الرأى الثانى ، وهو التأليف والتصنيف ونشــر العلم بواسطته ، فقد مال اليه البعض من العلماء وقالوا : ان التصنيف والتأليف للكتب أولى وأهم مـــن التعليم ، فيهم طائفة من العلماء الافذاذ ، منهم العالم الفذ المكثر من التاليف : أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى رحمه اللــه ورضى عنه وعن أعماله ، فهو صاحب التآليف فى شتى الاغراض والفنون والعلوم ، وخاصة فيما له صلة بالدين والعقيدة والحديث والمواعظ ، فقــد صرح فـــى كتابه « صيد الخاطر » برأيه ، والمتأمل فى الرأيين يدرك أهميتهما معا بالنسبة الى حاجة الامة اليهما كليهما ، ولكل من أصحاب الرأيين وجهة هو موليها ، بنى عليها رأيـــه وما اختاره ، وكــل منهما مصيب ان شاء اللـــه ، ولازم للامة ولا يمكن الاستغناء باحدهما عن الآخر . فقد عقد ابن الجوزى فصلا فى كتابه المذكور حيث قال :

فصـــل :

الاشتغال بالتأليف واغتنام العمر .

قال رحمه الله ورضى عنه : (رأيت من الرأى القويم ان نفع التصنيف أكثر من نفع التعليم بالمشافهة ، لانى أشافه فى عمرى عددا من المتعلمين ، وأشافه بتصنيفى خلقا لا تحصى ، ما خلقوا بعد .

ودليل هذا ان انتفاع الناس بتصنيف المتقدمين أكثر من انتفاعهم بما يستفيدونه من مشايخهم . فينبغى للعالم

أن يتوفر على التصانيف ، ان وفق للتصنيف المفيد ، فانه ليس كل من صنف ، صنف .

وليس المقصود جمع شيء كيف كان ، انما هى أسرار يطلع الله عز وجل عليها من شاء من عباده ويوفقه لكشفها ، فيجمع ما فرق ، أو يرتب ما شتت ، أو يشرح ما أهمل ، هذا هو التصنيف المفيد) . اهـ كلام الامام ابن الجوزى رحمه الله .

وكلام الامام ابن الجوزى هذا فى غاية النصح والتوضيح والوضوح ، شأنه شأن علماء السلف الذين أفنوا أعمارهم فى التعليم والتأليف ، بالرغم من قلة الوسائل التى تعينهم على عملهم الشاق والمرهق ، من الكتابة بأيديهم الى نشر كتبهم بواسطة الاسفار الى الاصقاع البعيدة ، ومع كل ما ذكر وغيره فقد عملوا وانتجوا وتركوا لنا انتاجهم مكتوبا بخطوط ايديهم ، وبأقلامهم القصبية فرحمهم الله ، وجزاهم عن الاسلام والمسلمين خيرا ، وعوضهم عن اتعابهم تلك رضوانه وعفوه عنهم ، وأسكنهم جنات النعيم آمين .

ان المتقدمين من علماء المسلمين قد عنوا عناية فاقت كل عناية بالتأليف ، فلم يأت منها خلفهم بعشر معشار ما أتى به الاولون منهم ، فكأنهم قالوا : (**إِنَّ ٱلْيَدَ ٱلَّتِى لَا تَكْتُبُ ، كَالرِّجْلِ ٱلَّتِى لَا تَمْشِى**) . فهى معطلة عن وظيفتها التى خلقها الله لها ، وفى حكمة خلق الله لوظائف أعضاء الانسان ما يدل على هذا ، فقد قال :

(**ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ**) . وقال : (**بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ**) . والقلم لا تمسكه الرجل ـ الا ما ندر بصعوبة ـ أو غيرها من سائر أعضاء الانسان ـ ، بل انما تمسكه اليد ببنانها ، لهذا شبهت بالرجل اذا لم تقم بوظيفتها . ولحكمة جعل الله يد الانسان ذات أصابع ليتنفع بها فى امساك القلم بتلك الاصابع ، كما يستعين بها فى الصناعات ، ولو كانت قطعة واحدة كيد الحمار ـ مثلا ـ لفاته هذا .

ولكل زمان مصاعبه ومتاعبه ، ففى زماننا هذا سهل أمر التأليف والكتابة لكثرة الوسائل المعينة عليه ، من مواد وورق واقلام ومطابع ونقل ... الخ ، وتعددت المصاعب والعقبات ، فكثيرا ما أهملت مؤلفات وانتاجات لسبب أو لآخر ! فهل نحن فى عصر العلم والنور ، والتقدم والحرية ؟ أم نحن فى زمن مضى وانقطعت آثاره الى الابد ؟؟

ان عصرنا هذا عصر الصراحة والنصح والدعوة الى ما ينقذ البشرية من ربقة العبودية والتخلف ، وانارة الطريق أمام من على بصيرته غشاوة ، لا عصر خنق الحريات واهدار كرامة الافكار . ومن رأى غير هذا فقد وضع نفسه أمام مرآة لا تريه الا ما وراء ظهره ، وتحجز عنه المستقبل !

فالكتاب ينظر اليه من عدة نواح : قيمته ، محتواه ، حاجة القراء اليه ... الخ ، لا الى زخرفته وحجمه

وعنوانه ، فكثيرا ما ظهرت عناوين جذابة لكن محتواها إلحادودعوة لانحلال الاخلاق وميوعتها ، شجعتها وسائل الاعلام التى تشرف عليها حكومات اسلامية وتسيرها ، مثل الاشرطة الخليعة ، والافلام اللادينية ، والتحقيقات اللاأخلاقية ، و ... و ... فأين الضمير الغيور ؟ وأين الرجل المناسب فى المكان المناسب ؟ !

وقد رأينا وسمعنا شيئا يعارض هذا تماما وهو ادعاء الديمقراطية ، وأى ديمقراطية هذه التى تعمل على تعطيل حرية الرأى والقول ..؟ اذ حرية الرأى والتعبير أو القول والنشر من الحريات الاساسية التى تربى الشعوب على الصراحة والنصح والصدق فيهما ، لا تلك الحريات المزعومة التى تطبع الاشخاص بطابع النفاق والملق والتزلف الى الحكام لنيل عطفهم ورضاهم ، وان كان فى هذا غش للشعب ورميه فى مجاهل القرون الوسطى المظلمة ، قرون الجهل والانحطاط والتخلف الفكرى والحضارى ، وان كان قرننا هذا يدعى فى المحافل الدولية بقرن العلم والنور والتقدم والحرية الخ . هذا ما يعلى شأن الامم ويرفع من مقامها فى صفوف أمم العالم المتحضرة ، اما العودة الى زمان الاستعمار ـ فى وقت الاستقلال ـ فى خنق الحريات واهدار كرامة الافكار فهو دليل على التخلف الفكرى وحب السيطرة والانتقام الشخصى ، وان ادعى مدع غير هذا فهو في الاوراق لا غير .

الانسان وحقوقه فى هذه الحياة ..؟

ونظيف الى هذا دعوى أخرى مللنا ـ كثيرا ـ سماعها وهى هذا القول الشائع على الالسنة والاقلام تحت عناوين جد ضخمة عن « حقوق الانسان » قالوا عن هذه الحقوق ، أو « العقوق » : انها مبدأ مسطر فى قوانين « جمعية الامم » الموقرة كثيرا ، ومعنى هذه الحقوق ان كل دولة انخرطت فى هذه الهيأة لزمها أن تطبق هذه القوانين ، وتنفذها فى بلدها على رعاياها ، فتمكن كل انسان من حقه الطبيعى كى يعيش فى حياته هذه كريما محترما،غير أن الواقع انكشف على خلاف ذلك ، فتسطير القوانين على الاوراق شىء وتطبيقها شىء آخر ، وأرى أن هذه خدعة أو خرافة من الخدع والخرافات التى تقال للصبيان لتنويمهم أو لتلهيتهم حتى لا يقلقوا آباءهم وأمهاتهم بسؤالهم طلب بعض ما يريدون ويشتهون .

فقد رأينا أنه كلما جاءت ذكرى يوم الاعلان العالمى **(لحقوق الانسان)** المزعومة ، وهى يوم 10 ديسمبر 1948 وذلك حين أعلنت جمعية الامم عن حقوق الانسان ، الا ورأينا وسمعنا وسائل الاعلام انطلقت بأبواقها من صحافة واذاعة وتلفزة ومجتمعات تعقد لهذا الغرض ، وهو تمجيد هذا اليوم الاغر فى حياة الانسانية التى عانت كثيرا من الظلم والاستبداد تمجده لما وقع فيه ، وهو هذا الحدث الهام الذى أعلنت فيه جمعية الامم عن حقوق الانسان .

ونحن كمسلمين ومؤمنين نؤمن بحقوق الانسان منذ أربعة عشر قرنا ، فاننا نعرف أن للانسان حقوقه منذ أربعة عشر قرنا خلت ، فقد قال لنا القرآن كتاب ربنا الذى ربانا عليه : **(يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)**(1) . وقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(كُلُّكُمْ لِآدَمَ ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ)** وقال : **(ٱلنَّاسُ سَوَاسِيَةٌ كَأَسْنَانِ ٱلْمُشْطِ) (2)** وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : **مَتَى ٱسْتَعْبَدْتُمُ ٱلنَّاسَ وَقَدْ وَلَدَتْهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ أَحْرَارًا ؟ .**

ان ديننا « الاسلام » قد ضمن للمسلم حريته فى كل أطوار حياته ، فى القول والتعبير والعمل ما لم يكن فى ذلك أذى لغيره ، فان كان القائل مصيبا فيما قال ، وأبدى رأيا فيه الخير والمنفعة للامة سمع قوله وعمل به ، وان كان فيه المضرة والفساد أهمل وألغى وما لم يكن كفرا بالله ورسوله ، هكذا ربى « الاسلام » المسلم على الصراحة فى القول ، وأوجب عليه الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ليصلح المجتمع الاسلامى ، حتى لا يكون فيه المنافق والمتملق والمداهن على حساب العقيدة ، فكان المسلمون يواجهون ملوكهم بالاسئلة المحرجة فى المواطن الحرجة من غير أن يكموا أفواههم بالامر بالسكوت ، بل تعجبهم فيهم الصراحة ، اذا كانت

(1) سورة الحجرات ـ الآية : 13 .
(2) أخرجه الديلمى عن سهل بن سعد .

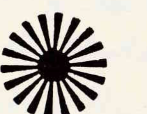
للمصلحة العامة ، وشواهد هذا كثيرة فى التاريخ الاسلامى ، وهذا بخلاف ما كان معمولا به فى زمن ملوك الطوائف ـ **وما أشبه زماننا هذا بزمن ملوك الطوائف ـ** ولله الامر من قبل ومن بعد،ومن أبرز مظاهر تربية الاسلام لأمراء المسلمين وعامتهم على الصراحة أن رجلا من عامتهم قال لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب : **اتق الله يا عمر ! !** وهذا من باب النصيحة له فنهره أحد الحاضرين فى المجلس ، وقال له **أتقول لأمير المؤمنين اتق الله ؟ فما كان** من عمر الا أن رد على هذا المنكر على الناصح قوله فى كلمته المشهورة حيث قال : **(دَعْهُ فَلْيَقُلْهَا فَإِنَّهُ لَا خَيْرَ فِيكُمْ إِذَا لَمْ تَقُولُوهَا ، وَلَا خَيْرَ فِينَا إِذَا لَمْ نَقْبَلْهَا)** وكقوله لعمرو بن العاص والى مصر : **(يَا عَمْرُو، مَتَى ٱسْتَعْبَدْتُمُ ٱلنَّاسَ وَقَدْ وَلَدَتْهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ أَحْرَارًا ؟؟؟)** وهذا حين اعتدى بالضرب ابن الوالى عمرو بن العاص على ابن أحد الاقباط الشعبيين فى سباق الخيل حين منعه من سبقه وقال له : **أتسبق ابن الأكرمين ؟** فاستدعى عمر الوالى وابنه فى زمن الحج وأمر القبطى بأن يقتص من ابن الوالى فى حضرة أبيه **فهذا من عدل الاسلام فى زمنه الاول ، فما أعدل حكم الاسلام حين يلقى من يطبقه على المسلمين وغيرهم !!!** بل كان بعض الاعراب يجابه الرسول صلى الله عليه وسلم بالغلظة فى القول فيعفو عنهم ولا يعاقبهم ، وهو من هو ؟

فهذا أبلغ درس عملى يلقيه الاسلام على الانسانية المعذبة بالظلم والطغيان من لدن حكامها ، وهذه هى

حقوق الانسان فى الاسلام تظهر بلا تهريج ولا صياح بلا فائدة من وراء ذلك الصياح والتهريج ، وهذه هى حقوق الانسان والمواطن فى الاسلام لو كان هذا العالم يبحث عن الحقيقة والواقع .

وبعد الاسلام وقبل جمعية الامم تلك واعلانها المذكور قامت الثورة الفرنسية وأعلنت عن حقوق «الانسان» سنة 1789 فتقبل الناس هذا الاعلان بالاعجاب والاكبار، ولكن بقى هذا الاعلان بلا تطبيق ولا عمل به حتى لحقه صنوه فأهمل هو كما أهمل سابقه .

فقد رأينا أن الاسلام هو السابق لكل ذلك ، ثم فرنسا وقد تبعتها بعض الدول فى اعلانها ذلك .



العقيدة الصحيحة قوة للقلب وقوت له والمعذبون من أجلها

عندما نتساءل : ما هى العقيدة الصحيحة ؟ ومن هم أهلها ؟ يأتينا الجواب : هى عقيدة الحق والخير ، وأهلها هم أهل الحق والخير والصلاح ، الذين ثبتوا عليها ولم يتخلوا عنها ساعة من الزمن ، سواء فى زمن اليسر أم فى زمن العسر ، لم تطغهم مرتبتهم فى مجتمعهم ، بل ظلوا متمسكين بها فى كل الحالات ، ولو عذبوا من أجلها وفى سبيلها حتى ماتوا عليها ، ولم يسلموا فيها أو يزهدوا فيها وفى الدفاع عنها، واذا تساءلنا : من هم ؟ جاءنا الجواب : هم من الامم الموحدة القديمة منها والمتأخرة ، لان هذا النوع موجود فى كل أمة منذ كانت الدنيا ، وكانت عقائد الناس متباينة ومختلفة ، وفى طى هذا الجواب نحتاج الى شىء من البيان والتوضيح .

انهم جماعة من المستضعفين والمعذبين الذين عاشوا فى فترة طغى فيها كل جبار عنيد ، من ملك قوى نزع الايمان بالله من قلبه ، كما نزعت منه الرحمة والعطف على خلق الله ، كـ (النمروذ) مع خليل الرحمن «ابراهيم» عليه السلام فى التاريخ القديم ، وابراهيم هو امام

الموحدين والمسلمين ، وأبو الانبياء والمرسلين كما قال ربنا فى كتابه العزيز ، مظهرا فضل خليلـه ابراهيم وملتـه الحنيفية : (**مِـلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُـوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ**) . وكموسى مع الطاغية «فرعون» ، وكرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فى جماعة من أصحابه مع كفار قريش الجهلة الاشداء عباد الاوثان قساة القلوب ، فقد الحقوا بالمؤمنين الموحدين الكثير من العذاب الذى لا يحتمل ولا يطاق ، ولكن أولئك الضعفاء تلقوه بقوة العقيدة فى الله والصبر الجميل ، حتى مكنوا دين الله الى من يعبد الله وحده ، ممن كانوا فى زمانهم والى من جاء مـن بعدهم ، وغرسوا شجـرة التوحيد فى التربة الصالحة فى أرض من سبقت لهم فى علم اللـه السعادة والنجاة من الضلال ، فنمت وترعرعت وأتت أكلها باذن ربها ، فماتوا وتركوا سيرتهم الطيبة مثالا يحتذى لمن يأتى من بعدهم ، كى يسيروا فى حياتهم على ضوئها ، ويكونوا مع ظالمى زمانهم كما كانوا هم مع الظالمين فى أيامهم ، وكأصحاب الاخدود فى القديم من التاريخ ، وكأبى بكر ، وبلال ، وصهيب وغيرهم من أمثالهم ممن سيمر بنا شىء مما أصابهم فى سبيل عقيدتهم ، رحمهم اللـه جميعا ورضى عنهم وعـن مواقفهم ، وألحقنا بهم ونحن ثابتون عـلى عقيدتنا غير مبدلين ولا مغـيرين ، فأمثالهم موجودون فى كل زمان ومكان الى الآن ، لكن لا يمكن استيعابهم جميعا ، ومـا أذكره هـنا كاف فى الاعتبار والاتباع لمن رزقه الله حسنَ الاقتداء ، ومن

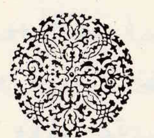
كان أهلا للعمل بما يرضى الله ورسوله وصالح المؤمنين فلهؤلاء أشباه ونظائر فيما مضى مـن الزمن ، ولربما فيما يأتى ـ أيضا ـ الى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ، فالفضل يرجع فى التمسك بالحق والعقيدة الاسـلامية والتضحية بالانفس الى أولـئـك الابطال الشجعان الاوفياء لعقيدتهم ودينهـم ، وهـم الذين حضروا فى بداية معركة التوحيد مع الشرك ، حين تغلب الحـق على الباطل بقـوة العقيدة الصحيحة والاخلاص فى العمل ونصر الله المبين ، فتولى الشرك مهزوما مدحورا ، وفى هذا العبرة للمعتبرين

فهم حقيقة أبطال قصة الكفاح الدينى والعقائدى ، ومصباح تاريخنا الاسلامى الذى يجب علينا أن لا ننساه أبد الآبدين .

أولئك هم : الرسول محمد صلى اللـه عليه وسلم ، ورفيقه أول المؤمن به أبو بكر الصديق ، وبلال الحبشى وصهيب الرومى ، وعمار بن ياسر وأسرته كلها ، وفى مقدمتها أمه (**سمية**) وسلمان الفارسى ، وغيرهم ممن سنتكلم عن شىء مـن مواقفهم وما نالهم من التعذيب ، وصبرهم عليه ، وهـو شىء لا نظير له ، فضربوا بهذا أروع الامثال الرائعة والمروعة ، فى الصبـر وبـذل العزيز الغالى من نفس ومال فى سبيل المبدا والعقيدة وتأييد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد ذاقوا من شديد العذاب والاهانة ألوانا وأنواعا وأشكالا ، مـن

قوم قساة القلوب ، غلاظ الاكباد أقوياء الاعوان ، حتى ألبسوهم أدرع الحديد وطرحوهم بها فى حر الشمس وشدة الهاجرة ، وكووهم بالنار والجمر وما أطفأها الا دسم جلودهم وشحمها ، وهل يعد هذا العذاب عذابا يستهان به ؟ ينال عبادا فى الدنيا ـ بلا ذنب ـ الا لانهم قالوا : (رَبُّنَا ٱللَّهُ) لا والله ، وما هو بالامر اليسير الذى يطاق ، لولا قوة العقيدة والصبر .

وها نحن نشرع ـ مستعينين بالله وقوته ـ فى تقديم هذه (**العينات**) البشرية ذات القوة الروحية ، التى غذاها ايمان كامل بالخالق ، ووعده الصادق ، فكانوا الى جانب من وفقوا فوقفوا فى صف واحد لتأييد الحق وأنصاره ، وخذلان الباطل وأعوانه .



— 1 —

سيدنا ابراهيم خليل الرحمن :

أول أولئك الابطال ، ابراهيم خليل الرحمن ، ورسول الله الى عباده بشريعة الاسلام ، شريعة التوحيد والاخلاص لله فى كل الطاعات والعبادات ، ونبذ الشرك وعبادة المخلوق ، كيفما كان هذا المخلوق ، عبدا من عباد الله ملكا ، أو شجرا ، أو حجرا ، أو غير ذلك من الكواكب وغيرها ، مما كان يعبد فى الزمن القديم ، واسم ابراهيم ينبئى بما فى قلبه من معاني الشفقة والرحمة ، لذلك كان أهلا لاختيار الله له لتحمل عبء الرسالة ومواجهة المشركين بالدعوة الى عبادة الله وحده ، فى زمن كان ملكه وحاكم بلده طاغية من الطغاة ادعى الالوهية جهلا وغرورا بحقيقة نفسه ، ودعا الناس الى عبادته ، فقيل ان كلمة ابراهيم (**أب رحيم**) فى اللغة السريانية ، (احدى اللغات السامية) التى هى لغة قومه فى ذلك الوقت ، أما لفظة الخليل فانها مأخوذة من (**الخلة**) وهى المحبة الخالصة ، والصداقة الكاملة ، وبالطبع فهى خلة ومحبة لله لا لشىء آخر ، فهو قد صفا قلبه لله فأحبه الله وجعله خليلا له ، فى هذا المقام العالى ، اذ الخلة منزلة عالية ودرجة رفيعة ، لم ينلها فى المرسلين غيره ، قال الله جل شأنه : (**وَاتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً**) .

لماذا لقب ابراهيم بالخليل ؟

ذكر الامام ابن قيم الجوزية فى كتابه : « الوابل الصيب من الكلم الطيب » فقال : سمعت شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول : (**أوحى اللّه الى ابراهيم صلى الله عليه وسلم : أتدرى لم اتخذتك خليلا ؟ قال : لا. قال : لأني رأيت العطاء أحب اليك من الأخذ**) . اهـ.وهذه صفة من صفات الخالق جل جلاله ، فانه يعطى ولا يعطى ، ويطعم ولا يطعم ، وقيل انما اتخذه ربه خليلا لاطعامه الطعام واكرامه الضيفان ، ومن هذا ما ذكره الامام السيوطى فى « الدر المنثور » ونسبه الى البيهقى فى الشعب عن عبد الله بن عمرو ابن العاص ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل : (**يَا جِبْرِيلُ لِمَ اتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ؟ قَالَ : لِإِطْعَامِهِ الطَّعَامَ**) .

وكان ثناء الله على خليله ابراهيم ثناء يناسب مقامه عنده ، جاء ذلك فى كثير من الآيات القرآنية ، منها قوله تعالى : (**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ**) ، وقوله تعالى : (**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ، قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا**) . وهذا مدح وثناء من الله على ابراهيم ، وقد علم الله أنه أهل لقيادة أمته والسير بها فى طريق السلامة والنجاة ، وهى طريق التوحيد الخالص ، فكان عليه أن يخلصها من رجس الوثنية وعبادة المخلوق ، وهو الدين الذى كان عليه أهل زمانه وأمته في عبادتهم لملكهم (**نمروذ**)

اذ قد حمله الرسالة ، وفيها الدعوة الى توحيد الله فى العبادة والطاعة ، وفى هذا قال الله : (**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ، قَالَ : إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ، قَالَ : وَمِنْ ذُرِّيَّتِى ؟ قَالَ : لَا يَنَالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ**) .

وقد لاقى ابراهيم من قومه الوثنيين ما لاقاه غيره من الدعاة الى الله والى اصلاح المجتمعات من الفساد وسوء الاخلاق والمعتقدات ، فلحقه اضطهاد وتعذيب من جبار زمانه « نمروذ » الشىء الكثير .

وكان هذا الجبار ادعى الالوهية بعد أن استحوذ على عقول بنى قومه بالقوة والجبروت ، حتى أخضعهم وطوعهم لسلطانه ، فأقروا له بالطاعة والالوهية – مرغمين – على أنه معبودهم ومالكهم وأرزاقهم بيده ، وكانت له مواقف مع رسول الله ابراهيم ، سواء قبل مبدا الرسالة أو بعدها ، ومن لم يعترف لهذا الطاغية بهذه الالوهية ناله ما ناله من أنواع التعذيب والتنكيل الشديدين ، الا الخليل فانه عصاه وسخر منه ومن دعوته الشيطانية ، ومن ادعائه الالوهية ، اذ هو من البشر الضعيف الذى لا حول له ولا طول ، يجرى عليه ما يجرى على أمثاله الضعفاء ، وليس له من القوة الا ما لا مثاله من البشر ، فلا يستطيع أن يدفع عنه بعوضة – وهى أضعف المخلوقات – من البعوض الذى سلطه الله عليه وعلى قومه ، فبعثه الرب القادر الخلاق العليم ، عليهم ليريهم مقدار ضعفهم وعجزهم العجز الذى لا شبيه له ،

ولا نهاية فى العجز بعده ، وقد أعطى الله ابراهيم من قوة الحجة والبرهان ما صير هذا الملك الاله أضحوكة وسخرية فى بنى قومه .

فقد وهب الله لخليله ابراهيم — من صغره — قوة الحجة العقلية وهو ما جعله يسخر من الاوثان وعبادها وعبادتها ، وطاعة المخلوق للمخلوق ، كيفما كان مركزه فى المجتمع ، وقد علم انه لا طاعة الا للخالق الديان ، خالق كل موجود ، ورب كل معبود ، من سائر المعبودات من دون الله زورا وبهتانا .

نشأ ابراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام فى بيئة جاهلة الى أقصى حدود الجهل ، فهى تعبد الاوثان والاصنام وتخضع لها ، وتفعل هذا مع ملكها أيضا ، وهم أهل (بابل) فى العراق ، وكان ملكهم المعبود (نمروذ) بن كنعان مستوليا عليهم وقابضا على ناصيتهم بيد من حديد ، اذ هو جبار شديد البطش بهم وحاكم فيهم بأمره وهواه ، أمرهم بعبادته وطاعته والخضوع له ، من غير أن ينازعه فى هذا منازع ، وذلك لما يقدمه لهم من وسائل العيش ومادته والراحة لهم وأرزاقهم ، كأنه هو الذى خلقها وأوجدها من العدم ، حتى يمن عليهم بها ، وهذا هو سبيل الطغاة والظالمين فى كل زمان ومكان ، وقد ظهر فى هذه السنوات الاخيرة رئيس دولة فى شمال افريقيا يمن على شعبه بمواقفه السياسية فى تحرير بلاده من قبضة الاستعمار ، فقال لشعبه المقهور

به وبطغيانه : (انا الذى خلقتكم ، وجعلت لكم مقاما فى العالم ، والا فمن هم أنتم ، وما هى قيمتكم لولاى ؟؟ وماذا كنتم تساوون ؟؟) وهذا من الغرور البشرى **النمروذى** ، وما درى هو نفسه أنه لولا شعبه أيده واستجاب لندائه وبذل الغالى والرخيص لما كان هو يساوى شيئا ، ولما كان يجلس على كرسى الدولة والحكم ؟ وهذا النوع موجود كما قلت فى كل زمان ومكان ، وهو ناتج عن الغرور بالنفس أو الجهل بحقيقتها .

نعود الى موقف خليل الرحمن اذ فى ذلك الوسط المتعفن بالظلم والطغيان ولد ابراهيم ، ولحكمة يعلمها **الله فقد طهر** قلبه من عقيدة الشرك بالله ، لانه أعده **لحمل أعباء** الرسالة ومحاربة الشرك والباطل والظلم **والجهل** ، حتى لا يقال له اذا حان وقت تحمل الرسالة ، والامر بمحاربة الشرك : أنت كنت تفعل هذا معنا ، **وهذا الموقف** وقع لكافة الرسل الكرام ، كرسولنا محمد **صلى الله** عليهم وسلم أجمعين ، ذلك أن الله سبق فى **علمه** أنه سيبعثه رسولا الى أمته ، فلا تراه فى صغره **يعبد** أوثانهم وآلهتهم الباطلة وملكهم الطاغية ، فبصره الله من زمن حداثة سنه بما عليه قومه من الباطل ، **لذلك** كله توجه خليل الرحمن الى تسفيه أحلامهم ، **فعاب** أصنامهم من صغره ، وبين لعابديها عجزها وسخر **منها** .

وفى القرآن الكثير من هذا ، من ذلك قوله تعالى :
« وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (51)

إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ : مَا هَذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِى أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ؟ (52) قَالُوا : وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (53) قَالَ : لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ (54) قَالُوا : أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ ٱللَّاعِبِينَ ؟ (55) قَالَ : بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ ، وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ ٱلشَّاهِدِينَ (56) » سورة الانبياء .

فكان ابراهيم قوى الحجة ـ كما رأينا ـ وما سنرى مع أبيه وقومه ومع ملكهم أيضا ، فأرانا القرآن كيف كانت حجتهمع الملك حين حاجه بالدليل والاقناع ، لا بالقوة والظلم ، كما فعل معه الملك ، لما عجز عن الحجة، اذ أبهته ابراهيم وأعجزه عن الجواب العقلى المقنع، حين دعاه اليه ليريه قوته وجبروته وظلمه ، فقال له : من هذا الاله الذى تدعو الناس اليه والى عبادته ؟ وهل تعرف ربا والها غيرى هو أولى بالعبادة والطاعة والخضوع منى ؟ فاجابه ابراهيم عليه السلام : بان الاله الحق والمعبود بالصدق هو الله الواحد الاحد الذى لا اله للخلق غيره ، ولا معبود سواه ، هذا هو جواب ابراهيم عليه السلام ، وهو جواب المؤمن الموحد ، فهو غير خائف منه ، لانه مخلوق مثله ، فادعاؤه الالوهية زور وبهتان ، فبين له عجزه وكذبه فيما ادعاه ، نتأمل هذا في قوله عز وجل : « **أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ ؟ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ : رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ ، قَالَ : أَنَا أُحْيِى وَأُمِيتُ ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ : فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ ، فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ، وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى**

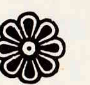
ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ » ، الآية 258 من سورة البقرة. وشتان ما بين الحياتين أو الاحيائين ، فاحياء الله للاجساد منه ، فهو الذى خلق الحياة وانشأها فى الاجساد ، واذا أراد سلبها منها سلبها منها بالموت ، وحياة هذا المغرور أو احياؤه للشخص صورية بحتة ، فانه يأمر بقتل هذا وابقاء ذلك حيا ، فهو لم يخلق الموت والحياة ، انما أمر فقط ، فالمحيى والمميت فى الحقيقة والواقع انما هو الله ، فبحياة الله التى خلقها فى الشخص بقى حيا ، وبموت الله التى خلقها للشخص يموت ، فليس لهذا الجاهل قدرة على خلق أى شيء يسمى موتا أو حياتا ، وكان ابراهيم حاضر الجواب المسكت والمبهت فى آن واحد ، لهذا بهت هذا الملك الكافر واحتار فى أمره ، وعجز عن الجواب الفعلى والعملى حين طلب منه ابراهيم اظهار قوته ان كانت عنده قوة كما يدعى ، بالآتيان بالشمس من المغرب بعد غروبها ، عكس النظام الذى كانت تسير عليه بتدبير الله لها ولسائر الكواكب ، حيث كانت تطلع من المشرق ، فليحول هو طلوعها الى المغرب ، فعجز وانكشف أمره للناس ، واختفى غروره ، وأمثال هذا المخلوق المغرور كثيرون .

فابراهيم عليه السلام تارة يحاج أباه ، وتارة قومه ، وأخرى ملكهم الجبار، كل هذا ليظهر لهم ضلالهم وكفرهم ، وعجز معبوداتهم ، وتقليدهم لآبائهم بلا دليل لهم عليه ، الا التقليد لهم .

فابراهيم ـ امام الموحدين ـ عليه السلام ، يحاج آباه وفومه ويريهم الدليل على وحدانية الله ، اذ هو الاله المعبود بالحق ، ويظهر لهم عجز معبوداتهم حين خوفوه بمعبوداتهم الباطلة والعاجزة عن أن تلحق الضر بأحد فقال حسبما ذكره الله فى القرآن : « وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ، قَالَ : أَتُحَاجُّونِي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ؟ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّآ أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ؟ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ ؟ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ، فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ؟ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ».

يا له من حجاج بليغ ، وحجة دامغة يوجهها خليل الرحمن لقومه المشركين الجاهلين ، فأظهر لهم أنه لا يخاف معبوداتهم العاجزة ، لانها لا تستطيع أن تحدث شيئا الا ما أراده الله المعبود بالحق ، فهو وحده المستقل بالضر والنفع ، وكان الاجدر بالخوف أن يكون منهم ، لانهم عصوا رب الناس الذى بيده كل شىء ، فهذا هو كلام المؤمن بالله الذى احتوى قلبه على عقيدة التوحيد القوية ، وهى التى تصير صاحبها ثابتا عليها ، لا يرهب أحدا ، ولا يداهن مخلوقا ولا يتملق عاجزا مثله ، ولا يخاف الا ممن بيده أرواح البشر وأرزاقهم ، وهذا ما يجب أن يكون عليه المؤمن الموحد لربه ، واذا لم يكن هكذا كان كاذبا فى دعواه الايمان بالله وحده الذى لا شريك له .

ذلكم هو ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام ، وقوة حجته مع خصوم التوحيد ، فهو دائما يقيم لهم الدليل على وحدانية الله ، وأنه الاله الحق ، فلا يقبل الشركة فى ألوهيته ولا فى ربوبيته ، وهذا الهام ربانى وتعليم الهى له ليرشد به المشركين الضالين الى أن المعبود واحد ، لا يسهو ولا ينام ولا يغيب عن معبوده ، فهو معه أينما كان ، حاضر فى قلب معبوده ، ولنتأمل دعوته وحجته هذه ، كيف تدرج بها وارتقى من درجة الى أخرى ، حتى أوقف المشركين على الصحيح من العقيدة والعبادة ، وهذا فى قوله تعالى فى سورة الانعام : (وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَآى كَوْكَبًا قَالَ : هَذَا رَبِّى ، فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ : لَا أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ، «76» فَلَمَّا رَأَى ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ : هَذَا رَبِّى ، فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ : لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِى رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّالِّينَ «77» فَلَمَّا رَآى ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ : هَذَا رَبِّى هَذَا أَكْبَرُ ، فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ : يَا قَوْمِ إِنِّى بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ، «78» إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ «79») .



خليل الرحمن يبحث عن المعبود بالحق :

توجه خليل الرحمن بفكره الصافى الى البحث عن المعبود بالحق ، كى يحق له أن يعبده ويتوجه اليه فى طلبه لقضاء ما قد يعسر عليه من شؤون حياته ، كما يرجوه لآخرته ، وليقيم الدليل للناس على ضلال ما هم عليه وبطلان عبادتهم لغيره تعالى : وهو القادر على كل شىء ، فعبادة الاله القادر العالم الذى لا يخفى عليه شىء وان دق ، هى العبادة الصحيحة اذا كانت خالصة له وحده من كل اشراك لغيره معه ، فهو وحده يعبد لانه أحق بها من غيره ، فهو لا ينام ، ولا يغيب ، ولا يتغير ، وهكذا تدرج بفكره وارتقى بعقله الى أن وصل فى بحثه الى الغاية المطلوبة من العباد ، وهى الوصول الى ادراك الحقيقة ، كى يبنوا عليها حياتهم ، هذا ما رأيناه فى الآيات السابقة من سورة الانعام ، وما نراه الآن فى الآيات الآتية من سورة مريم عليه السلام ، وذلك حين قال لأبيه حسبما نطق به القرآن : **(وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا «41» إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ : يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنْكَ شَيْئًا ؟ «42» يَا أَبَتِ إِنِّى قَدْ جَاءَنِى مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ**

فَاتَّبِعْنِى أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا «43» يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا «44») .

بهذا الاسلوب فى المخاطبة ، يواجه خليل الرحمن أباه ، فى رقة عبارة ، ولطف خطاب فيه نوع من الاستعطاف بلا قسوة ولا غلظة ، وهو يعلم انه على الحق وأن أباه وقومه على الباطل ، حتى اذا لم يستجب اليه أحد من قومه ــ بمن فيهم أبوه ــ تنصل منهم وتبرأ من أعمالهم المخالفة للفطرة ، وتمسك بما وصل اليه تفكيره من توحيد الله وترك ما سواه ، كما قص علينا القرآن هذا ، حين شرح للمؤمنين موقف ابراهيم ومن كان معه من المؤمنين ، فقد تبرأوا من كل مشرك حتى من الوالدين ، وجاهروهم بالعداوة من أجل العقيدة الصحيحة وفى سبيلها ، حيث طلب منا القرآن التأسى والاقتداء بخليل الرحمن ومن كان معه من المؤمنين ، ونبذ الكافرين والعصاة وعدم الاهتمام بهم ، ولو كانوا من أقرب الناس الينا ، فليكن حبنا واحترامنا مبنيا على أساس ما توجبه علينا العقيدة الصحيحة ، بلا مجاملة ولا احترام ، هذا ما جاء فى قوله تعالى : **(قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِى إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ : إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ)** الآية 4 من سورة الممتحنة .

أما ما ابتلى به ابراهيم من أجل عقيدته فذلك مثل رائع ، كاد يكون فريدا فى بابه ، وذلك فى قوة العقيدة التى تستجيب لاوامر ربها وتمتثل له ، ولما يطلبه منها خالقها ، وأى بلاء أو ابتلاءً وامتحان أشد وأقسى من الامر بذبح الولد الوحيد فى زمنه ، فذلك حين أمره الله بذبح ولده « اسماعيل » الوحيد الذى رزقه وهو فى العقد التاسع من عمره ، ذلك ما جاء فى قوله تعالى : (**فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ** «101» **فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ : يَا بُنَيَّ إِنِّيَ أَرَى فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيَ أَذْبَحُكَ ، فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ؟ قَالَ : يَا أَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي ـ إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ ـ مِنَ ٱلصَّابِرِينَ** «102»)سورة والصافات.

فثبت ابراهيم عليه السلام فى هذا الامتحان ، وخرج من هذه المحنة فائزا منتصرا لقوة عقيدته وطاعته لربه، واستمر خليل الرحمن على نهج الدعوة الى الله ، فلم يفتر أو يضعف أو يرهب أحدا من خلق الله ، يدعو الى الله فى الطرقات والمشاهد والمجتمعات العامة والخاصة الى أن أقض مضاجع المشركين ، وعلى رأسهم ملكهم **(نمروذ)** بجنده وقوته ، ولما أعياهم أمره تآمروا على اعدامه واراحة مجتمعهم المشرك منه ومن دعوته ، واتفقوا على احراقه بالنار لما عجزوا عن محاربته ومحاجته ، بما يقبله العقل السليم ، من البرهان والدليل ، وهذا السلاح كثيرا ما يلتجىء اليه الاقوياء بقوة الباطل ، الذين تنقصهم الحجة والدليل ، فيميلون الى قوتهم ، والقوة سلاح العاجز عن المجابهة والمقاومة

بالحجة والدليل ، ومع هذا فلم تغنهم فتيلا ، ولم تنصر باطلهم على حق رسول الله ابراهيم ، فقد ثبت الحق وانتصر بقوة الحق ، وانهزم الباطل واندحر بسلاح الباطل وحده .

خليل الرحمن يلقى فى النار من أجل عقيدته :

فقد أجمع المشركون على قتل ابراهيم واحراقه بالنار بعد أن جمعوا ـ من أجل هذا ـ حطبا كثيرا ، وأوقدوا فيه النار وألقوا فيها خليل الرحمن ، غير ان الله نجاه منها ومن حرها واحراقها ، وأبطل كيدهم ، وخيب مكرهم قال الله تعالى فى ذلك : (**قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ** «68» **قُلْنَا : يَا نَارُ ، كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ** «69» **وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ** «70») سورة الانبياء .

بهذا الاسلوب من القمع والزجر واخفات صوت الحق والدعوة الى الله ، حاول هذا الطاغية وجماعته أن يقضوا على عقيدة التوحيد والدعوة الى عبادة الله وحده وهذا شأن الظالمين فى كل زمان ومكان من قديم الزمان الى يومنا هذا ، والناس يعيشون فى عالم تغيرت فيه كل معالم القرون الوسطى ، تلك القرون الغابرة التى ذهبت وتركت وراءها ذكريات سوداء تعود لنا منها ـ بين الحين والآخر ـ بعضُ الامثلة من تلك الصور والوقائع التى كانت سائدة فى تلك العصور التعسة ، من خنق لأصوات الحق ، وقهر للعباد ، وإذلالهم وجعلهم يؤمنون

ويؤمنون ـ يقولون آمين ـ بكل ما يأمرهم به الطغاة والظلمة ، ويصادقون عليه ـ **بلا تصفيق** ـ ولكن هيهات أن يصلوا الى ما أرادوه هيهات ! ! ! وفى الماضى عبرة بالغة لمن له قلب يعى ويدرك الامور على حقيقتها ، فلا تفكروا فى العودة الى مثلها أيها الطغاة الظلمة أينما كنتم .

فان نمروذ ابراهيم **وفرعون** موسى ـ موجودان في كل وقت ولهم أشباه وأمثال من أمثال **(النمروذ وفرعون)** ـ سعوا بكل قواهم كى يصدوا الناس عن اتباع أمثال ذينك الرسولين الكريمين على الله ـ وعن الدعوة الى الله ـ ويجعلوهم طائعين لهم دون غيرهم ، فيما يبدو لهم ويحلو فى ذوقهم ولو كان قبيحا ومرا فى واقع الناس أجمعين ـ فلم يفلحوا ـ فكما لم يوفق الله الظالمين لنجاح مسعاهم وخيبهم فى ذلك الزمان السحيق ، فكذلك سيؤول أمر جبارى هذا العصر الى ما هو أتعس وأخيب من أولئك الغابرين .

ان الله لم يبلغ هذين الظالمين ما أراداه ، فثار الضعفاء فى وجهيهما وأبوا عليهما دعوتهما الباطلة وردوها عليهما ، وذلك بقيادة هذين الرسولين ، فضربا المثل الصادق لكل حر يريد أن يحرر نفسه من سيطرة الطغاة القساة الظالمين ، فان النمروذ وقومه لما عجزوا عن محاجة ابراهيم بالحجة التى يقبلها العقل السليم لجأوا الى القوة التى هى سلاح العاجز للتغلب على الخصم

الذى غلبهم بقوة الحجة ، التى يقبلها العقل ويرضاها حكما فى النزاع ، فأجمعوا أمرهم على احراقه بالنار والتخلص من دعوته التى أفسدت عليهم شركهم وأبطلت عليهم باطلهم غير أن الله الذى خلق ابراهيم عليه السلام وهداه الى الحق وطريق الرشاد فى صغره ، وأرسله رسولا فى كبره الى عباده ليطهر قلوبهم من عقيدة الشرك والخرافات والبغى ـ كان فى عونه على تبليغ دعوته ونصره على خصومه المشركين ، بمن فيهم ملكهم وغيره ، فأحبط مسعاهم وأفسد عملهم ، وأضل كيدهم ، فباؤوا بالخيبة والخسران ، ونجا رسوله وخليله ابراهيم عليه السلام ، وخلد قصته فى القرآن ، فبقيت تتلى على مدى الازمان لتكون موعظة وعبرة للمغرورين أمثالهم ، ذلك كما قال تعالى فى الآية السابقة الذكر ، من عزم القوم وملكهم على احراقه بالنار للتخلص منه ومن دعوته كى يصفو لهم الميدان ويبقى لهم وحدهم ، حتى يعلو باطلهم على حق الله ودعوة رسوله ، كما تقدم فى تصوير القرآن لحالهم فى قول الله عز وجل ، جل شأنه ، وعظم سلطانه وغلبت قدرته كل مخلوق : **(قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ)** .

هكذا يلجأ الظالمون ـ دوما ـ الى القوة والقهر واخماد شعلة الحق ، واطفاء نور الله ، لينصروا باطلهم على حق الله فى زعمهم ، ولكن محال ما حاولوه ، فقد رد الله كيدهم الى نحورهم ، وأفسد تدبيرهم ، حين أججوا له نارا عظيمة ، جمعوا لها حطبا جزلا ، وأكثروا

منه ، كأنهم يريدون شى عشرات الجمال أو مئات الابقار والثيران ، كل هذا الاستعداد العظيم من أجل رجل واحد وما دروا أن من ورائه قوة الله تحميه من كل سوء ، ذكر جل المفسرين أن النمروذ بنى صرحا عظيما له خاصة ، ليراقب منه عملية احراق النار لابراهيم ، طول هذا ثمانون ذراعا ، وعرضه أربعون ذراعا من أجل أن يراقب عملية التحريق ، بحيث لا يصيبه حر النار العظيمة ، قال بن اسحاق : (وجمعوا الحطب شهرا ، ثم أوقدوها واشتعلت واشتدت ، حتى ان كان الطائر ليمر بجنباتها فيحترق من شدة وهجها ، ثم قيدوا ابراهيم ووضعوه فى **المنجنيق** مغلولا ، فلما أرادوا القاءه فى النار ضجت السموات والارض ومن فيهن من الملائكة وجميع المخلوقات الا الثقلين ـ الانس والجن ـ ضجة واحدة : **رَبَّنَا إِبْرَاهِيمُ ... لَيْسَ فِى ٱلْأَرْضِ أَحَدٌ يَعْبُدُكَ غَيْرُهُ يُحْرَقُ بِالنَّارِ ... فَأْذَنْ لَنَا فِى نُصْرَتِهِ ، فَقَالَ لَهُمْ : أَنَا وَلِيُّهُ وَأَنَا أَعْلَمُ بِهِ** ، وروى أبى بن كعب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حِينَ قَيَّدُوهُ لِيُلْقُوهُ فِى ٱلنَّارِ قَالَ : لَا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ رَبَّ ٱلْعَالَمِينَ ، لَكَ ٱلْحَمْدُ وَلَكَ ٱلْمُلْكُ ، لَا شَرِيكَ لَكَ**) . ثم رموه بالمنجنيق ، من مكان شاسع ، وروى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : (**حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ**) قالها ابراهيم حين ألقى فى النار ، وقالها محمد حين قيل له : (**إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا ، وَقَالُوا : حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ**

ٱلْوَكِيلُ ، فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ) سورة آل عمران ، الآية 173 ، وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه أبو هريرة رضى الله عنه : (**لَمَّا أُلْقِىَ إِبْرَاهِيمُ فِى ٱلنَّارِ قَالَ : ٱللَّهُمَّ إِنَّكَ فِى ٱلسَّمَاءِ وَاحِدٌ ، وَأَنَا فِى ٱلْأَرْضِ وَاحِدٌ أَعْبُدُكَ**) . أخرجه الحافظ أبو يعلى .

وعن سعيد بن جبير أنه قال : حين ألقى ابراهيم فى النار جعل ملك المطر يقول : متى أؤمر فأرسل المطر ؟ فكان أمر الله أسرع فقال : (**قُلْنَا يَا نَارُ : كُونِى بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ**) .

وقال بعض السلف : جعل الله فيها بردا يرفع حرها وحرا يرفع بردها ، فصارت سلاما عليه لا تؤذيه ، وقال كعب وقتادة : لم تحرق من ابراهيم الا وثاقه ، فأقام فى النار مدة قيل انها سبعة أيام وقيل أكثر لم يقدر أحد أن يقرب منها ، ثم جاءوا اليها بعد خمودها فاذا هو قائم يصلى .

أما الظالم (نمروذ) فانه اتخذ صرحا عاليا ـ لينجو من حرها ولهيبها كما مر ـ وليشاهد من بعيد عملية الالقاء والاحراق ، وليشفى غيظه من الداعى الى الله ، ترى ماذا كان بعد هذا الاستعداد العظيم من أجل تحريق واحد من البشر ؟؟ حدث ما لم يكن فى الحسبان ، فقد حدث بعد كل هذه المحاولات الفاشلة أن الله أفسد عملهم ، وأبطل محاولتهم تحريقه بالنار ، لكى يبقى ابراهيم داعيا عباد الله الى توحيد الله وعبادته وحده ،

وترك الشرك والضلال وعبادة المخلوق للمخلوق ، ومقارعة الحجة بالحجة ، لا بالقوة والاحتيال .

هذا وقد وردت روايات كثيرة عن كيفية القاء ابراهيم عليه السلام فى النار التى أججت له بعد جمعهم لها الحطب الكثير ، ولما تأججت واشتعلت وعلا لهيبها الى عنان السماء أتوا بالمنجنيق — وهو آلة حربية كانت تستعمل فى الحروب للقذف ، يقذف بواسطتها ما يريدون قذفه الى المدى البعيد — فوضعوه فى كفة المنجنيق ورموا به فى تلك النار بعد أن أوثقوه وربطوا يديه حتى لا يفر ، وهنا تدخلت العناية الربانية لانقاذ خليل الرحمن من المحنة والهوان اللتين سلطتا عليه بسبب موقفه من الشرك والمشركين ، فأمر أحكم الحاكمين اذ هو الحاكم المطاع الذى لا حاكم غيره ، بيده الامر والنهى ، وله الطاعة المطلقة على كل مخلوق ، ما عدا البعض من بنى آدم فانهم تجبروا وعصوا خالقهم ، فأخر عقوبتهم الى حين ، من غير ان يعجز عنهم أو يخرجوا من قبضته ، فكل شىء طوع أمره وارادته — أمر الواحد القهار النار فقال : (**يَا نَارُ : كُونِى بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ**) . فكانت النار المطيعة لخالقها لذيذة على ابراهيم ، فلا هى بالحارة المحرقة ، ولا هى بالباردة المؤذية ، بل كانت وسطا بينهما ، فسلب منها احراقها وحرها وشدتها ، فكانت بين الحرارة والبرودة يستلذ بها ابراهيم — وهذا عكس ما أرادوه له — فلم تمسه بمكروه ، ولم تؤثر فيه بشىء ولو كان قليلا ، انما

أحرقت فقط الحبل الذى كان موثقا به — الوثاق فأزالت عنه شدته ، فبقى فى النار طليقا يتنعم فيها ، فقد جاءت عنه روايات تفيد أنه قال : (**مَا تَنَعَّمْتُ فِى حَيَاتِى مِثْلَ الْمُدَّةِ الَّتِى قَضَيْتُهَا فِى النَّارِ**) . وفى رواية أخرى : وقال المنهال بن عمرو قال ابراهيم : (**مَا كُنْتُ أَيَّامًا وَلَيَالِىَ قَطُّ أَنْعَمَ مِنِّى فِى الْأَيَّامِ الَّتِى كُنْتُ فِيهَا فِى النَّارِ**) .

ولما خمدت النار ، وسكن لهيبها وهمدت وهمد جمرها وجدوه على حالة من كان فى نعيم لا فى جحيم حتى ان النمروذ اعترف له بحفظ الله له ، اذ روى أنه قال له : **نِعْمَ الْإِلَـٰهُ إِلَـٰهُكَ يَا إِبْرَاهِيمُ** ، وفى بعض الروايات أن قائل هذه الجملة انما هو أبوه .

وجاء فى بعض كتب التفسير والحديث أن البعض من الحيوانات سعت بوسائلها الخاصة لاطفاء النار عن ابراهيم الا (**سَامَ أَبْرَصَ**) وهو الوزغ المعروف ، فانه خالفها فى سعيها وأخذ ينفخ فى النار لتزداد اشتعالا على خليل الرحمن ولهذا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بقتله أين وجد ، وسماه (**فُوَيْسِقًا**) .
أخرج الامام البخارى هذا ورواه عن الصحابية الجليلة (**أم شريك**) رضى الله عنها قالت : (**إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِقَتْلِ الْوَزَغِ وَقَالَ : كَانَ يَنْفُخُ النَّارَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ**) .

هكذا يكون الإيمان بالله وحده وبقدرته على كل شىء ، وقد قال الله وأوضح : (**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ**

فَهُوَ حَسْبُهُ) هذا هو التوكل على الله والاعتماد على قدرته القاهرة لكل مغرور ، فهو ـ وحده ـ الكافى لمن فوض أمره اليه ، والتجأ الى حصنه المنيع ، فيجيء التوكل على الله والاعتماد عليه بالنصر على الخصوم والنجاة من أذاهم ، فقد فقدوا كل مكيدة كادوها لابراهيم وأنجاه الله من كل ما أتوا به ، لان ابراهيم توكل على الله وعلى قدرته وحده (**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**) .

ويروى أن خليل الرحمن ابراهيم عليه السلام لما جعلوا يوثقونه قال : (**لَا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ ، لَكَ ٱلْحَمْدُ ، وَلَكَ ٱلْمُلْكُ ، لَا شَرِيكَ لَكَ**) . وروى أن عمره كان اذ ذاك ست عشرة سنة ، وقيل غير هذا ، والله أعلم. وهذا نظرا لقوله تعالى : (**قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ**) الآية 60 من سورة الانبياء ، فهذه الآيةجاءت بعد قوله تعالى : (**وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ**) الآية 51 من نفس السورة . والفتى هو الشاب .

وكان تحطيم ابراهيم لاصنام قومه المشركين ، وقولهم (**مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ ٱلظَّالِمِينَ**) كان هذا حين رجع القوم من الحفل الذى كانوا فيه ، وهو الاحتفال بعيدهم الذى خرجوا اليه وطلبوا من ابراهيم أن يخرج معهم ويشاركهم فيه ، فأبى واعتذر ولم يخرج معهم ، وتخلف عنهم ليحطم أوثانهم التى أضلتهم وصرفتهم

عبادتها عن عبادة الله وحده ، وعبادة الله وحده هى العبادة الواجبة عليهم وعلى غيرهم من الناس ، أما عبادة الاوثان فهى عبادة باطلة .

محاجته لقومه المشركين :

بذلك الايمان القوى واجه ابراهيم الخليل عليه السلام عداوة قومه وأهله المشركين ، وواجههم بقوله : (**أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ، فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ ٱلْعَالَمِينَ ، ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ، وَٱلَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ، وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ، وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ، وَٱلَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ ، رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّالِحِينَ**) سورة الشعراء من الآية 75 الى الآية 83 .

وتحمل منهم كل ما أصابه من عذاب واهانة وتحريق وغيرها ، وذلك كله فى سبيل الله وفى سبيل عقيدة التوحيد ، العقيدة الصحيحة التى لا ظلم فيها لاحد ، ولم يصرفه عن دعوته ما رآه من قومه المشركين ، قساة القلوب ، وحتى من أبيه الذى كان يقسو عليه ويعامله بما لم يقع ـ عادة ـ من الوالد لولده من العطف والرحمة والشفقة ، فى حين توجهت الى نصرته ملائكة الله وسائر مخلوقاته ، وكل الحيوانات التى لا تعقل ، ما عدا الوزغ ـ الفويسقة ـ وقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بعداوة الاقارب لرسل الله ، فيما أخرجه ابن عساكر

عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**أَزْهَدُ النَّاسِ فِى الْأَنْبِيَاءِ وَأَشَدُّهُمْ عَلَيْهِمُ الْأَقْرَبُونَ**) .

قال سعيد بن جبير ـ وروى عن ابن عباس أيضا ـ لما ألقى ابراهيم فى النار جعل خازن المطر يقول : متى أؤمر بالمطر فارسله ؟ قال فكان أمر الله أسرع من أمره ، قال الله تعالى : **(يَا نَارُ : كُونِى بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ)** وقد تقدم ـ قريبا ـ مثل هذا القول ، وذكر الامام السيوطى فى الدر المنثور قول أبى ابراهيم حيث قال : وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن أبى هريرة قال : ان أحسن شىء قاله أبو ابراهيم لما رفع عنه الطبق وهو فى النار وجده يرشح جبينه ، فقال عند ذلك : (نعم الرب ربك يا ابراهيم) وقيل ان النمروذ قال له هذا كما مر هكذا كان الامر ، فنجاه الله من كيد المشركين ، وحفظه من هذه الداهية العظيمة التى أصابته من أجل عقيدته ، عقيدة التوحيد ، فوثق بالله ووعده ، ولم يعبأ بكيد الكائدين ، وفى هذا قال الله تعالى : (**وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ**) ، أى المغلوبين الاسفلين ، ورفع مقام خليله ابراهيم عليه السلام .

هذا هو الايمان القوى الذى يجعل المؤمن لا يخاف المخلوق وقوته وجبروته وبطشه ، ولا يخاف الا الله هكذا كان موقف ابراهيم ، فهو لم يخف الا الله الذى أمره بتبليغ دينه واظهاره بين خلقه ودعوة عباد الله اليه

ولم يكترث بما أصابه ويصيبه فى طريقه من عقبات وتهديدات ومحاولات ، وقد قال الله لرسوليه ـ موسى وأخيه هارون ـ حين أرسلهما الى فرعون : (**إِنَّنِى مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى**) . وقال لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم : (**وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا**) . ذلك ان النصر من الله وقد وعد به عباده المؤمنين الثابتين على عقيدتهم الذين لم يغيروها ولم يبدلوها لارضاء فلان الحاكم أو فلان الغنى ، فان الحق أحق أن يتبع ، وقد نصر الله خليله ورسوله ابراهيم عليه السلام ، وأبطل كيد القوم ومكرهم ، والله جل شأنه ، وعظم سلطانه ، قال فى أمثال هذه المواقف لتأييد أنصار دينه فى كل زمان ومكان : (**وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ** «50» **فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ ، إِنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ** «51») سورة النمل . وقال : (**إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً** «15» **وَأَكِيدُ كَيْداً** «16» **فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً** «17») سورة الطارق . وقال : (**وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ**) 183 من سورة الاعراف ، وقال ها هنا : (**وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ**) سورة الانبياء الآية 70 حيث أراد ملكهم نمروذ وأصحابه أن يمكروا بابراهيم ويبطلوا دعوته الى الله ، فجعلهم الله هم الخاسرين فى أعمالهم ومحاولاتهم ، وجعل خليله هو الرابح الذى خرج من هذا الامتحان والمعركة فائزا منتصرا ، ورد الله مكرهم فى نحورهم حين سلط عليهم أضعف مخلوقاته وهو البعوض كما ذكره المفسرون .

فقد ذكروا فى تفسير الآية (**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ**) الخ ، تلك المناظرة أو المحاورة التى دارت بين خليل الرحمن من جهة ، وبين الطاغية النمروذ من جهة ثانية ، وبواسطتها ظهر عجز النمروذ ، وبهت أى احتار ولم يستطع أن يدفع حجة ابراهيم التى قامت عليه وأظهرت عجزه ، فصار كأنه أخرس لا يستطيع أن يتكلم وهو الذى دام ملكه أربعمائة سنة الى زمن ابراهيم فقط على ما ذكر ، وكان جبارا قويا ، فساقه غروره بنفسه الى أن أنكر وجود خالق كل شىء ، وهو الله رب العالمين ، وكان قابضا على أرزاق الناس ــ وبهذا تجبر ــ فكان يعطى الطعام لمن أقر له بالالوهية ، ويمنعه عمن لا يقر له بها ، فصادف ذات يوم أن جاء ابراهيم يمتار ويشترى الطعام لاهله فدخل على النمروذ كما دخل عليه من جاء يمتار ، وكان الملك يسأل كل من جاء لاخذ الميرة ــ الطعام ــ فيقول له : من الهك ؟ فمن قال : أنت ، أمر له بالميرة ، ومن لم يقل هذا منع عنه الطعام ، فجاء ابراهيم ودخل عليه للميرة كما دخل عليه الناس للغرض ذاته ، فسأله النمروذ : من هو ربك ؟ فأجابه ابراهيم بما هو فى عقيدته : (**رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ**) أى يخلق الموت كما يخلق الحياة ، فقال له : هل هناك اله غيرى ؟ فقال له : نعم هو الله ، ولا اله غيره ، وأنت عاجز ، فأمر بمنعه من أخذ الطعام ، فعاد الناس الى أهلهم بالطعام ، وهم الذين أقروا له بالالوهية ، وعاد ابراهيم الى أهله بدون طعام ، وبالغرارتين فارغتين ، وبقلبه العامر

بالايمان بربه ولم يبع دينه وعقيدته بشىء من الطعام ليملأ بطنه ويعطل عقله ، وذكر المفسرون أيضا ان ابراهيم لما كان فى الطريق مر بكثيب رمل ففكر فى أمر رجوعه بدون طعام ، وماذا يقول لاهله وأولاده ، أمام جيرانه وهم يعودون بأحمال مثقلة بالطعام ، ويعود هو فارغ الغرارتين ، فكر ابراهيم فى هذا ، فملأ الغرارتين رملا من ذلك الكثيب ليعود بهما عامرتين ــ على أعين الناس ــ حتى يظهر للناس أنه عاد بالطعام ليفرح ــ أهله وأولاده ــ به كما يفرح جيرانه وأولادهم بما جاءوا به ، ولما وصل الى منزله وأناخ راحلته وأنزل الغرارتين تعب من السفر فنام ، فقامت امرأته ــ سارة ــ الى الغرارتين وفتحت احداهما فوجدتها مملوءة بدقيق جيد ما رأت مثله جودة وبياضا ، فصنعت منه طعاما وأيقظته من نومه ليأكل ، فرآى طعاما جيدا فقال لها : **مِنْ أَيْنَ جَاءَكُمُ الطَّعَامُ** ؟ فقالت له : هذا من الدقيق الذى جئت به، فعلم أن الله هو الذى رزقه به، وأنه رزق ساقه الله اليه ، فالله هو الرزاق وهو خير الرازقين (**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**) . جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم أن أحد الصحابة ، ــ واسمه عوف بن مالك الاشجعى ــ أسر العدو ولده وجزعت الام فشكا اليه ما وقع ، فأمره أن يكثر من قول : **لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ** هو وأمه مع التحلى بالصبر ، ففعلا ، وبينما العدو فى غفلة قام الولد وفر من الاسر وساق غنم القوم أو ابلهم وجاء بها الى والديه ، فنزلت

الآيـة السابقـة تصديقـا لما قالـه لـه رسـول الله صلى اللـه عليـه وسلـم . فابراهيـم لما منعـه النمروذ من الطعام ، أعطاه الله طعاما أحسن من طعام النمروذ ، ليظهر الله لعباده عجز الناس وقدرته وأنه هو الرزاق لا سواه ، وفى وقتنا هذا نرى أشباها للنمروذ فى بعض الحكام ، يمنعون الوظيفة لطلب العيش عمن لا يوافقونهم على سياستهم التى يسوسون بها البلاد . فهم نماردة هذا الزمان ، وسيلقون ما لقيه سلفهم .

ان النمروذ أنكر وجود الله ، وأنكر أن يكون ثم اله غيره ، وأنه بيده رزق الناس ، فمن أقر بألوهيته أعطاه ومن أنكرها منعه ، كما أنكر هذا بعده (فرعون) وادعى جهلا وغرورا مثل ما ادعاه النمروذ قبله ، وقال لمن حوله : (**مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِي**) . فكانت عاقبـة هذين الطاغيتين الموت على أسوإ حالة من حالات الموت ، ففرعون مات غريقا فى البحر ولـم تنفعه تلك القوة التى كان يدعيها ، وبقيت وفاته عبرة لمن جاؤوا بعده لو كانوا يعتبرون بدروس الماضى التى قضت على الجبابرة .

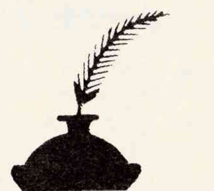
أما النمروذ فقد سلط الله عليه أضعف مخلوقاته ، وهو البعوض ، فقد سلطه الله عليه وعلى مصدر قوته وهو الجند فبعث الله عليهم شيئا عظيما من جنـده ـ البعوض ـ كما ذكر المفسرون ، فأكل لحومهم وشرب دماءهم وتركهم عظاما مجردة ، أما طاغيتهم فقد دخلت واحدة فقط من ذلك البعوض ـ جنـد الله ـ منخره

وتسربت الى دماغه وبقيت فيه مدة من الزمن ، يتألـم منها شديد الالم ، ودام بقاؤها فيه حينا من الزمن الله أعلم به ، وبعض المفسرين يقدرها بأربعين سنة . الله وحده أعلم بها ، كل هذا زيادة له فى العذاب ، وحرمته ـ بطنينها ـ نعمة التمتع بالحياة ، وكان يحب من يضربه على رأسه لتسكن هى وليذوق هو شيئا مـن الراحـة بسكونها ، وهذا أعز الناس عنده ، وبقى على هذا الحال حتى هلك ومات .

هذه نهاية الجبابرة الطغاة فى كل زمـان ومكان ، تختم حياتهم بأسوا حالات الموت ليكونوا عبرة وموعظة للغافلين عن قدرة الواحد القهار ، فانهم كانوا اذا أحسوا بشيء من القدرة والقوة بتسلطهم على الضعفاء من خلق الله وخضع لهم هؤلاء الضعفاء غرتهم أنفسهم الدنيئة ، فظلموا عباد الله ، ونسوا الخالق العليم القوى ، وظنوا أنهم بمنجاة من قبضته ، حتى تحين ساعتهم التى قدرها لهم « **إِنَّ ٱللَّهَ يُمْهِلُ وَلَا يُهْمِـلُ** » فاذا جاءت ساعتهـم لا ينفعهم جند ولا حصون ولا قوة مهما عظمت، ولا أحذق وأمهر أطباء العالم أجمع ، ولو أحضروا معهم أحـدث الاجهزة الطبية وأصناف الادوية، فلا يرد ذلك ما قدره الله، قال الله تعالى : « **إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ** » . من الآية 4 من سورة نوح عليه السلام ، وقال « **فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ** » هكذا قال الله الخالق الرزاق الواحد القهار فى القرآن

... فأين ذهبت عقول العباد ؟؟؟ ولا حول ولا قوة تقف أمام قوة الله ، فالنمروذ مات ببعوضة ، وفرعون مات غريقا فى البحر ، وفى هذين عبرة لمن كان له قلب يفكر ويفهم ولمن أراد أن يعتبر من العباد المغرورين ـ وما أكثرهم ـ كما هو درس بليغ وفصيح للناس أجمعين .

فالقوة والامر والحكم لله وحده وهو رب العالمين .



— 2 —

الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وما أصابه من قومه المشركين وأول من أظهر الاسلام

عندما يظهر الشرك والكفر بالله الخالق لكل مخلوق ، تأتى رحمة الله بعباده ، فيتداركهم بارسال رسول منهم ينقذهم مما هم عليه ، وينجيهم برحمته من غضبه على المشركين ، الذين تركوا عبادة الله الواحد التى تجب عليهم له جل علاه ، وأقبلوا على الانداد والاوثان حيث اتخذوها شريكة له فى العبادة ، وخصوها بالقسم الاكبر منها. هكذا كانت حياة البشر فى الازمنة الغابرة ، موزعة بين الشرك بالله والايمان به ، كفر وجحود للخالق الواحد وايمان به وبألوهيته ، وهذا نتيجة لبعث رسول من رسل الله أنقذ به البشر الى حين ، اذ لا يليق بمعبود يرجى لجلب الخير ودفع الضر عن عابده أن يترك عابده تلعب بعقله رؤس الشرك والضلال ، فتوقعه فى الغواية والخسران لان الانسان عاجز عن ادراك الحقيقة كما هى ، فيما يخص الخالق ، وما يجب له على عباده ، من الطاعة والعبادة على وجهها الكامل ، وذلك لضعفه عن ادراك ذلك ، فهو يستعين بقدرته

ـ تعالى ـ وتدبيره على تحصيل ما يريد من جلب الخير والمنفعة له ، والاستعانة بقدرته على دفع ما يضر بـه وبمصالحه ، وفى مقابل هذه العقيدة الصحيحة يخضع لقدرته ويراه أهلا للطاعة والعبادة ، والخوف من غضبه وسطوته وانتقامه ممن عصاه وكفر به .

ولد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فى « مكة » المكرمة ، ونشأ بها فى وسط قوم مشركين بالله ، يعبدون الاوثان والاحجار ، ويعتقدون فيها أنها شريكة لله فى الالوهية ، والعبادة ، وأن عبادتها تقربهم الى اللـه ، وتضر من لم يعبدها ، وتنفع مـن عبدها ، اذ قالـوا : « **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَى** » . سورة الزمر الآية : 3 .

وهذه هى عقيدة المشركين من قبل فى آلهتهم ، كما قال أصحاب رسول الله «**هود**» عليه السلام لرسولهم هذا : (**قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ ، وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ ، وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ** (53) **إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ، قَالَ : إِنِّي أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ** (54) **مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ**) (55) سورة هود . هذه هى عقيدة المشركين فى آلهتهم ، وهى عقيدة ساذجة ، لا تفكير فيها ، حيـث اعتقدوا أنها تنفع وتضر ، فلو فكر المشركون ـ قليلا ـ في آلهتهم لما قالوا فيها ما قالوه عن عقيدة، تدل على الجهل والغباوة وقصر النظر ، فكيف تستطيع الحجارة أو غيرها أن تلحق السوء والضر بمن لا يؤمن بها .

من أجل ابطال هذه العقيدة الفاسدة جاءت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم من الله اله العالمين لمحمد صلى الله عليه وسلم وأمره بتبليغها ـ اذ هى رسالة التوحيد ـ الى هؤلاء المشركين والى غيرهم ، فرسالة محمد صلى الله عليه وسلم عامة الى الناس كلهم وهى مستمرة على عمومها الى قيام الساعة وانقضاء الدنيا. كما قال الله فيها وفيه : « **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ ، بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** » ، سورة سبا ـ الآية : 28 . وقـال : « **قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعـًا** » ، سورة الاعراف ـ الآية : 158 .

وليس من الهين على أناس ألفوا عقيدة ولو كانت باطلة ومجانبة للحق والعقل أن يقلعوا عنها باديء ذى بدء من غير حوار ومجابهة مرات ومرات ، فكان فى المبلغين من آمن بها وقبلها وأقبل عليها وتذوقها وسعى فى نقلها الى أهله وعشيرته وجيرانه ومن له صلة به ، بل ودافـع عنها وعادى من أجلها وحارب لنصرتها حسب ايمانه ، فكان الذين أقبلوا على الدعوة المحمدية فى أول الامـر قليلين ، لكنهم أخذوا فى الزيادة بالرغم مما تجده الدعوة والدعاة فى سبيلهما من المقاومة الشديدة والحاقدة عليها وعليهم ، لكنها كانت تستند الى قوة عقيدة الدعاة ، فهانت عليهم أرواحهم وأموالهـم وأهلهـم فى سبيل نشرهـا وتأييدها والدفاع عنها ، وهذا ما جعلها تتقوى شيئا فشيئا رغم كل ما ذكر .

وهذا سبيل كل دعوة تستند الى الحق والحجة والاقناع، ولم تفرض على الناس فرضا ، ولم تنتشر بالكذب والتزوير والبهتان والاغراء بالوظيف أو بالمال والجاه ، شأن الدعوات السياسية منها وغيرها .

وذلك ما جعل الدعوة الاسلامية تنتشر بسرعة مدهشة ، ففى مدة عقد من الزمن بلغ صيتها الاماكن البعيدة عن مركزها الاصلى ، ولم يوجد فى ذلك الوقت من وسائل النشر والاعلام لايصالها الى خارج حدودها ما يساعد على هذا ، فأقبل عليها وعلى اعتناقها والدعوة اليها ـ أناس فتح الله لهم أبصارهم وبصائرهم ، ففازوا بالسبق اليها ، فمنهم من استشهد فى سبيل عقيدته الحديثة الصحيحة ، ولم يبخل عليها بروحه وماله ، ومنهم من سلمه الله حتى رآى رأى العين ثمرتها ونتيجتها التى ظهرت للبشرية كلها ، فتطهرت العقول والافكار من أقذار الشرك والوثنية التى ألحقت بالانسان المذلة والخزى والعار ، حيث جعلته عقيدة الشرك ينقاد ويستسلم للاوهام والخرافات معرضا عن الحقائق البينة الثابتة بالحجة والبرهان ، اذ لم تكن العقيدة الاسلامية ـ عقيدة التوحيد ـ تفرض على الناس بالقوة والقهر والكذب والتزوير ، مثلما تستعمله ـ الآن ـ بعض العقائد الالحادية التى تفرض بالقوة على الشعوب الضعيفة والمضطهدة ، ويدعى جالبوها ومروجوها انها اختيار شعبى ، بمعنى أن الشعب هو الذى اختارها ورضى بها ، ولماذا هذا التزوير ؟ وما الداعى اليه ؟ ذلك

لان بعض المسؤلين فى تلك الشعوب وجدوا فيها مكسبا ومغنما ومعينا لا ينضب ولا يغيض من الكسب غير المشروع قانونا وعرفا وأخلاقا ، من متع الدنيا وملذاتها وشهواتها ، وجندوا لها جنودا من المرتزقة ، هم أشبه شىء بجنود « الفرقة الاجنبية » فى الجيش الفرنسى التى كانت عندنا بالجزائر ، وقد عاثت فى الوطن فسادا ـ بالقتل والنهب وغيرهما ـ وقد طهر الله منها ومن جرائمها الوطن بفضل حرب التحرير وبنعمة الحرية والاستقلال ، هؤلاء المرتزقة الذين يدافعون عنها ويرغبون الناس فى عقيدة الالحاد ، ويقولون لهم انها أفضل من الشرائع السماوية التى جاء بها الرسل الكرام من عند خالق الخلق أجمعين ، ومدبر الاكوان ، ومع ما أفسح لها من مجالات لنشر دعوتها الالحادية فانها لم تجد فى الشعوب الحية ذات العقيدة الصحيحة الا الرفض والاهمال ، والصدود والاعراض عنها وعن مروجيها متبوعة باللعنات التى تتبع دائما أصحاب **الضلالات** .

ان العقيدة الاسلامية وشريعتها الكاملة جاءت بحرية الرأى والفكر والقول والحوار فى كل شىء ، ولم تلزم أحدا بقبولها بالقوة ، ذلك ما نجده فى قوله تعالى : « **لَا إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ** » . سورة البقرة ـ الآية : 258 . كما قال الله لرسوله الداعى اليه بأذنه والى العقيدة التى أمره بالدعوة اليها وتبليغها الى عباده مخاطبا له بقوله : « **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِى**

الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً ، أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ؟ » سورة يونس ـ الآية : 99. فالشريعة الاسلامية وعقيدتها تقبل ممن يريد أن يتعرف عليها وعلى حقيقتها الحوار فى سبيل ذلك ، فكم من مجالس عقدت لهذا الغرض مع المخالفين لها ، حتى اذا اتضح الامر وبان المقصود اقتنع كل واحد بما مالت نفسه اليه بلا الزام ، فمنهم من آمن ومنهم من كفر واستمر على كفره وعقيدته وأمر الله رسوله بأن يقول : « **وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ** » سورة الكهف ـ الآية : 29 .

لكن بعض المشركين الغشمة (ومن على شاكلتهم فى هذا العصر) لا يحلو لهم البحث والحوار من أجل البلوغ الى الحقيقة ـ والحقيقة بنت البحث دائما ـ فيعمدون الى الزام الناس واجبارهم على اعتناق مذهبهم والعمل بعقيدتهم ، فيعتمدون على القوة والجبروت والطغيان ، ومثل هذا السلوك لا يفيد الدعوة بشىء ، فسرعان ما تنقلب على صاحبها وتريه عكس ما رآه وذهب اليه ، مثلما وقع من أصحاب الاخدود الذين ذكرهم الله فى القرآن ـ وستأتى قصتهم قريبا ان شاء الله ـ اذ شرح الرسول صلى الله عليه وسلم ما وقع لهم كما جاء فى حديث الامام مسلم فى صحيحه عن صهيب رضى الله عنه ، اذ فى قصص القرآن عبر وأى عبر لمن كان له قلب يفكر ويعتبر ، كما قال الله تعالى : « **لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ ، مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى** » سورة يوسف الآية : 111 .

وقد أصاب المسلمين ـ قديما وحديثا ـ ما أصابهم من أذى واضطهاد من أجل عقيدتهم فى دينهم ، ولكن هل صدهم عنها هذا الذى لاقوه فى سبيلها ؟ كلا والله ... فانهم تمسكوا بها وازدادوا حبا لها ، وايمانا بها ، ودفاعا عنها ، ونصرة لها .

وبهذه المواقف الشجاعة تنتصر ـ دائما ـ عقيدة الحق على عقيدة الباطل ، فمهما ازداد الطاغون فى طغيانهم الا وقابلهم المستضعفون بثباتهم على عقيدتهم وايمانهم بها الى ان ينصر الله أهل تلك العقيدة الحقة ـ بعد الامتحان لهم بما يصيبهم فى سبيلها ـ على أهل عقيدة الباطل والضلال والوثنية الباطلة ، وقد لحق ضعفاء المسلمين من أقوياء المشركين شىء كثير من العذاب والاضطهاد ـ وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فالظالمون يزدادون كل يوم عتوا وطغيانا ، والمؤمنون عددهم فى نمو وازدياد وصبر وثبات وتحمل لاذى المشركين ، حتى كانت الهجرة الى المدينة المنورة ، وبعدها جاء النصر من عند الله للحق على الباطل ، ودارت الدائرة ـ كما هو الشأن فى مثل هذا ـ على البغاة والمفسدين أعداء الحق وأنصار الباطل .

ومن الذين أصابهم اضطهاد مشركى قريش وجبابرتها رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد لحقه من قومه وعشيرته من هذا الشىء الكثير ، ولا ننسى موقف عمه أبي لهب وزوجه أم جميل « **حَمَّالَةَ الْحَطَبِ** » وفى هذا

دليل على ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من الاذى الذى أصاب أصحاب الدعوة المحمدية وأنصارها ، وفى هذا قال شوقى رحمه الله :

وَكَانَ مِنْ أَفْحَشِهِمْ أَبُو لَهَبْ عَمٌّ وَلَكِنْ مَذْهَبَ اَلسُّوءِ ذَهَبْ

ومثل الانبياء فى هذا العلماء والدعاة الى الله والى شرع الله ، اذ هم ورثة الانبياء والمرسلين فى التبليغ ، والنواب عنهم اذا غابوا فى تبليغ دعوتهم ، فيلحقهم ما لحقهم من طغاة الحكام الجاهلين لشرع الله ، اذا عارضوهم ولم يوافقوهم ولم يتواطؤا معهم ، على الضلال ولو بالسكوت عنهم ، اذ قد وجدوا السكوت فى بعض من ينسبون الى العلم والدين فبينما يجد هذا الصنف من العلماء المزعومين الحظوة عند الحكام الظلمة لسكوتهم عنهم يلقى الصنف الآخر منهم الرقابة الصارمة والمعاكسة التامة فى كل شىء ، وقد سلطت عليهم الشرطة السرية تحصى عليهم أنفاسهم وخطواتهم ، فهم ــ دائما ــ فى متابعتهم وملاحقتهم ــ كأنهم الحفظة ــ من أجل الموقف الحر الى جانب الدعوة الى الله وفى سبيل الله ، وذلك النوع من العلماء المتملقين ضعفاء الايمان بربهم وبدينهم الذين يسيرون فى ركاب المحاربين لتلك الدعوة والعقيدة موجودون فى كل زمان ومكان ، واذا لزم الامر ودعت الحاجة الى ابطال السنن النبوية المؤكدة ، أو ابتداع سنن أو فرائض أخرى أجابوا الى ما يطلب منهم ، وكانوا أسرع من البرق فى لمعانه الى هذه الاجابة بطرق فلسفية

عجيبة فى باب الفلسفة الدينية ــ ان كانت لاحكام الدين فلسفة ــ كابطال سنة الاضحية المؤكدة ــ مثلا ــ بدعوى لا أصل لها فى الاسلام ، من تقديم الواجب على السنة بفكرة مخترعة متفلسفة ، وفى هذا قتل وتعطيل للسنن المؤكدة ، اذ الاضحية سنة الانبياء والمرسلين من زمن ابراهيم الى رسولنا محمد صلى الله عليهم ــ جميعا ــ وسلم ، ونحن مأمورون باحياء السنن لا بقتلها . كما فعل وضّاعو الحديث الموضوع عن النبى صلى الله عليه وسلم تزلفا للحكام والملوك .

وقد ظهر فى وقتنا هذا زهد واهمال لجانب العلم والدين ، وفى بعض الاوقات تزهيد فيه متعمد ومقصود، وقد لحق العلماء نصيب من هذا ، وكى لا يفشل العلماء ولا يتأخروا عن واجبهم طمأنهم الرسول صلى الله عليه وسلم بأنهم سينالهم ما نال الرسل عليهم الصلاة والسلام، حيث قال فى العلماء العاملين ما قاله فى الانبياء والمرسلين بحكم الوراثة ، وذلك حين قال : (**أَزْهَدُ اَلنَّاسِ فِى اَلْعَالِمِ أَهْلُهُ وَجِيرَانُهُ**) . أخرجه أبو نعيم فى الحلية عن أبى الدرداء رضى الله عنه ، وقد شاهدنا هذا بأعيننا فى وطننا مع كبار علمائنا ، كالشيخين : عبد الحميد ابن باديس ، ومحمد البشير الابراهيمى وغيرهما ، رحمهم الله على قيامهم بما فرض عليهم فى أوقات صعبة جدا ، فقد كانوا موضع عناية ورعاية واحترام من الناس الاباعد عنهم ، نسبا أو دارا ، وهذا حين يفارقون

أهلهم وجيرانهم ، سواء فى داخل تراب وطنهم أو فى خارجه ، وينزلون بين أبعد الناس عنهم نسبا أو دارا . ولا يجدون بين أهلهم وجيرانهم ما يجدونه خارجهما ، فهذه المعاملة احدى سنن خلق الله فى عباده ، من القديم الى الآن ، فلا عتاب ولا ملامة فيما جرت به السنن الالهية، وما ذكرت هذا الا للعبرة والاعتبار .

الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وحلف الصحيفة :

لما شاهد مشركو قريش فشو الاسلام وسرعة انتشاره كما شاهدوا أن قوتهم وتعذيبهم لضعفاء المسلمين لم تجدهم نفعا ، بل ما زاد الاسلام الا انتشارا بين الناس فلما رأوا هذا عمدوا الى مقاطعة آل الرسول صلى الله عليه وسلم من بنى هاشم وبنى عبد المطلب بنى عبد مناف ، واتفقوا على مقاطعتهم ، بأن لا يتعاملوا معهم ، كما أجمعوا أمرهم على أن لا يجالسوهم ، ولا يبايعوهم ، ولا يكلموهم ، ولا يدخلوا بيوتهم ، ولا يتزاوجوا معهم ، حتى يسلموا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلوه ، وكتبوا بهذا صحيفة ذكروا فى صلبها هذا وأكدوا ذلك بالعهود والمواثيق ، على أن لا يقبلوا من بنى هاشم صلحا أبدا ، ولا تأخذهم فيهم رأفة حتى يسلموا لهم رسول الله للقتل .

وتم لهم هذا بمحاصرتهم لبنى هاشم فى شعب أبى طالب ـ الشعب بكسر الشين شق فى الجبل يشبه المخبأ ـ فلبث بنو هاشم فى الشعب ، ومعهم رسول الله صلى الله

عليه وسلم ـ ثلاث سنين ، كما ورد فى كتب السيرة واشتد عليهم البلاء والجهد والجوع ، وقطعوا عنهم الاسواق ، فلا بيع ولا شراء معهم ، اذ يريدون من وراء هذا سفك دم الرسول صلى الله عليه وسلم ، فاتفق بنو هاشم وبنو عبد المطلب ـ مؤمنهم وكافرهم ـ وهم فى الشعب تحت الحصار على أن لا يسلموا رسول الله اليهم ليقتلوه ، ما عدا أبا لهب ـ طبعا ـ اذ هو وأولاده فى صف المشركين انحازوا اليهم من أول يوم ، والمقصود بهذا الحصار تجويع الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به ، اذ هو نوع من أنواع أعمال الطغاة ، وأسلوب معروف من أساليبهم ، كما فعلت ـ حديثا ـ دولة أمريكا هذا مع الجمهورية الاسلامية الايرانية فى ايامنا هذه ، ودعت الدول التى تسير فى فلكها ـ وحتى من بعض الدول العربية والمسلمة أيضا على ما هو مكتوب فى دستورها ـ الى مساندتها فى عدم التعاون مع الجمهورية الاسلامية الايرانية ـ يا له من أسلوب كاذب تستروا وراءه ـ كل هذا لما رأوها تعمل للاسلام ، اذ شرعت فى تطبيق حدوده وأحكامه ، كحد الزنى والسرقة والقتل ، وأنها سائرة فى طريق التقوى وبناء دولة اسلامية قوية ، فبعض جيرانها خشوا من شعوبهم أن يسلكوا نفس المسلك الذى سلكه الشعب الايرانى المسلم فوضعوا فى طريقها العراقيل ، وهم فى هذا مدفوعون اليه من أعداء الاسلام ، اذ ما هم الا منفذون لما يرغب

فيه أعداء الاسلام ، فأمثال مشركى مكة موجودون فى كل زمان ومكان .

وعندما اشتد أذى مشركى قريش على المسلمين شرعوا فى الهجرة الى خارج نفوذ المشركين ، فبعض المسلمين هاجروا الى الحبشة المسيحية ، اذ وجدوا فى حاكمها «النجاشى» حسن الاستقبال والجوار والرعاية والامان وسعة الصدر ، وهذا لم يجدوه بين أهلهم وفى بلدهم مكة ، اذ لم يضق صدره من المسلمين ، وهم فى بلده ، وان كانوا مخالفين له فى عقيدته ودينه ، ذلك لانه مسيحى صميم غير متعصب ، ولم يكن فى قلبه أى حقد على الاسلام وعقيدته ، وقد أثنى الله فى القرآن عليهم ـ الحبشة ـ كما جاء فى قوله تعالى : (**لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا ، وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا ٱلَّذِينَ قَالُوا : إِنَّا نَصَارَى ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا ، وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ**) . سورة المائدة ، الآية 82 .

ان حلف الصحيفة التى كتبها مشركو قريش وتحالفوا على تنفيذ ما جاء فيها أمره معروف ، والغاية منه كذلك ظاهرة ، ان القوم أرادوا بذلك الحصار معاقبة الرسول الكريم انتقاما وانتصارا لأحجارهم المعبودة من دون الله ، وخاصة اذا علمنا أنهم كانوا يعتقدون نجاح عملهم هذا ، وهذا كيد وخيانة ، والله لا يهدى كيد الخائنين ، وقد أفسد الله عليهم هذه الخطة الشيطانية ، اذ اتفقت كلمتهم على هذا الحلف

والمقاطعة والحصار ، فقد كتبوا ما اتفقوا عليه ـ كما سلف ـ فى معاهدتهم تلك ، وأطلقوا عليها اسم (**حلف الصحيفة**) وتواثقوا على ما فيها ، فكتبوها وعلقوها فى جوف الكعبة ، فعلوا هذا توكيدا للعهد والحلف ، وانحازت بنو هاشم ، وبنو عبد المطلب ـ وهم بنو عبد مناف ـ الى أبى طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم وكافله فى صغره ، ودخلوا معه فى شعبه وانضموا اليه وخرج عن جمعهم هذا أبو لهب عم النبى صلى الله عليه وسلم ودخل مع قريش فى حلفها ولم يدخل مع بنى هاشم عشيرته وأهله كما مر قريبا ، وظاهر قريشا ، وهذا من تأثير العقيدة وان كانت باطلة .

قال ابن اسحاق : وحدثنى حسين بن عبد الله أن أبا لهب لقى هندا بنت عتبة بن ربيعة ـ زوج أبى سفيان ابن حرب ـ حين ترك قومه وانحاز الى قريش فى حلفهم فقال لها : يا بنت عتبة هل نصرت اللات والعزى وفارقت من فارقهما وظاهر عليهما ؟؟ قالت : نعم ، فجزاك الله خيرا يا أبا عتبة .

وقال ابن اسحاق أيضا : وحدثت أنه كان يقول فى بعض ما يقول : يعدنى محمد أشياء لا أراها ، يزعم أنها كائنة بعد الموت ، فماذا وضع فى يدى بعد ذلك ؟ ثم ينفخ فى يديه ، ثم يقول : ـ مخاطبا يديه ـ تبا لكما ما أرى فيكما شيئا مما يقول محمد ، فأنزل الله فيه (**تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ**) وفى كلامه هذا سخرية

واستهزاء بما يعده به الرسول صلى الله عليه وسلم ، من الجنة وغيرها، وهذا الوعد من الله، وعد به المؤمنين.

وكان فى المشركين من لم يرض بهذا الحصار من قريش على بنى عبد مناف ـ فكان يحمل الجمل بالطعام ويأتى به فى الليل حيث لا يراه أحد من قريش ، وينزع عن البعير خطامه ويرسله عند مدخل الشعب ، فيذهب البعير وحده ويقف أمام المحاصرين ، فيتولون أخذ حمولته فينزلونها عن البعير ثم يرسلونه من حيث جاء فيعود الى صاحبه ، بعد أن أفرغت عنه حمولته ، وهذا دليل على أن فى المشركين من كان غير راض بفعل قومه قساة القلوب متحجرى الاكباد ، حيث منعوا الطعام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أسرته المؤمنة بالله ورسوله .

ثم جاءت عناية الله ورعايته لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد مدة طويلة مرت عليه وهو فى الحصار المضروب عليه من قبل المشركين ، جاءت بما لم يخطر على بال ، فقد أرسل الله حشرة صغيرة قضت على ذلك الحلف الجائر المكتوب فى الصحيفة المعلقة فى الكعبة ، والذى أريد به تجويع الرسول وأهله والمؤمنين معه ، حتى يسلموه لاعداء الله وأعداء الحق والدين ، مقابل ملء البطون الجائعة ، وما دروا أن ملء العقل وشحنه بالعقيدة الصحيحة المبنية على ما يحبه الله ويرضى به خير وأولى وأصلح بالعقل من كل شيء سواه ، فهذا أولى وأجدى من ملء البطون وفراغ العقول .

كانت عناية الله برسوله وبدينه بالغة ، فى تلك الحشرة الصغيرة ، فقد سلطها الله على صحيفة التحالف تلك ، تلك الحشرة هى **الارضة ـ العثة ـ** التى تتلف الورق والملابس فتجعلها غير صالحة للاستعمال ، فقد لحست كل ما كان مكتوبا فيها ، وأكلت ما فى تلك الصحيفة من كلمات العهد والميثاق وما الى ذلك ، ولم تترك سالما الا الكلمات التى فيها ذكر الله ، مثل باسمك اللهم الخ ، وذكر ابن كثير فى السيرة أن الوحى نزل على النبى صلى الله عليه وسلم وأخبره بهذا ، وذكر النبى صلى الله عليه وسلم هذا لعمه أبى طالب ، فقال أبو طالب : لا والثواقب ما كذبنى ابن أخى ، ولما استوثق عمه من هذا خرج الى قريش وطلب منهم الاتيان بالصحيفة وقراءتها أمام الناس ، فاذا وجد فيها ما اتفق عليه قريش وحلفاؤهم صحيحا سلم لهم ابن أخيه ليقتلوه ففرحت قريش بهذا وظنوه انتصارا لهم ولآلهتهم ، ونتيجة من نتائج الحصار ، وأنهم سيقتلون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما جاؤوا بالصحيفة وجدوها خالية من كل ما قالوه واتفقوا عليه ، ولم يجدوا فيها الا بعض كلمات أسماء الجلالة التى كانت كتبت فى الصحيفة وهنا دهشوا وخابت مساعيهم ، وذهب عنهم فرحهم وبطلت أعمالهم ومكائدهم ، حين ذهب ما فى الصحيفة من العهود والمواثيق التى تعاهدوا عليها ، فبطل التزام من التزم وعهد من تعهد، وكان البعض ممن حضروا التعهد بما فى الصحيفة قد أعجبهم هذا المحو

للصحيفة ، فلما وجدوها خالية من كل تعهد والتزام وجدوا السبيل أمامهم سهلا للخروج مما كانوا تعهدوا به ، فنقضوا ما كانوا تعهدوا به وأبرموه ، وبهذا ظهر نصر الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ولحزبه حزب الله ، فلم يلن لهم ولم يضعف ، ولم يترك الدعوة الى الله مقابل اشباع بطنه ، كما يفعل فى وقتنا الحاضر من يدعون الاسلام ، وهم يعملون على تحطيمه بما يأخذونه مقابل سكوتهم عن نصرة الحق والعقيدة والدين والدعوة اليه ، ولله در عزيز النفس الذى قال :

ولا ألين لغير الحق أسأله
حتى تلين لضرس الماضع الحجر

فالشاعر الحكيم قال : اننى لا أستجيب لاى انسان طلب منى غير الحق ، ولا يجد فى لينا وتساهلا لاجل طلبه ، الا كما تلين الحجر لضرس الماضغ لها ، ومن المعروف أن الحجر لا تلين للمضغ ، وهو تشبيه يدل على صلابة العود وقوة العقيدة التى تحلى بها هذا الشاعر ، فانه لا يقبل التنازل ولا يميل ويلين الا للحق .

اشتداد أذى المشركين للنبى صلى الله عليه وسلم :

أصيب الرسول صلى الله عليه وسلم بعد موت عمه أبى طالب ، وزوجته البارة خديجة بنت خويلد رضى الله عنها بما لم يكن يصاب به لو كانا على قيد الحياة ، فقد هلكا فى عام واحد ، والمدة بينهما قريبة ، ولم

يعرف بالضبط أيهما السابق فى الوفاة لتعدد الاقوال ، هل عمه قبل زوجته ، أو هى قبله ، خلاف لا يتوقف عليه شىء ، وكانا هما المشفقان عليه ، ذلك عمه ومربيه وكافله من صغره ، وهذه زوجه وناصرته ومعينته على تبليغ الدعوة والرسالة وأولى المؤمنات به من النساء ، عمه فى الظاهر ، وزوجه فى الباطن كلاهما دفع عنه ظلم قريش ، فهو كافر به ـ كرسول ـ منكر لدعوته ولدينه ، وهى مؤمنة به وبدينه وبدعوته ، وقد نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم تكن تطمع فيه قبل موت عمه أبى طالب ، وزوجه خديجة رضى الله عنها ، فدخل بيته فى يوم من الايام والتراب فوق رأسه رمته عليه قريش ، فقامت احدى بناته تزيله عنه وتبكى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها : **(لَا تَبْكِي يَا بُنَيَّةَ ، فَإِنَّ اللَّهَ مَانِعُ أَبَاكِ)** . وكان يقول فى بعض المناسبات : **(مَا نَالَتْ مِنِّى قُرَيْشٌ شَيْئاً أَكْرَهُهُ حَتَّى مَاتَ عَمِّى أَبُو طَالِبٍ)** .

الرسول صلى الله عليه وسلم وقبيلة ثقيف فى الطائف :

خرج الرسول صلى الله عليه وسلم الى الطائف من أجل الدعوة الى دين الله ، وكان هذا الخروج بعد موت عمه أبى طالب وزوجه البرة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضى الله عنها ، وقصد قبيلة (**ثقيف**) قصدها لعلها تنصره على خصوم الدعوة وتستجيب لدعوة الله فتفوز بالسبق الى الدين الحنيف ، وتنال ما يبقى لها ذكرا جميلا وذخرا طيبا ، غير انها أعرضت عن هذه

الدعوة المحمدية ، وأقبلت على دعوة الشيطان ، فسخرها الى أن تكون فى خدمة الاوثان أولى لها من أن تكون من جنود الرحمن ، وقصد فى ثقيف اخوة ثلاثة هم من عائلة مشهورة فى القبيلة ، كان يظن أنهم يستجيبون له وينصرونه على من وقف فى طريق تبليغ دعوة الله ، ودعوة رسوله ، وذلك ما يكسبها الكرامة والسعادة فى الدنيا والآخرة ، ولكن (**تَجْرِى ٱلرِّيَاحُ بِمَا لَا تَشْتَهِى ٱلسُّفُنُ**) . كما جاء فى المثل العربى القديم وهؤلاء الاخوة الثلاثة هم : عبد ياليل ، ومسعود ، وحبيب ، بنو عمرو بن عمير ، وهم سادة ثقيف وأشرافها ، ولهم الكلمة المسموعة والنافذة فى القبيلة ، فجلس اليهم وحدثهم عن السبب الذى جعله يقصدهم من أجله ، غير أنهم ردوا دعوته ردا غير مناسب للداعى ولا لمن أرسله ، بعد أن بين لهم انه انما قصدهم لينصروه على المعارضين له حتى يبلغ دعوة الله ، فقال له أحدهم فى رده لتلك الدعوة :

1) هو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله أرسلك ــ يريد هو يزيلها ويرمى بها كما يزال الشعر ويرمى به ــ

2) وقال الآخر : أما وجد الله أحدا أرسله غيرك ؟

3) وقال الثالث : والله لا أكلمك أبدا ، لئن كنت رسولا من الله كما تقول لانت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغى لى أن أكلمك .

ولما لم تستجب اليه هذه القبيلة على لسان أشرافها رجع الى مكة بدون نتيجة من ثقيف ، فلم يستجيبوا للدعوة ، بل أغروا به السفهاء منهم والعبيد والاوباش ومن لا خلاق له من الصبيان وغيرهم فسبوه وصاحوا عليه بأقوال السفهاء ، والسفهاء لا يعرفون الا السفهاء ومن لا خلاق لهم ، فاجتمعوا عليه وجعلوا فيما بينهم صفين يرمى عليه بالحجارة كل صف منهما فاذا سلم من هذا الصف وحجارته أصابته حجارة الصف المقابل ، فما خرج من بين الصفين الا وقدماه الشريفتان تسيلان دما ، وهما اللتان جعلهما الله لتبليغ الدعوة الى الخلق ، ولخدمة الاسلام والعقيدة والسير بهما فى سبيل الله ، فكل ما أصابه أو يصيب غيره من الدعاة الى الحق والخير انما هو من أجل الدعوة الى الله والثبات عليها ، وارادة الخير لبنى الانسان .

وعند منصرفه من الطائف عائدا الى مكة بعد أن رده أهلها ذلك الرد القبيح نزل فى مكان وارتاح فيه ، ثم توجه الى ربه بدعاء له مغزاه ، وتضرع اليه كى ينصر دينه ، وأنه لم يفرط فيما أمره به ربه ليبلغه للناس فقال : (**ٱللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِى ، وَقِلَّةَ حِيلَتِى ، وَهَوَانِى عَلَى ٱلنَّاسِ ، يَا أَرْحَمَ ٱلرَّاحِمِينَ ، أَنْتَ رَبُّ ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ ، وَأَنْتَ رَبِّى ، إِلَى مَنْ تَكِلُنِى ؟ إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِى ؟ أَمْ إِلَى عَدُوٍّ مَلَّكْتَهُ أَمْرِى ؟ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلَا أُبَالِى ، وَلَكِنَّ عَافِيَتَكَ هِىَ أَوْسَعُ لِى ، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ ٱلَّذِى أَشْرَقَتْ لَهُ ٱلظُّلُمَاتُ ، وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ**

اَلدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِى غَضَبَكَ ، أَوْ تُحِلَّ عَلَيَّ سُخْطَكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ) (عن ج 1 من سيرة ابن هشام ص 420 ـ تاريخ الطبرى ح 2 ص 345) .

هذا هو دعاء الرسول المهموم والمغموم من رد أشراف قبيلة ثقيف دعوة الله ورسوله ردا لا يليق بالاشراف ، ولكنه الجهل وعبادة الاوثان وأثرهما فى النفوس .

وثبت فى الصحيحين عن عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها أنها حدثته فقالت ، قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد ؟ قال : مَا لَقِيْتُ مِنْ قَوْمِكِ كَانَ أَشَدَّ مِنْهُ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِى **عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِى إِلَى مَا أَرَدْتُ ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِى فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ** ـ قرن الثعالب ، قال القاضى عياض : قرن المنازل وهو قرن الثعالب ، وهو مكان بين مكة والطائف ، وهو بسكون الراء ـ **فَرَفَعْتُ رَأْسِى فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِى ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَنَادَانِى فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ ، وَقَدْ بَعَثَ لَكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ ، ثُمَّ نَادَانِى مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ : يَامُحَمَّدُ قَدْ بَعَثَنِى اللَّهُ إِلَيْكَ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ قَدْ بَعَثَنِى إِلَيْكَ رَبُّكَ لِتَأْمُرَنِى بِمَا شِئْتَ ، إِنْ شِئْتَ نُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ**

ـ الاخشبان هما الجبلان اللذان تحت العقبة بمنى ـ **فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)** .

وفى رجوعه من الطائف الى مكة بعد أن يئس من أهلها نزل بوادى « نخلة » فقام من جوف الليل يصلى ، فمر به نفر من الجن ، وهو يصلى ، قيل انهم سبعة ، فلما سمعوه يقرأ القرآن فى صلاته رجعوا الى قومهم مؤمنين بما سمعوا من كلام الله ، ذلك ما أشارت اليه الآية الكريمة من قوله تعالى فى سورة الاحقاف (**وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ** ، الى قوله تعالى **فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ**) الآيات من 29 الى 32 منها على ما ذكره علماء التفسير ، اذ تكرر سماع الجن للقرآن من النبى صلى الله عليه وسلم .

(**وَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**) فجميع ما نال الدعاة كان من أجل الدعوة الى الله والثبات عليها ، وارادة الخير لبنى الانسان أينما كانوا .

ومن المحاولات التى قام بها مشركو قريش لصده عن الدعوة وتبليغ الدين الى الناس تلك المحاولة التى قاموا بها ، حين توجهوا الى عمه أبى طالب طالبين منه أن يكون واسطة بينهم وبين ابن أخيه ، بأن يترك الدعوة الى دينه ويتخلى عن شتم آلهتهم ـ الباطلة ـ غير أنهم خابوا فى محاولتهم هذه ، فقد حاول أبو طالب ـ فى حياته بعد مساعى قريش الملحة ـ أن يصده عنها استجابة لرغبة

قريش ، ويتخلى عن الدعوة الى الله ويترك الاساءة ـ فى زعمهم ـ الى أوثانهم وآلهتهم فأبى ، وقال لعمه :

(يَا عَمُّ ... وَاللَّهِ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي ، وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي ، عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ ، أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ مَا تَرَكْتُهُ) .

هذا هو السبيل أو الخط الذى سار فيه الرسول صلى الله عليه وسلم بالاسلام ودعوته وعقيدته ، فلم يضعف ولم يترك الدعوة وصبر على أذى أعداء الله وأعداء دين الله الحق حتى نصره الله على الخرافيين عباد الاحجار والاشجار ، وقد رسم هذا الخط بمواقفه الصلبة فى وجه خصوم العقيدة والدين ـ رسمه لاتباعه ليسلكوا مسلكه ، وليقتفوا أثره فى مثل مواقفه تلك ، غير أن هؤلاء الاتباع تحولوا عن خطه ومنهاجه ، فحل بهم البوار والضعف .

ومما زاد فى قوة الاسلام ـ بعد ما لحق الرسول ما لحقه ـ وانتصاره على الخرافيين اسلام بعض الشخصيات القوية فى مجتمعها ومحيطها ودخولها فى الاسلام ، شخصيات لها وزنها وقيمتها فى وسطها ، مثل حمزة عم الرسول صلى الله عليه وسلم « أسد الله » وعمر ابن الخطاب رضى الله عنهما ، فلما أسلما واتبعا الرسول وشاع خبر اسلامهما وانتشر فى الاوساط الوثنية ، خاف كفار قريش على شركهم وأوثانهم من الزوال بل وتيقنوا أن عهد الشرك قد ولى مدبرا ، وصاروا

يحسبون للاسلام والرسول حسابهما وتبدل ميزان القوة فرجحت كفة الاسلام ، وخفت كفة الشرك والاوثان ـ وأوهنهم ذلك النصر المبين ـ وعندما خفت كفة الشرك والمشركين ، وحق لميزان الكفر والضلال أن يخف ، خف أذاهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصار المسلمون بعد هذين الحدثين الهامين يعلنون اسلامهم جهارا وأمام المشركين ، بعد أن كانوا يخفون شعائر دينهم حذرا من عدوان قريش عليهم ، وذلك مثل الصلاة وتلاوة القرآن وغيرهما من التجمعات لفائدة الدعوة والتبليغ ، فصار كل هذا يقع أمام المشركين ، فيزيدهم هذا غيظا وتحرقا وحنقا على الاسلام والمسلمين ، وعجزا عن محاربته ، والتعرض لانصاره ، وهذا من عوامل القوة ، اذ الناس لا يلتفتون للحق الا اذا كانت معه قوة تعزز جانبه ، والا تكن له قوة فلا يخضع له أحد ، الا اذا كان من أهل الفكر والادراك ...

ياس كفار قريش من صده عن تبليغ دعوته :

حاولت قريش ـ كما مر ـ بكل ما تملكه من وسائل الترهيب والضغوط على أن تصد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهته التى وجهه ربه اليها فلم تستطع، وباءت بالفشل والخسارة ، ولما لم تحصل على شىء منه ، حولت الطريق الى ما ترى فيه أملا ونفعا لشركها وأوثانها ، فاتخذت سبيل الترغيب بدل الترهيب ، وشرعت تلوح له بما تشتهيه النفس الدنيئة لا الشريفة

فان النفس الشريفة ، لا تترك مبدأها التى عرفت به وتتخلى عنه الى شىء يعطل أو يمحو مبدأها ذاك ، فقد ذكر كتاب السيرة النبوية أن مشركى قريش توجهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن لم ينجعوا فى صده بالقوة ، الى وسيلة الترغيب والتلويح بما تشتهيه النفس الضعيفة التى لم تستكمل ايمانها بعد .

فقد لوحت له بالمال والملك والسيادة وغيرها حسبما جاء فى مصادر السيرة النبوية الشريفة ، الا أن صاحب العقيدة الصحيحة الذى يؤمن بعقيدته وحقها فى الظهور والدوام والبقاء والسيادة ، لا يتساهل فيها أو يقبل بالتخلى عنها ، أو أخذ الرشوة عنها ، فعقيدته لا تباع ولا تشترى بل ولا تقع فيها المساومة أبدا وبأى صفة كان ذلك ، فقد ذكر ابنا هشام وكثير وغيرهما من أصحاب السيرة النبوية ما عرضه مشركو قريش على محمد صلى الله عليه وسلم من المرغبات فى مقابل التخلى عن دعوته ، فرفض كل ذلك وتمسك بعقيدته فى اباء وعزة وكرامة حتى لا يقال : ان محمدا تنازل عن دعوته لفائدة أو لاخرى ، وبهذا مهد الرسول صلى الله عليه وسلم لدعاة أمته الطريق كى يجدوها ممهدة فيسيروا عليها اذ ما عليهم بعد مواقفه الا أن يسلكوها مطمئنين ثابتين موقنين بالنجاح اذا أخلصوا فى أعمالهم ، غير خوارين ولا مذبذبين ، اتباعا لسنة رسولهم محمد صلى الله عليه وسلم

ذكر ابن كثير فى سيرته عن محمد بن كعب قال :

حدثت أن عتبة بن ربيعة ـ وكان سيدا حليما فى قومه ـ قال ذات يوم وهو جالس فى نادي قريش ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده فى المسجد : يا معشر قريش ألا أقوم الى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه اياها ويكف عنا ؟؟ وذلك حين أسلم « حمزة » ورأوا أصحاب رسول الله يريدون ويكثرون ، فقالوا : بلى يا أبا الوليد فقم اليه وكلمه .

فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا ابن أخى انك منا حيث قد علمت من السطة ـ الشرف ـ فى العشيرة والمكان فى النسب ، وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع منى أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل بعضها .

قال : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا الوليد قل اسمع ، قال أبو الوليد عتبة بن ربيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ابن أخى ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا الامر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وان كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك ، وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا وأن كان هذا الذى

يأتيك « رئيا » ـ جنا ـ تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه .

حتى اذا فرغ عتبة من عرضه ذاك قال له النبى صلى الله عليه وسلم : أفرغت يا أبا الوليد ؟ قال نعم : قال : اسمع مني ، قال : أفعل : (**بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ، حمٓ ، تَنْزِيلٌ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ، كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ، بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ، وَقَالُوا : قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ، وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ، فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ**) الآيات : 1 ، 2 ، 3 ، 4 ، 5 من سورة فصلت فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها ، فلما سمع عتبة القراءة أنصت لها وألقى يديه خلفه او خلف ظهره معتمدا عليهما ليسمع منه ، حتى أنتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السجدة فسجدها ، ثم قال : سمعت يا أبا الوليد ؟ قال : سمعت ، قال : فأنت وذاك ، ثم قام عتبة الى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به فلما جلسوا اليه قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائى أني والله قد سمعت قولا ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ، ولا بالكهانة ، يا معشر قريش أطيعونى واجعلوها لي ، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه ، فو الله ليكونن لقوله الذى سمعت نبأ ، فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وان يظهر على

العرب فملكه ملككم وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس بـــه .

قالوا : سحرك محمد والله يا أبا الوليد بلسانه .

قال : هذا رأيى لكم ، فاصنعوا ما بدا لكم .

ونلاحظ من هذا أن لسماع القرآن ـ كلام الله ـ تأثيرا عجيبا فى نفوس سامعيه ولو كانوا كفارا لا يؤمنون به . وقد لمسنا هذا فى الخبر السابق الذكر ، وفى نفس عتبة ابن ربيعة ، وهو المشرك الجاهل ، وقد ألجأه ما سمعه منه الى أن يقول فيه ما قال ، وهذا من تذوقه لبلاغته وفصاحته وبعده عن كلام البشر ، وهو سر اعجازه ، ومثل عتبة ابن ربيعة فى هذا الاعتراف ببلاغة القرآن ، مثله مثل ذلكم المشرك العنيد ، القوى بماله وجاهه « الوليد بن المغيرة » عدو الله ورسوله ، حيث اجتمع مع طائفة من كفار قريش ـ وكان هو رئيس الجلسة ـ للنظر والتشاور فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأى موقف يقفونه تجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وموسم الحج قد قرب منهم ، وما يقولونه للناس فى أمر الرسول (ص) ، وفى دعوته الى الله والى الاسلام ، ولابد من صد الناس عنه وعن دعوته ، وذلك لصرفهم عنه حتى لا يتأثروا بدعوته ولا بالقرآن عند سماعه ، وحتى لا يدخلوا فى الاسلام ، وأدلى كل واحد من المجتمعين برأيه وبما بدا له ، والقوم يسمعون ، وبعد ذلك يتفقون على قول واحد ورأي واحد

يخرجون به من الاجتماع ، ويكون هو القول والرأى الذى يقال للحجاج ، وبه يعودون الى أهلهم وذويهم وشعوبهم ، فقائل قال نقول لهم : انه كاهن ، فرد عليه رئيس الجلسة « الوليد بن المغيرة » بقوله : ما هو بكاهن ، فقد سمعنا كلام الكهان فما هذا من ذاك ، وقال أحدهم نقول : انه مجنون ، فرد عليه رئيس الجلسة بقوله : ما هو بمجنون ، قالوا نقول : انه شاعر ، قال الرئيس : لقد سمعنا الشعر وعرفناه ، فما هذا بالشعر ، وما هو بشاعر ، قالوا نقول : انه ساحر ، فقال لهم : عرفنا السحر وتأثيره ، فما هو بساحر ، ولما أعياهم البحث عن كلمة يقولونها للعرب فى موسم الحج حتى لا يستجيبوا لدعوته ، ولا يسمعوا منه القرآن خوفا من تأثيره فى نفوسهم ، ولما لم يهتدوا الى رأى يقع عليه الاجماع ويتفرقون عليه رجعوا الى رئيس الجلسة وقالوا له — مستطلعين رأيه — : فقال له القوم الذين هم معه فى الجلسة : فما تقول أنت يا عبد شمس ؟ قال : والله ان لقوله لحلاوة ، ثم قال لهم ، وما أنتم بقائلين فيه من هذا شيئا الا عرف أنه باطل !!! وان أقرب القول فيه لان تقولوا هو ساحر جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته ، فتفرقوا عنه بهذا الرأى والقول ، فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا فى موسم الحج ليبلغوهم كلمة الجماعة ، فلا يمر بهم أحد الا حذروه منه وذكروا له أمره .

وهذا سبيل من سبل الدعاية ، ولكن هل كان لها صدى فى أوساط الحجاج ؟ لا شىء من هذا وقع . (**وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ**) وننظر الآن ما هو رد الفعل من هذا الكذب والبهتان ، من هذا الساعى فى الارض بالفساد والالحاد ، فقد أنزل الله فيه قرآنا يتلى الى يوم القيامة ، عقابا له عن كذبه وافترائه على كلام الله ، حيث أنزله لهداية البشر ، كما أنزل فيه الاحكام والمواعظ والاخبار التى تفيد الانسان فى حياته كلها ، وفى جميع الاطوار التى يمر بها هذا الانسان الذى سيشقى اذا هو لم يعمل بالقرآن وبما جاء فيه ، فقد جاء فى حق هذا العدو لله وللرسول وللاسلام كما ذكره المفسرون ، قوله تعالى : (**ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ، وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُودًا ، وَبَنِينَ شُهُودًا** ، الى قوله تعالى : **ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ، فَقَالَ : إِنْ هَـٰذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هَٰذَا إِلاَّ قَوْلُ ٱلْبَشَرِ**) . سورة المدثر .

هذا هو تأثير القرآن فى النفوس ، وقصة تسلل البعض من كفار قريش — ليلا — منفردين الى الاستماع لقراءة النبى صلى الله عليه وسلم معروفة ، فقد ذكر محمد بن مسلم بن هشام الزهرى قال : حدثت أن أبا سفيان بن حرب ، وأبا جهل بن هشام ، والاخنس ابن شريق ، خرج ثلاثتهم ليلا ليستمعوا الى القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يصلى من الليل فى بيته ، فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه ، وكل واحد منهم لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون الى

الفجر ، حتى اذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق وتلاوموا ، وقال بعضهم لبعض لا تعودوا ، ولكنهم يعودون ليلا من غير أن يشعر الواحد منهم بصاحبه ، وداوموا على هذا ثلاث ليال متتاليات ، وذلك لتأثير القرآن في نفوسهم ، فهم يخرجون ليلا خفية وبدون أن يعرف الواحد منهم ما يخفيه صاحبه ، حتى لا يراهم عامة الناس ، والعبيد بالخصوص ، وتعاهدوا فى آخر الامر فيما بينهم على الكتمان ، حتى لا يفلت زمام الامور من أيديهم وتضيع منهم القيادة نتيجة أعمالهم التي لم تكن مطابقة لاقوالهم ومواقفهم ، فان من يسمع القرآن يدخل قلبه ، فيسلم من أجل تأثير القرآن فى النفوس اذا سمعته سماعا خاليا من التعنت .

ومثل هذا ما سعى فيه المشركون عند أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين طلبوا منه أن لا يرفع صوته بقراءة القرآن فى صلاة الليل ، كى لا يقع القرآن فى قلوبهم فيسرعوا الى الاسلام بتأثير سماعهم لقراءة القرآن ، وكان أبو بكر رقيق القلب سريع التأثر والبكاء عند تلاوته للقرآن ، ومشركو قريش لا يحبون سماع القرآن خوفا من التأثر به والتأثير عليهم ، لهذا عملوا ـ بقوة ـ على منع المسلمين من رفع أصواتهم بالقرآن لذلك ، وفى هذه القصة ظهر ما قاوموا به القرآن ، حتى لا يتطرق الى اسماع أبنائهم ونسائهم وعبيدهم ، والقصة مذكورة في كتب السيرة ، وهى من

نوع الحرب التى حاربوا بها الدعوة الاسلامية خوفا من انتشارها بينهم .

هذا أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وهو من آمن بالله والرسول والاسلام ، وجد من المشركين هذا بالرغم من قوة قبيلته « تيم » فى وسط المشركين ، ومن أجلها لم ينله كثير العذاب الذى نال اخوانه المؤمنين ، ولما ضيقوا عليه الخناق من أجل اسلامه حاول الخروج من مكة والهجرة الى الحبشة كما فعل ضعفاء الصحابة ، وفى يوم من أيام تلك المحن التى أصابت المؤمنين خرج الى الفضاء الواسع أين يجد حرية الدين والعبادة ، وقصته مع ابن الدغنة (1) تبين ما أصابه .

فقد ذكر من كتب فى السيرة أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه لحقه من الاذى ما ألجاه الى الهجرة فرارا بدينه وعقيدته ، فخرج مرة من مكة مهاجرا الى الحبشة ، كما هاجر اليها ضعفاء الصحابة من قبل ، فلقيه رجل من أهل مكة ، له مكانة واعتبار فى وسط القوم المشركين يقال له : « ابن الدغنة » فقال له : أين تريد يا أبا بكر ؟ فقال له أبو بكر : أخرجنى قومى فأريد أن أسيح فى الارض وأعبد ربى ، فقال له ابن الدغنة : مثلك يا أبا بكر لا يَخْرُجُ ولا يُخْرَجُ ، انك تكسب المعدوم ، وتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتقرى الضيف ، وتعين على

(1) الدغنة بضم الدال والغين وفتح النون المشددة ، وككلمة ، وفيها غيرهما والاول أشهر .

نوائب الحق ، ارجع في جوارى ، فأنا لك جار ، واعبد ربك فى بلدك ، فرجع أبو بكر الى مكة فى جوار ابن الدغنة ، وطاف ابن الدغنة عشية بين قريش وأعلمهم بأنه جار لابى بكر ، وأبو بكر هو الآن في جوارى ، يريد بهذا الاعلام أنه فى حمايته ، فلا يعتدى عليه أحد ، والجوار عند العرب معناه أن المجير ـ ولا يكون الا رجلا قويا مهابا عزيز الجانب ، وبذلك لا يستطيع أحد أن يمس من أجاره بسوء ، خوفا من قوة المجير ـ يحمى المجار من كل أذى قد يصيبه .

ولما أجار ابن الدغنة أبا بكر قال له المشركون : مر أبا بكر فليعبد ربه فى داره ، وليصل فيها ما شاء ، وليقرأ ما شاء ، ولا يؤذنا بذلك ، ولا يستعلن به ، فانا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا ، ورضيت قريش بجوار ابن الدغنة لابى بكر ، فهى قد تعهدت بأن تكف أذاها عن أبى بكر لانه فى جوار ابن الدغنة ، وابن الدغنة هذا اسمه ربيعة ابن فريع ، نسب لامه الدغنة .

هذه أم المؤمنين السيدة عائشة بنت الصديق رضى الله عنها تصف لنا هذا الجوار ، قالت ، لما أنفذت قريش جوار ابن الدغنة قالوا له : مر أبا بكر فليعبد ربه فى داره ، وليصل فيها ما شاء ، وليقرأ ما شاء ، ولا يؤذنا ولا يستعلن بالصلاة والقراءة فى غير داره ، ففعل أبو بكر رضى الله تعالى عنه هذا مدة ، ثم بدا له فابتنى مسجدا بفناء داره ، فكان يصلى فيه ويقرأ القرآن ،

فتقصّف ـ ازدحم ـ عليه نساء المشركين وأبناؤهم يتعجبون منه وينظرون اليه ، وكان رجلا بكاء لا يملك دمعه حين يقرأ القرآن ، فأفزع ذلك اشراف قريش ، فأرسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم ، وذكروا له ما فعل أبو بكر حيث لم يلتزم بما جاء فى جوار ابن الدغنة له ، فقال ابن الدغنة له : يا أبا بكر قد علمت الذى عقدت لك عليه ، فاما أن تقتصر على ذلك واما أن ترجع الى جوارى وذمتى ، فانى لا أحب أن تسمع العرب أنى أخفرت فى عقد رجل عقدت له (وخفر الجوار معناه نقض العهد وابطاله من جانب واحد وهو الغدر فى الذمة والحماية والجوار) . فلما سمع أبو بكر من ابن الدغنة هذا ترك له جواره وحمايته والتجأ الى الله يستجير به ويحتمى به ويلوذ بحماه ، فقال له أبو بكر : انى أرد اليك جوارك وأرضى بجوار الله ورسوله ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة .

ان ما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والرعيل الاول من الصحابة شىء كبير لا يثبت له الا أقوياء الايمان فرسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفتر عن الدعوة الى الله وتبليغ هذا الدين الى من أرسل اليهم من لدن رب العالمين ، وهو فى عراك دائم ومستمر مع مشركى قريش ، وبلا هوادة ، ففى ذات يوم كان فى عراك معهم واذا بالصراخ يعلو بينهم ، وعن أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما قالت : أتى الصراخ آل أبى بكر فقيل له : أدرك صاحبك ، فخرج من عندنا

ـ وله غدائر (١) ـ فدخل المسجد وهو يقول : (وَيْلَكُمْ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ ، وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ؟) فلهوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبلوا على أبى بكر ، قالت أسماء رضى الله عنها : فرجع الينا أبو بكر ، فجعل لا يمس شيئا من غدائره الا جاء معه وهو يقول : (تباركت ياذا الجلال والاكرام).

هذا نزر يسير مما أصاب الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبا بكر رضى الله عنه من القوم المشركين ولا ننس أن الله حماهما من بطش مشركى قريش ـ كما تقدم ـ بحماية العم والقبيلة ـ تيم ـ ومع هذا فقد ذاقا من العذاب ما قوى عزمهما فلم يضعفا ولم يهنا ، كل هذا ليكون درسا عمليا للدعاة الى الاسلام ، فلا يضعفوا أمام التهجمات على الاسلام والعقيدة من الجاهلين لهما ، وقد عرفنا مبلغ تخوف المشركين على نسائهم وأبنائهم من سماع آيات القرآن تتلى وهم يسمعون ، خشية أن يصل نوره الى قلوب النساء والابناء والعبيد .

ويذكرنى موقف كفار قريش فى العهد الجاهلى بموقف أو وقوف البعض من المشرفين (أو المسرفين) على تقديم برامج الاذاعة الجزائرية الصباحية ، فاذا حان وقت اذاعة القرآن الكريم ـ على قلة وقت الحصة ـ بعد اذاعة موجز الانباء فى الساعة السادسة صباحا ـ طبعا ـ فان المكلف يضع الصحن أو الشريط المسجل

(١) الغدائر جمع غديرة المظفور من شعر الرأس ، وهى الذوائب .

عليه نصيب من القرآن فاذا شرع القارىء فى التلاوة توجه اليه القلوب والافكار تتبع تلاوته وتتأمل بخشوع فيما تسمع ، وفجأة ـ وفى بعض الايام يوقف المشرف على الاذاعة تلاوة القرآن ، ويقول ـ من عنده ـ صدق الله العظيم ، والمدة التى يسمح بها لاذاعة القرآن ربما لا تتجاوز الربع ساعة ، وأحيانا لا تصل العشر دقائق ، يفعل هذا ليفسح المجال للغناء السمج ، بعد الحديث الدينى لوزارة الشؤون الدينية ، فهل هذا المشرف أو المسرف من بقية ..... وهل هذا التصرف من ابتكاراته ، أو هو مأمور به ، وما عليه الا التنفيذ لا غير ؟؟؟ أمر عجيب والله ، ذلك ما يؤلم المؤمنين الذين يحبون الاستماع الى القرآن كلام ربهم ، وعلى كل حال وكيفما كان الامر ، فانها ـ حقيقة ـ خيبة أو صدمة يتلقاها المؤمنون فى الصباح الباكر من أيد لا يشعر حاملوها بتأثير كلام الله فى نفوس سامعيه .

فعسى أن ينفعنا الله بما نسمع من كلام الله ، أما كلام غيره من البشر فان له بعض الآدميين وأشباههم تهفو قلوبهم وأسماعهم اليه وتهواه .

واعلموا أيها الناس ..... انكم فى شعب مسلم ، أكثريته تؤمن بالقرآن وتحب سماعه ، فلا تحرموها من سماعه ، ولله فى خلقه شؤون .

— 3 —

أصحاب الأخدود فى القرآن

بلاؤهم وصبرهم وهم يطرحون فى النار :

الاخدود هو الشق الكبير المستطيل فى الارض ، أو هو الحفرة فى الارض مثل الخندق ، ويجمع على أخاديد .

وأصحاب الاخدود الذين خددوها وقعدوا قريبا منها وأمروا أعوانهم بالقاء المؤمنين بالله فى النار التى أوقدوها لهم ، فان العلماء ذكروا أنهم كانوا بـ (نجران) ـ البلد المعروف فى اليمن مما يلى مكة ـ فهم من النصارى المؤمنين الموحدين لله ، أما زمانهم فانهم كانوا فى الفترة التى سبقت مبعث الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وهم الذين قص الله علينا قصتهم فى القرآن حيث قال فى سورة البروج : (**وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ، وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ، وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ، قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ، النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ، إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ، وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ، وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**) الخ ، وتنتهى قصتهم عند قوله تعالى : (**فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ، وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ**) .

فأصحاب الاخدود كما ذكر القرآن جماعتان كلاهما تعنيه القصة ، جماعة كافرة ظالمة حاكمة فى بلدها وهى المعذبة للمؤمنين ، وجماعة مؤمنة بربها موحدة له لا تقبل الشرك ولا ترضى به ، وهى الجماعة المعذبة من طرف الحكام الظالمين ، فهذه الجماعة المؤمنة ، آمنت بالله الخالق وحده ، لا اله غيره ، وعقدت العزم على الاستمرار فى التمسك بدينها ، وعلى الاقرار بأنه اله واحد لا شريك له ، ولا اله غيره فى الوجود يستحق العبادة والطاعة ، وهذا هو الحق والصواب والواقع ، فهى قد تمسكت بالحق وما تدعو اليه الفطرة السليمة .

أما الجماعة الاخرى فهى الجماعة الكافرة المنكرة لربها وخالقها ، رئيسها ملك ظالم تعينه حاشية مثله فى الظلم والكفر والجحود لخالق كل شىء ، اذ هو من نوع الملوك الذين ادعوا الالوهية ، مثل سابقيه المغرورين (النمروذ وفرعون) فعقيدتا الجماعتين مختلفة متناقضة من أجل هذا التباين بينهما حاولت الجماعة الجاحدة لربها صد المؤمنين عن عقيدتهم التى التزموا بها وأعطوا العهد على الايمان بها ، والوفاء لها وتحمل كل ما يعترضهم من عقبات وألم فى سبيلها .

جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : كلمة قُتِلَ الواردة فى القرآن معناها طرد أى لعن وأبعد عن رحمة الله هؤلاء القوم ، وهم أصحاب الأخدود الكافرون الجبارون الذين يحاولون أن يجبروا عباد الله المؤمنين

على الشرك بالله ، بجعل ملكهم الها يطاع ويعبد من دون الله الخلاق العليم ، ولما لم يستجب لهم المؤمنون الموحدون شقوا أخدودا وأخاديد ليلقوا فيها المؤمنين بالله وحده ، بعد أن ملؤوها حطبا وأوقدوا فيه النار ، لذلك الغرض الذى يدل على الحقد والبغضاء لكل من آمن بالله ربه ، هذه هى أعمالهم المزرية بكرامة الانسان المهذب فشقوا الاخاديد وحفروا الحفر الطويلة ، وجمعوا فيها الحطب الكثير وأوقدوا فيها النار وألقوا فيها المؤمنين بالله وحده .

فعلوا هذا بالجماعة المؤمنة بالله ، ولا ذنب لها الا أنها قالت ربى الله فآمنت بالله وحده وعقدت العزم على الاقرار به ، بأنه اله واحد ، لا شريك له فى ملكه ، ولا اله فى الوجود غيره يستحق العبادة والطاعة .

من أجل هذه العقيدة الصحيحة الموافقة للواقع حاول المشركون صدهم عن عقيدتهم هذه التى أعطوا العهد لله على الايمان بها والثبات عليها والوفاء لها ، وتحملها وتحمل كل ما ينالهم فى سبيلها ومن أجلها ، والعقلاء يعرفون ان العذاب له أسباب معقولة ، مثل ارتكاب المجرمين للجرائم التى تفسد المجتمع ، وتشيع فيه الفساد وسوء الاخلاق وغير هذا ، ولماذا فعل أصحاب الاخدود — وهم موقدو النار — بهؤلاء المؤمنين الضعفاء هذا الفعل الشنيع ؟ ما هو ذنبهم ؟ ما فعلوا حتى يستحقوا كل هذا العذاب ؟ وما الداعى لهذه المعاملة القاسية ؟

وهذا العذاب الشديد ؟ هل ارتكبوا جرما وذنبا استوجب لهم هذا الجزاء الشديد والعذاب الاليم ، والواقع يقول : لا هذا ولا ذاك وقع منهم ، انما العتو الانسانى ، والغرور بالنفس ، وحب الاستعلاء على خلق الله هو الذى ساقهم الى هـذا ، انما ذنبهم الوحيد ـ فى نظرهم ـ ان كان الايمان بالله ذنبا ـ هو الايمان بالله وحده ، الذى لا شريك له فى الوهيتة ، ولا نظير له فى ربوبيته ، فهو الخالق وحده ، والرب القادر على كل شىء ، فلا طاعة ولا عبادة الا له وحده ، الذى لا شريك له ، فهو القوى العزيز الحميد الذى لا يضام من التجأ اليه وتمسك بحبله المتين ، ولا يهان من احتمى بحماه المنيع ، وما وقع لهـؤلاء المؤمنين من العذاب والتحريق بالنار لأجل عقيدتهم التوحيدية ، كان امتحانا لهم ودليلا على قوة عقيدتهم وصبرهم على ما يصيبهم من أجلها ، وهـذا يزيدهم رفعة فى الدنيا وعزا وكرامة فى الآخرة ، حيث انهم ضربوا المثل الاعلى فى الصبر على ما لحقهم من الجبارين الطغاة ، ويبقى موقفهم الثابت يدل على عقيدتهم ، موقف يدل على قوة ايمانهم بخالقهم ، كما تبقى حادثتهم هذه تتلى فى المحافل عبر التاريخ الطويل والمجتمعات الامية ، ليكون ما نالهم من أجل عقيدتهم درسا عظيما يلقنونه لكل الاجيال القادمة ليستفيدوا منه قوة العقيدة وفائدة التمسك بها ، فلولا هذا الموقف الوحيد فى التضحية لما طرقت أسماعنا هذه الوقائع والاحداث ، التى ترشد الى الطريق المستقيم لكل من

أراد سلوكه ممن يأتى من الاجيال المقبلة ، فقد هلكت بعدهم أجيال وقرون طويلة نسيهم فيها الناس ، ولم يذكروهم ، أما هم ـ أصحاب الاخدود ـ فان حادثتهم سجلها القرآن ، فبقيت محفوظة فيه وفى العقول والصدور ، فكانت سراجا منيرا فى طريق العقيدة الحقة وهذا ذكر حسن لهم ، وشرف وأى شرف هو ؟

أما جزاؤهم من ربهم الذى ثبتوا على الايمان به ولم يجحدوه وينكروه كما فعل غيرهم ، فالمنازل العالية والدرجات الرفيعة ، والحياة الكريمة فى دار العزة والكرامة ، التى لا يزول نعيمها ولا تنقضى الحياة فيها أبد الآبدين ، والويل والعذاب والغضب من رب الارباب لاولئك المعذبين والطغاة الظالمين ، كل هذا لهم جزاء ظلمهم وتعذيبهم لعباد الله على اعترافهم بالحق الواجب على كل مخلوق ، وقد فاز به المؤمنون ، فهنيئا لهم .

ترى من يكون هؤلاء الكافرون الجبارون قساة القلوب أصحاب الاخدود الذين أحرقوا المؤمنين بالنار على ايمانهم بالله ؟ ومن هم أولئك المؤمنون المحرقون بالنار ؟ هذه مأساة رقت لها قلوب وتحجرت لها أفئدة ، خلاف وقع بين المفسرين لكلام الله وأولى الرأى من علماء الاسلام فى شأنهم ، لانهم هم الذين يهمهم أمر العقيدة والدين أكثر من غيرهم من البشر .

فالمفسرون لكلام الله لم يتفقوا على قول واحد يقف عنده من يريد أن يحصر الواقعة فى جهة معينة بتحديد

زمانها ومكانها ، والقرآن ذكرها بلا تحديد للمكان ولا توقيت للزمان ، وما ذكره القرآن هو حق وواقع لا ريب فيه ، فمن لم يصدق بما جاء فى القرآن من أخبار وأحكام فهو جاحد له كافر بأحكامه منكر لاخباره .

والقرآن لم يحدد فى أخباره وقصصه ووقائعه فى الكثير منها الزمان والمكان ، وهى كثيرة ، لان القرآن كتاب أحكام ومواعظ وعبر وتربية ، يربى النفوس على الحق والصدق ، ويعظها ويخوفها بذكر أخبار السابقين من الامم الماضية ، المؤمنة منها والكافرة ، حتى لا يقع للامم المتأخرة فى الزمان ما وقع للامم السابقة ، وهذا ما يهم المؤمن فى حياتــه الدينية ، وعلماء التفسير لا يجرؤون على القول فى القرآن بمحض الرأى الخالص، من غير أن يكون مدعما بحجة ودليل جاء من طريق الوحى والرسالة ، ولم يكن علماء التفسير عندنا كعلماء اليهود الذين مسخوا التوراة بأقوالهم وآرائهم الشخصية مــن غير اعتماد على وحى الهى ، فسلبوا عنها قداسة الكتب السماوية وتركوها لا تخرج عن اطار الكتب الوضعية البشرية ، فوجب عــلى المسلمين لهــذا الاعتبار الايمان والتصديق بكل ما جاء فى القرآن ، خصوصا وأن الله جل جلاله تولى بنفسه حفظ كلامه من التحريف والتغيير لا بالزيادة ولا بالنقصان ، فهذا هو عين الحق والصواب ، وهو ما يجب على المؤمنين الايمان به ، فهو كما جاء من عند الله نحن نقرؤه اليوم بعد تلك القرون الاربعة عشر

الماضية من زمان نزوله على الرسول محمد صــلى اللــه عليه وسلم ، فهذا هو القول الحق ، والعقيدة الصحيحة

فالقرآن لم يكن كتاب تاريخ حتى يخبرنا بزمان ما حدث ، ولا هــو كتاب جغرافية حتى يحدد لنا مكان ما حدث بالضبط ، وهذا هــو سر القرآن ، والخــلاف فى تحــديد الزمان والمكان للوقائع الــواردة فى القــرآن لا يترتب عليه حكم يخشى توقيفه أو تضييعه ، فذلك هو الوعظ البليغ للناس ، والتخويف الزاجر للنفوس الجامحة ، حتى لا يكفر الناس باللــه خالقهم ومــدبر أمورهم ، وحتى لا يقع لهم ما وقع لمن سبقهم من الامم .

وقــد تعددت آراء المفسرين للقــرآن ، واختلفت أقوالهم فى أصحاب هذه القصة من هم ؟ فمن قائل انهم من أهل فارس ، حين أراد ملكهم تحليل الزواج بالمحارم، فيتزوج الرجل ابنته ، أو أختــه أو خالتــه أو عمتــه — مثلا — فلم يقبل له هذا علماؤهم ورجال الدين فيهم ، فعمد الى حفر أخدود وألقى فيه من أنكر عليه هذا الرأى ولم يرض به لانه مخالف للشرائع السماوية وللفطرة الانسانية السليمة ، (ونقل هذا القول عن على رضى الله عنه) فعصى الملك العلماء ونفذ ما أراده ، وبقى فى الفرس هذا العمل جاريا الى أن مــن اللــه عليهم بالاسلام الذى يحرم الزواج بالمحارم ، فأبطلوه بينهم ، والحمد لله على نعمة الاسلام الطاهرة المطهرة للمجتمعات.

ومن قائل انه وقع هذا فى اليمن ، وفى « **صنعاء** » عاصمة البلاد ، اقتتل مؤمنوهم ومشركوهم ــ وكانوا قوة ــ ففعل المشركون بالمؤمنين ما قصه علينا القرآن .

ويميل البعض من رواة التاريخ الى القول بأن القصة وقعت فى بلاد اليمن ، وكانت اليمن تحت حكم ملك يهودى يدعى « ذو نواس » وكان ظالما وطاغية ، حاول بفعلته هذه فرض اليهودية على النصارى ــ نصارى نجران ــ وارغامهم على ترك النصرانية التى اعتنقوها ، لانها دين جديد مالت نفوسهم اليها ، وهناك قول بأنهم من الحبشة ، وأيا ما كان مكانها وزمانها فالقصة ذات عبرة بليغة ، وموعظة عظيمة ، يستفيد منها المؤمنون الصادقون المتمسكون بعقيدتهم مهما كانت العقبات أو العقوبات التى تصيبهم وتعترضهم فى سبيل التمسك بعقيدتهم .

وقد روى أصحاب الحديث قصتهم هذه بروايات متعددة ، وأخرجوها بطرق مختلفة ، ترجع الى زمانها ومكانها وأهلها ، فنكتفى هنا بما أخرجه الامام مسلم فى صحيحه وبسنده عن صهيب الرومى رضى الله عنه ، كما أخرجها أيضا الامام أحمد ، وأبو داود ، والترمذى وغيرهم .

قال الامام مسلم فى صحيحه : حدثنا هدّاب بن خالد ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا ثابت عن عبد الرحمن ابن أبى ليلى ، عن صهيب ان رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال : (كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ ، فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ : إِنِّى كَبِرْتُ فَابْعَثْ إِلَىَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ ، فَكَانَ فِى طَرِيقِهِ ــ إِذَا سَلَكَ ــ رَاهِبٌ ، فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ فَأَعْجَبَهُ ، فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ ، فَشَكَى ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ فَقَالَ : إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ : حَبَسَنِى أَهْلِى ، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ حَبَسَنِى السَّاحِرُ ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ ، إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ ، فَقَالَ : الْيَوْمَ أَعْلَمُ السَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ ، حَتَّى يَمْضِىَ النَّاسُ ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا ، وَمَضَى النَّاسُ ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ : أَىْ بُنَىَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّى ، وَقَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى وَأَنَّكَ سَتُبْتَلَى ، فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَىَّ ، وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِىءُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَيُدَاوِى النَّاسَ ، مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِىَ ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ ، فَقَالَ : مَا هَا هُنَا لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِى ، فَقَالَ : إِنِّى لَا أَشْفِى أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِى اللَّهُ ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ ، فَآمَنَ بِاللَّهِ فَشَفَاهُ اللَّهُ ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ ؟ قَالَ : رَبِّى ، قَالَ : وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِى ؟ قَالَ : رَبِّى وَرَبُّكَ اللَّهُ ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ ، فَجِىءَ بِالْغُلَامِ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : أَىْ بُنَىِّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ

ما تُبْرِىءُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَص ، وَتَفْعَلُ وَتفعَل ؟؟ ، فَقَالَ : إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا ، إِنَّمَا يَشْفِي ٱللَّهُ ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَـزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى ٱلرَّاهِبِ ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ : ٱرْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى ، فَدَعَا بِالْمِنْشَارِ ـ ٱلْمِنْشَار ـ فَوَضَعَ ٱلْمِنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ : ٱرْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : ٱذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا فَاصْعَدُوا بِهِ ٱلْجَبَلَ فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذِرْوَتَهُ ـ أعلاه ـ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ. ـ دحرجوه ـ فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعَدُوا بِهِ ٱلْجَبَلَ فَقَالَ : ٱللَّهُمَّ ٱكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ ، فَرَجَفَ بِهِمُ ٱلْجَبَلُ ـ اضطرب وتحرك حركـة قويـة ـ فَسَقَطُوا ، وَجَـاءَ يَمْشِي إِلَى ٱلْمَلِكِ ، فَقَالَ لَـهُ ٱلْمَلِكُ : مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ ؟ قَالَ كَفَانِيهِمُ ٱللَّهُ ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : ٱذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ ـ سفينة صغيرة ـ فَتَوَسَّطُوا بِهِ ٱلْبَحْرَ ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ ، فَذَهَبُوا بِهِ ، فَقَالَ : ٱللَّهُمَّ ٱكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ ، فَانْكَفَأَتْ ـ انقلبت ـ بِهِمُ ٱلسَّفِينَةُ فَغَرِقُوا ، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى ٱلْمَلِكِ ، فَقَالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ : مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ ؟ قَالَ : كَفَانِيهِمُ ٱللَّهُ ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ : إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ ، قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : تَجْمَعُ ٱلنَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي ـ جعبة تجعل فيها السهام ـ ثُمَّ ضَعِ ٱلسَّهْمَ فِي كَبِدِ ٱلْقَوْسِ ثُمَّ قُلْ : بِسْمِ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْغُلَامِ ثُمَّ ٱرْمِنِي ، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي ، فَجَمَعَ ٱلنَّاسَ

فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ ، ثُمَّ وَضَعَ ٱلسَّهْمَ فِي كَبِدِ ٱلْقَوْسِ ، ثُمَّ قَالَ : بِاسْمِ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْغُلَامِ ، ثُمَّ رَمَاهُ ، فَوَقَعَ ٱلسَّهْمُ فِي صُدْغِهِ ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ ٱلسَّهْمِ فَمَاتَ ، فَقَالَ ٱلنَّاسُ : آمَنَّا بِرَبِّ ٱلْغُلَامِ ، آمَنَّا بِرَبِّ ٱلْغُلَامِ ، آمَنَّا بِرَبِّ ٱلْغُلَامِ ، فَأُتِيَ ٱلْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ : أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ ؟ قَدْ وَٱللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ ، قَدْ آمَنَ ٱلنَّاسُ ، فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ ٱلسِّكَكِ فَخُدَّتْ ، وَأَضْرَمَ ٱلنِّيرَانَ ، وَقَالَ : مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا ، أَوْ قِيلَ لَهُ : ٱقْتَحِمْ ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ ٱمْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ ـ رضيع ـ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ ـ تاخرت ولم تتقدم ـ أَنْ تَقَعَ فِيهَا ، فَقَالَ لَهَا ٱلْغُلَامُ : يَا أُمَّهْ ٱصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى ٱلْحَقِّ) من صحيح الامام مسلم ، ج 18 .

انتهت القصة ، وهى كما جاءت فى صحيح الامام مسلم ، فالمحرقون فى النار هم من مؤمنى نصارى نجران فهم مؤمنون موحدون اضطهدهم وعذبهم ملك اليمن ، المسمى «ذو نواس» اليهودى الحميرى ، كما جاء مصرحا به فى بعض روايات قصص التاريخ القديم .

وقالوا : ان هذا الملك عمل ما استطاع عمله لتكون اليهودية دينا يشمل كل أرجاء اليمن ، وأمر بتحكيم التوراة فى كل نازلة أمرا لابد منه ، وبهذا يضمن لدينه الانتشار ، ولكتابه الدوام والبقاء والاستمرار فى الحياة ، ومن أجل هذه الامنية يجب أن يزول من طريق ذلك الدين كل دين آخر قد ينافسه ويقاسمه

الحكم والسيطرة ، فلا عقيدة الا عقيدة اليهودية ، وهذا رأيه ، ومن أجل تنفيذ رأيه هذا ارتكب ذلك الجرم الفظيع .

رأينا أن قصة أصحاب «الاخدود» هذه تألفت من عنصرين وطائفتين ، عنصر الاساس الذى وضعت عليه ، وهو الملك والساحر ، فى جهة ، والراهب والغلام فى جهة أخرى ، وعنصر آخر فيه الشعب المؤمن الموحد المتدين الذى لم يرض بترك دينه وعقيدته استجابة لتهديد الملك وأعوانه وأنصاره ، اما الطائفتان فطائفة كافرة جاحدة لربها وخالقها ، وطائفة مؤمنة بالله ربها وخالقها ، غير ان هذه الطائفة المؤمنة ضعيفة ضعفا ماديا ، والطائفة الاخرى قوية ، بقوة الملك وجنده وأعوانه الظلمة ، اذ هى كافرة مشركة بالله ، وهى قوية بيدها الامر والنهى والحكم ، فهى بقوتها تسلطت على الطائفة الضعيفة ، ففتنتها فى دينها بشتى أنواع الفتن لتردها عنه وعن عقيدتها التوحيدية فى الله ، ولكنها وجدتها صلبة قوية فيها ، فلم تستجب لها ، ولم ترهبها عندما أرادت منها خلاف عقيدتها ، فاصطدمت فيها بصخرة العقيدة الصلبة القوية ، وفشلت فى محاولاتها تلك ، كما فشلت محاولات مشركى قريش مع الضعفاء من أصحاب رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، هذا هو عمل العقيدة اذا تجردت من الدواعى الخارجة عنها ، فكلهم صبر على ما قام به الطغاة الظالمون نحوهم ، حتى نصرهم الله على أعدائهم ، وهذه هى عاقبة الثبات على

عقيدة الحق تتجدد فى كل أوان وحين ، وهكذا يتحقق وعد الله الذى وعد به أولياءه وأنصار دينه كما قال : **(وَلَيَنْصُرَنَّ ٱللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ، إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ)** وصدق الله فى وعده .

وبالتأمل والتدقيق فى أمر تينك **الطائفتين** المذكورتين يتبين لنا ما يلى :

أ ـ ملك جبار قاهر للضعفاء ، غشوم فى تصرفاته وتسييره لامر الرعية ، ادعى الالوهية ، يحيط به أعوان ظلمة أعانوه على ظلمه ، يرهبونه فيستجيبون له فى كل ما يأمرهم به ، فهم مسخرون بين يديه ، يعملون له ما يشاؤه ويريده بكل طاعة وانقياد ، لا من يعارضه منهم فيما يطلبه ويبتغيه ، ولا من يكفه ويحول بينه وبين الفتك بالضعفاء من عباد الله ، الذين ليس لهم ناصر الا هو .

ب ـ وطائفة من رعيته أبت أن تقر له بدعواه «الالوهية» الباطلة ، فآمنت بالله وحده ربها ورب العالمين ، فأفردته بالطاعة والعبادة والعقيدة الصحيحة ، وكانت عقيدتها فى ربها ثابتة راسخة رسوخ الجبال ، وليس من السهل الميسور تحويلها عنها الى غيرها ، وخصوصا اذا كانت هذه العقيدة التى حاول هذا الطاغية صرفهم اليها عقيدة باطلة ، لا يستسيغها العقل البشرى النير بنور الايمان السليم من كل أوساخ الشهوات والاطماع ، فصاحب هذه العقيدة لا يستجيب الا لنداء

الحق ودعاء الخير والفضيلة والضمير الحي ، فهى قد قبلت عذاب الدنيا ورضيت به فى سبيل عقيدتها ، لتلقى ربها يوم القيامة طاهرة من رجس الشرك والمعاصى ظاهرة فوق المشركين .

فتعرضت هذه الجماعة المؤمنة الى أقسى أنواع التعذيب ، اذ هو امتحان بالغ القساوة والشدة ، فانه لا أقسى ولا أشد من العذاب بالنار ، اذ لا يعذب بها الا الخلاق العليم من جحده وكفر به ، وهو ـ وحده لا غير ـ ولى النعم ، ومنزل النقم ، له السلطة الكاملة على عباده كلهم ، واذا عصاه بعض عباده وكفر به عاقبهم بما يشاء لان الخلق كلهم خلقه ، فهو مولاهم ومالكهم ، يتصرف فيهم بما تتطلبه حكمته ، ويقتضيه تدبيره وسلطانه ، وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (**لَا يُعَذِّبُ ـ أَوْ لَا يُحْرِقُ ـ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ**) . أو كما قال ، وكان فى تلك الجماعة المؤمنة الموحدة أم مع طفلها الرضيع ، وراهب ـ عابد ـ يعلم الناس الدين والتوحيد وطاعة الله ، ورجال آخرون تمكنت عقيدة التوحيد من قلوبهم ، فصعب عليهم تركها والتخلى عنها ، أو انتزاعها منهم ، فرضوا بالموت تحريقا بالنار فى سبيلها ، وكان فيهم غلام ، يا له من غلام أراده الملك أن يكون ساحر القصر الملكى ، غير أنه ترك ما انتدبه الملك اليه وأعرض عنه وتردد على مقر الراهب وتعلم منه الدين ، فكان ـ الغلام ـ بما أخذه عن الراهب داعية الى الله والى توحيده ، فنفعه الله بعلمه ، فنفعه فى نفسه وبث به

التوحيد فى أمته ، فانقذ به خلقا كثيرين من عذاب الله ، وهذه خطة من تعلموا العلم لله ، فنفعوا أنفسهم ونفعوا غيرهم ، فأقبل على علم الدين وأعرض عن تعلم السحر ـ والسحر حرام فى كل شريعة سماوية ـ فساقه الله الى ذلك الراهب ، حيث تعلم منه الحق ، وترك السحر والساحر ـ ولا يفلح الساحر حيث أتى ـ وأعرض عن الساحر وكذبه وتعليمه له فنون السحر والشعوذة والغطرسة ، وكان فى تلك الجماعة غير هؤلاء المؤمنين المذكورين ، من المؤمنين الموحدين لله ولسلطانه ممن شاهدوا قتل ـ بطل هذه القصة ـ وهو الغلام المؤمن الموحد حين رماه الملك بالسهم الذى أخرجه من كنانة الغلام المؤمن ، وذكر الله عند رميه كما دله الغلام على هذا ، فانقلب الجمع الغفير الحاضر لهذه الواقعة الى مؤمنين صادقين بما شاهدوه وعاينوه ، والجمع كثير العدد ، فشاهد هذه العملية الاجرامية التى فعلها هذا الطاغية بجماعة آمنت بالله الواحد الاحد ، وتلك حيلة تنبه اليها الغلام المؤمن ، وخفيت على الملك البليد ، وهذا ما أراده الغلام المؤمن وقصده ، وفى هذا الدعوة الى دين التوحيد ، بواسطة أعمال الملك الظالم ، فكانت بتضحية هذا الغلام بروحه فى سبيل الدعوة الى عبادة الله وحده ، وترك عبادة الاشخاص المغرورين ، كما فى جمع الناس فى صعيد واحد لمشاهدة عجز الانسان المغرور ، وقدرة الله الواحد القهار دعوة أيضا الى عقيدة التوحيد ، وهى كما قلت حيلة لم يفطن اليها الملك الجبار

فخسر بها هذه المعركة التى دارت بين الايمان والكفر ، وبين التوحيد والشرك ، فعادت على الملك بالوبال والخسران فى الدنيا ، وما سيلقاه يوم القيامة من شديد العذاب والهوان أعظم ، مما لا طاقة له بتحمله ـ فهو لا يطاق ـ فيعامل الله الخالق العظيم هؤلاء الجبارين الطواغى فى الدنيا الضعفاء فى الآخرة ، يعاملهم بأقسى ما عاملوا به عباده المؤمنين ـ جزاء وفاقا ـ كما قال هنا فى نهاية هذه القصة ؟ : (**إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ ـ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا ـ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ**) .

ولما عجز الملك ـ بقوته ـ على قتل الغلام المؤمن بالله ، سواء حين أرسله مع أعوانه لالقائه من رأس الجبل وأعلاه ، أو مع أصحاب « القرقور » الخ ، قال الغلام للملك : انك لا تقتلنى الا بما أشير به عليك ، فقال له الملك : وما ذاك ؟ فقال له خذ سهما من كنانتى الخ ، ما مر ، واجمع الناس فى مكان واحد ، وهنا جاءت الحيلة التى أرادها الغلام ، واللعبة الرابحة ، وهى اظهار قدرة الله لمن لم يؤمن بها ، وتأثير عقيدة التوحيد فى النفوس المؤمنة ، أمام الجمهور العظيم لتؤثر فيهم ، فيؤمنوا ، وذلك هو المراد ، ففعل الملك بما أشار به عليه الغلام ، فأخذ السهم من الكنانة ، ووضعه فى كبد القوس ، وقال باسم الله رب الغلام ورمى به الغلام ، فلما فعل ما قاله الغلام أصاب هدفه ، ونفذ السهم الى صدغ الغلام فقتله ، والناس فى ذلك الجمع

الكبير يشاهدون هذه العملية ، وهكذا ضحك الغلام على الملك ، وأظهر للناس أن الملك ليس ربا بل هناك رب آخر غيره ، وهو واحد وهو للناس أجمعين ، وهو الفاعل المختار ، ومنه تكون الموت والحياة ، وقد رآى المشاهدون لهذه العملية تأثير الدعوة الى الله فى نفوس المؤمنين ، كما تحقق المشاهدون ـ بالمعاينة ـ أن الملك ليس باله ، وأن هناك الها آخر غيره ، وهو رب العالمين كلهم ، ملوكهم وعامتهم ، فما وسع الحاضرين والمشاهدين لتلك العملية الا الرضوخ والايمان بالله وحده والكفر بالملك ، وهذا ما أراده الغلام بالملك ، فانقلب الموقف لصالح الغلام وعقيدة التوحيد ، وخسر الشرك والملك وكل المؤيدين له .

هكذا تكون التضحية فى سبيل العقيدة والدعوة اليها ، وهكذا يكون الجود والبذل بالانفس والارواح فى سبيل الدين والعقيدة ، وهذا هو الجهاد فى الاسلام، وهو كما قال الشاعر الحكيم حين قال :

الجود بالمال جود فيه مكرمة
والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وقال الله تعالى : « **إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ ـ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا ـ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ** ».

هكذا أتبع الله ما ذكره فى هذه القصة من أعمال الفئة الباغية ، وما سلطته على الفئة الموحدة ، أتبعه بنوع الجزاء الذى سيناله الظالمون ، حيث اعتدوا على

عباده المؤمنين به ، فهو يعاملهم بنوع ما عذبوا به عباده المؤمنين ، فكما أحرقوهم بالنار فسينتقم للضعفاء المؤمنين من أولئك بالنار ، ولكن أين عذاب نار جهنم من عذاب نار الدنيا ؟ وما نار الدنيا الا جزء من سبعين جزءا من نار جهنم ، كما جاء فى الحديث الصحيح ، فهناك فرق كبير – جدا – بين النارين ، فنار الدنيا – مع ضعفها – تصيب من سلطت عليه لحظة قصيرة ، ثم تريح من كان فيها ، اما بالموت واما بالخروج منها والبعد عنها وعن حرها ، اما نار جهنم فانها دائمة وباقية وأبدية ، لا تنطفى ولا تطفأ ولا تخمد أبدا ، كما قال الله فيها : « **إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ، لِيَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ ، إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا** » . سورة النساء الآية : 56 ، ومثل هذه الآية وكم لها فى القرآن من مثيلاتها – قوله تعالى : « **وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ ، لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا ، كَذَلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ** » . سورة فاطر الآية : 36 .

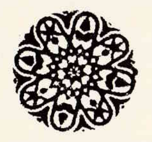
أما أولئك الضعفاء المؤمنون بالله المحرقون بالنار فى الدنيا فان الله سيعوضهم عما أصابهم من الظالمين بسكنى الجنان والمنازل الكريمة الدائمة جزاء صبرهم على تعذيبهم فى ذات الله ، ومن أجل ايمانهم به ، قال بعد ذكره لعذاب الظالمين الطاغين : « **إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ ،**

ذَلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ، إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ، إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ، وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ، ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ، فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ » . وفى أول القصة جاءت كلمة (**قُتِلَ أَصْحَابُ ٱلْأُخْدُودِ**) . والمعنى بكلمة « أصحاب » هو الملك ومن معه من أعوانه الظلمة ، ويكفى فيهم كلمة « **قُتِلَ** » فمعناها لعن وطرد وأبعد – كما قال عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما – فهى دليل على غضب الله ومقته لهؤلاء الظلمة ، وابعادهم عن ساحة الرحمة الالهية الواسعة ، لانهم لا يستحقونها بما ارتكبوه من فظيع الاجرام ، مع عباد الله ، وشناعة هذه الفعلة القبيحة التى تشعر بقساوة قلوبهم وانعدام الشفقة منها ، وانهم تجاوزوا الحدود فيما أتوا به ، فاستوجبوا لذلك أن تحل بهم نقمة الله ولعنته وغضبه ، فجلسوا بعيدا – كما فعل النمروذ مع ابراهيم – عن الاخدود ، يراقبون وينظرون اعمال اعوانهم ، وهم يعرضون المؤمنين على النار ، فمن ارتد منهم عن دينه وكفر بالله – استجابة لهم – رضوا عنه وأخلوا سبيله وتركوه ، ومن رفض ما أرادوه واستمسك بعقيدته ودينه رموه فى النار وأقحموه فيها ، كما أخبر الله تعالى الرحمن الرحيم عنهم : « **إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ، وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ، وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ، ٱلَّذِى لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ، وَٱللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** » .

وفى النهاية أعلمنا الله القوي العزيز ـ كى نثبت على ديننا وعقيدتنا ـ بأن الصراع والنزاع موجود من قديم الزمان ، وهو قائم بين التوحيد والشرك ، وبين الكفر والايمان ، وبين المؤمنين والكافرين على أنواع وأشكال وأساليب مختلفة ، ولا يزال مستمرا بأنواعه وأشكاله الى يومنا هذا ، بل والى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين .

ذلك امتحان يمتحن الله به عباده ، ليظهروا للناس على حقيقتهم ، وينكشف ما فى ضمائرهم وسرائرهم ، فيعرفوا بما هو مستور فى باطنهم ، حتى لا يصدق الناس بالاقوال وحدها مجردة من الاعمال ، وكم علم الناس وتعلموا من هذا الامتحان حقائق كانت مجهولة لديهم ، وبالامتحان بَانَ كلُّ مخبوء وانكشف كل مستور ، وذلك ما أراده الله العالم بما فى السرائر ، وبمن هو أهل للايمان الكامل الذى يثبت عليه ولو يلقى فى النار ، ومن اتخذ الايمان (دِثَاراً لاَ شِعَاراً) غير أن الله عود أهل التوحيد والايمان النصر على خصومهم أعداء الله وأعدائهم ، فتكون العاقبة لهم فى كل موقف وقفوه تجاه أعدائهم ، ذلك ما وقع فى كل موقف وحال مضى ، والعقوبة على أعدائهم مهما امتد الزمن وطال ، كما قال : (**وَمَا النَّصْرُ إلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**) . سورة آل عمران الآية 126 ، وصدق الله العظيم .

فرئيس اصحاب الاخدود الملك « الحميرى » **ذو نواس** اليهودى قد أحرق فى الاخدود كل من تنصر من أهل نجران ، لان أهل نجران ـ باليمن ـ دانوا بالنصرانية، قبل ظهور الاسلام ، وهكذا شأن الظالمين مع المؤمنين ، وقد قدم منهم وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلموا اختيارا منهم ، بلا تحريق ولا تعذيب ، لسماحة صدر الاسلام ، وقد بعث اليهم الرسول من علمهم من الصحابة ، وقصتهم مذكورة في الوفود .



— 4 —

بلال بن رباح

أحد المستضعفين المعذبين من الصحابة

مثال من أمثلة أبطال العقيدة الاسلامية

هو بلال بن رباح مولى أبى بكر الصديق وعتيقه ، رضى الله عنهما ، ويكنى أبا عبد الله ، وقيل أبا الحكم، وقيل أبا عبد الرحمن ، وهو من مُوَلَّدِى مكة المكرمة ، وقيل مولدى السراة ، واسم أمه « حمامة » ، وكانت لبعض بنى « جُمَحٍ » وهو حبشى الاصل ، قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**بِلَالٌ سَابِقُ الْحَبَشَةِ**) — يعنى الى الاسلام ، — وكان بلال من مستضعفى الصحابة ومؤمنيهم الاولين ، وكان يعذب العذاب الشديد من أجل عقيدته التوحيدية — فيصبر على العذاب — وهذا حين أسلم وأبى أن يرجع عن دينه وعقيدته ، فما أعطى معذبيه — قط — كلمة ترضيهم وتسخط عليه ربه ، مما يريدونه منه ، حيث طلبوا منه أن يرجع عن دينه « الاسلام » الذى هداه الله اليه ، اذ كان من السابقين اليه ، وقد ألح عليه معذبوه — كثيرا — وهو تحت العذاب والسياط ، أن يكفر بالله

وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، فيأبى أن يجيبهم ألى شيء مما يريدونه ، بل يصارحهم ـ ليغضبهم ـ ويقول لهم فى رفض واباء لما أرادوه منه ـ **أحد أحد** ـ ويقول : لو كنت أعرف كلمة أحفظ ـ أغيظ ـ لكم منها لقنتها لكم ، وكان الذى يتولى تعذيبه المشرك الجبار (**أمية بن خلف**) وهو اذ ذاك عبد مملوك للمشركين .

وكان اذا اشتد عليه المشركون فى التعذيب والتنكيل به يقول : **أحد أحد** ، فيستريح قلبه بذكر الله ، وينسى العذاب الذى هو فيه ، فيقول له المشركون : قل كما نقول نحن فيقول لهم بلسان المؤمن الثابت فى ايمانه ، القوى فى عقيدته : انَّ لسانى لا يحسنه ، يعنى كلمة الكفر بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك ما طلبوه منه . ليقلعوا عن تعذيبه .

من أنواع التعذيب له :

ذكر ابن سعد ـ وغيره ـ فى الطبقات الكبرى : أن بلالا أخذه أهله ـ أى مالكوه ـ فمطوه ـ أى مدوه ـ وألقوا عليه من البطحاء ـ أى الزبل ـ وجلد بقرة ، فجعلوا يقولون : **ربك اللات والعزى** ، وهو يقول : **أحد أحد** ، فهم يحاولون أن يردوه عن دينه دين التوحيد ، ليشرك مع الله الاوثان والاصنام ، فكان لا يجيبهم الا بكلمة التوحيد ، وهى : (**لَا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ**) **قال فأتى عليه أبو بكر الصديق**

رضى الله عنه ، فقال لمعذبيه : علام تعذبون هذا الانسان ؟ وطلب منهم أن يبيعوه له ، فقبلوا ـ بعد محاولات ـ فاشتراه منهم بسبع أواق وقيل بتسع ، وقيل بخمس ، فأعتقه لله وفى سبيل الله ، فذكر هذا للنبى صلى الله عليه وسلم ، فقال له : الشركة يا أبا بكر، فقال : قد أعتقته ، فتم عتقه على يد أبى بكر ، وأزال عنه قيد العبودية لغير الله الخالق الحكيم ، وكان بلال لابى بكر خازنا ولرسول الله مؤذنا .

وروى عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب رضى الله عنهم كان يقول : أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا (يعنى بلالا) وجاء فى بعض الاخبار التى تعرضت لمحنة بلال أن أبا بكر مر ببلال وهم يصنعون به ما يصنعون من ألوان التعذيب والتنكيل، فقال لمعذبه (أمية بن خلف) : **ألا تتقى الله في هذا المسكين ؟ حتى متى؟** **فقال له أمية**: أنت أفسدته فأنقذه مما ترى، فقال أبو بكر: **أفعل** ، عندى غلام أسود أجلد منه وأقوى ، وهو على دينك أعطيكه به ، قال : قبلت ، قال : هو لك ، فأعطاه أبو بكر غلامه ذاك وأخذ بلالا منه فأعتقه ، هذه احدى روايات عتق بلال ، ثم أعتق معه سبعة على الاسلام ، ـ قبل أن يهاجر من مكة ـ ست رقاب وبلال سابعهم .

قال ابن اسحق : وكان بلال مولى أبى بكر رضى الله عنهما لبعض بنى جُمَح ، مولدا من مولديهم ، وكان صادق الاسلام طاهر القلب ، وكان أمية بن خلف

ابن وهب بن حذافة بن جمح يخرج بلالا اذا حميت الظهيرة ، فيطرحه على ظهره فى بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له : (لا والله) لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى ، فيجيبه وهو فى ذلك البلاء الشديد : أحد أحد ، ولو أعلم كلمة أحفظ ــ أكثر غيظا ــ لكم منها لقلتها لكم زيادة فى غضبكم عنى .

وقال ابن أسحق : وحدثنى هشام بن عروة عن أبيه قال : كان ورقة بن نوفل يمر به ــ بلال ــ وهو يعذب بذلك العذاب وهو يقول : أحد أحد ، فيقول له ورقة : أحد أحد والله يا بلال ، ثم يقبل على أمية بن خلف ، وعلى من يصنع ذلك به من بنى جمح فيقول : أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لاتخذنه حنانا (أى لاجعلن قبره موضع حنان وزيارة) أى عطف ورحمة ، فأزوره كما تزار قبور الصالحين والشهداء للعبرة والذكرى والقدوة الحسنة ، هذه رواية ابن اسحاق فى السيرة .

ملاحظة على هذه الرواية :

قال ابن كثير فى السيرة النبوية بعد أن ذكر ما قاله ابن اسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه من مرور ورقة ابن نوفل على بلال وهو فى العذاب ... الخ . قال : ابن كثير : قلت وقد استشكل بعضهم هذا ، من جهة أن ورقة بن نوفل توفى بعد البعث فى فترة الوحي ،

واسلام من أسلم انما كان بعد نزول (يَا أَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ) فكيف يمر ورقة ببلال وهو يعذب ؟ وفيه نظر ، فابن كثير لم يرض بما قاله ابن اسحاق ولم يطمئن قلبه اليه لما ذكره من اختلاف الزمان .

وقد نال تآخى رسول الله بين الصحابة رضوان الله عنهم بلالا ، فقد آخى بينه وبين عبيدة بن الحارث ابن عبد المطلب ، وقيل بل كانت هذه المؤاخاة بينه وبين أبى رويحة الخثعمى ، وقيل بينه وبين أبى عبيدة ابن الجراح .

من هم أول من أظهروا الاسلام ؟

ذكر ابن سعد فى طبقاته الكبرى عند كلامه على ترجمة بلال رضى الله عنه ، قال : أخبرنا جرير ابن عبد الحميد عن منصور بن مجاهد قال : أول من أظهر الاسلام سبعة : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر، وبلال، وخباب، وصهيب، وعمار بن ياسر ، وأمه سمية. قال : فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه ، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه وقبيلته ، وأخذ الآخرون فألبسوهم أدراع الحديد ثم صهروهم فى الشمس ، حتى بلغ الجهد منهم كل مبلغ ، فأجابوهم ــ فى بعض الاوقات ــ الى ما طلبوه منهم ، من كلمات ترضيهم ، فيها نوع من الكفر بالله ــ ظاهرا ــ أما قلوبهم فهى عامرة بالايمان بالله وحده ، مثل ما فعل

عمار بن ياسر رضى الله عنه ، فقد أجابهم الى بعض ما أرادوه منه ، ونطق ببعض كلمات الشرك كما يأتى فى ترجمته ان شاء الله ، الا بلالا رضى الله عنه ، فانه لم يعطهم أى شىء مما طلبوه منه ، فقد هانت عليه نفسه وذاته فى الله وفى دين الله ، ولم يقبـــل أن يرضى المشركين بشىء مما طلبوه منه ، بل كان يفوه بكل كلمة تغضبهم كما مر سابقا ، حتى ملوه وملوا الحديث معه ، من أجل ما يسمعهم من اظهار وحدانية الله فى كلمـــة صريحة مدوية ـ لا غموض فيها ولا تورية ـ تصم آذانهم وتؤذى مشاعرهم نحو آلهتهم المعظمة فى قلوبهم، ولما أعياهم أمره جعلوا فى عنقه حبلا من ليف وسلموه الى صبيانهم ، ثم أمروهم أن يشتدوا عليه فى التعذيب ، ويسرعوا به بين أخشبى ـ جبلى ـ مكـــة ، فهو فى أيديهم ، وهم يفعلون به ما أمروا أن يفعلوه به ، وهو يقول : **أحد أحد** ، أى لا شريك مع الله فى ألوهيته ، وهذا هو الثبات على العقيدة وأيم الله ، حتى فى الاهوال والشدائد .

قال الشعبى : سألت ابن عباس رضى الله عنهما : من أول الناس اسلاما ؟ فقال : أبو بكر ، أوما سمعت قول حسان :

إِذَا تَذَكَّـــرْتَ شَجْـــوًا مِـــنْ أَخِى ثِقَـــةٍ
فَاذْكُـرْ أَخَـــاكَ أَبَـا بَكْـرٍ بِمَا فَعَـلَا
خَـــيْرَ اَلْبَرِيَّـــةِ أَتْقَـاهَـا وَأَعْدَلَهَـــا
بَعْـــدَ اَلنَّــبِيِّ وَأَوْفَـاهَـا بِمَـا حَمَـلَا

اَلثَّـــانِىَ اَلتَّـــالِىَ اَلْمَحْمُـودَ مَشْهَـــدُهُ وَأَوَّلَ اَلنَّـــاسِ مِنْهُـــمْ صَـدَّقَ اَلـرُّسُـلَا

وقد أصاب أبا بكر أذى كثير من المشركين من أجل اسلامه ، وهم الذين حاربوا الدعوة الاسلامية فى أول بزوغ شمسها لانه كان أول رجل آمن وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلـــم فى دعوته ، قال ابن اسحـــاق : وحدثنى بعض آل أم كلثوم بنت أبى بكر قالت : لقد رجع أبو بكر يومئذ وقد صدعوا مفرق رأسه ، ممـــا جبذوه بلحيته ، وكان رجلا كثير الشعر .

بـــلال أول مـــؤذن فى الاســـلام :

شرع الله الأذان فى الاسلام لحضور المسلمين الصلاة المفروضة عليهم ، وهى الصلوات الخمس ، والآذان هو الاعلام بدخول وقت الصلاة ، وفيه دعوة المسلمـــين ونداؤهم لاداء هذا الفرض العظيم فى الاسلام ، وهو الصلاة ، وسواء أكان الاداء لها فى المساجد أو فى أى مكان كان .

هذا وقد شرع الله الأذان للصلاة فى السنة الثانية من الهجرة ، حين كان المسلمون يجتمعون اليها بلا نداء ولما ازداد عددهم بانتشار الاسلام ، وتفرُّق المسلمـــين فى البلاد وأطرافها للقيام بأعمالهم المعاشية ، كانوا فى حاجة ماسة الى دعوتهم لاداء الصـــلاة ، وتنبيههم الى حضور وقتها حتى لا يتأخروا بها عن وقتها ، وكانت دعوة اليهود الى صلواتهم بالبوق ، أو الصور ، ودعوة

النصارى بالجرس أو الناقوس ، فتأكدت الحاجة الى دعوة المسلمين بشىء ينبههم لها ، فشرع الله لهم الآذان لذلك ، كى يقبلوا الى المساجد لاداء الفرض الواجب عليهم وهو الصلاة ، فكان بلال أول من أذن فى الاسلام، واستمر على هذا مدة حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، فهو مؤذنه حضرا وسفرا ، وكان اذا فرغ من الآذان وأراد أن يخبر النبى صلى الله عليه وسلم انه أذن ، وقف على باب حجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وقال : حى على الصلاة حى على الفلاح يا رسول الله ، فاذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيته ورآه بلال ابتدأ الاقامة .

وكان للرسول صلى الله عليه وسلم ثلاثة مؤذنين هم : بلال ، وأبو محذورة ، وعمرو بن أم مكتوم الضرير ، فاذا غاب بلال أذن ابو محذورة ، واذا غابا أذن عمرو بن أم مكتوم .

ولما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة المكرمة سنة ثمان من الهجرة ، أمر بلالا أن يؤذن على ظهر الكعبة المشرفة — لانعدام المئذنة يومئذ — فصعد بلال فوقها وأذن ، وقد أزعج المشركين وأقلقهم صوت هذا الحبشى وهو يؤذن من فوق ظهرها ، اذ لم يكونوا يسمحون لاحد غيرهم بالصعود فوقها ، اذ الاسلام محا جميع الفوارق العرقية والبشرية ، فكل المسلمين سواء، ويسعى بذمتهم أدناهم .

بلال حامل الْعَنَزَةِ :

مما أكرم الله به بلالا رضى الله عنه ، زيادة على أن اسلامه كان فى أول المسلمين ، وبلاؤه البلاء المر ، والبلاء الشديد ، وصبره على كل ما أصابه فى سبيل الله ، فقد أكرمه الله بكرامة أخرى ، حيث اختاره الرسول صلى الله عليه وسلم ليكون حامل **عَنَزَتِهِ** ، فقد جاء عن ابن عمر رضى عنهما قال : كانت العنزة تحمل بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم العيد ، يحملها بلال المؤذن ، وكان يَرْكُزُهَا بين يديه ، والمصلى يومئذ فضاء لتقوم مقام « السترة » التى توضع أمام المصلى ، فاذا أراد أحد المارة أن يمر أمام المصلِّى مر من ورائها ، فتكون السترة حائلا بين المار وقت مروره ، وبين المصلى وقت صلاته ، والسترة من سنن الصلاة ، اذا كان المصلى يصلى وأمامه فضاء يمر منه الناس ، وذلك حتى لا يقطع المارة على المصلى صلاته ، ولا يشغلوه عنها وقت مرورهم ، وقد زهد فى فعلها المسلمون فى الوقت الحاضر ، فهى من السنن النبوية التى تنوسيت، وكاد المصلون أن لا يعرفوها الا القليل منهم، فبلال هو الذى كان يحملها ويمشى بها أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا شرف آخر حازه بلال بفضل ايمانه ويقينه الذى لم يزعزعه أو يضعفه التهديد والوعيد ، بل حتى والعذاب الشديد، والعنزة : هى عود من خشب

أطول من العصا وأقصر من الرمح ، فى أسفلها وطرفها الذى يمس الأرض زُجٌّ كَزُجِّ الرمح ، ـ الزُّجُّ حديدة ـ يتوكأ عليها الشيخ الكبير ومن تقدمت به السن ، وذلك لعجزه عن السير بدونها ، وهى شبه العكاز التى نعرفها الآن عندنا .

وقد ذكر ابن سعد فى طبقاته الكبرى بسنده عن حفص بن عمر بن سعد عن أجداده وغيرهم أنهم أخبروه أن النجاشى الحبشى بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عَنَزَاتٍ ، فأمسك واحدة لنفسه ، وأعطى على بن أبى طالب واحدة ، وأعطى عمر بن الخطاب واحدة، فكان بلال يمشى بتلك العنزة التى أمسكها رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه بين يديه فى يومى العيد ـ الفطر والاضحى ـ حتى يأتى المصلى فيركزها بين يديه فيصلى اليها ، ثم كان يمشى بها بين يدى أبى بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك، ثم كان سَعْدُ الْقُرَظِ يمشى بها بين يدى عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان فى العيدين ، فيركزها بين أيديهما فيصليان اليها ، قال عبد الرحمن بن سعد : وهى هذه العنزة التى يُمْشَى بها اليوم بين يدى الولاة .

وقال ابن سعد : أخبرنا محمد بن عمر بن محمد ابن ابراهيم بن الحرث التيمى عن أبيه قال : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن بلال ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقبر ، فكان اذا قال : أشهد أن

محمدا رسول الله انتحب الناس فى المسجد ، ـ يعنى بكوا بالصوت وذلك هو النحيب ـ فلما دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له أبو بكر : أذن ، فقال ان كنت انما أعتقتنى لاكون معك فسبيل ذلك ـ وفى رواية فاحبسنى ـ وان كنت اعتقتنى لله ، فخلنى ومن اعتقتنى له ، فقال ، ما أعتقتك الا لله ، قال فانى لا أؤذن لاحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فذلك اليك ، قال فأقام حتى خرجت بعوث الشام ، فسار معهم حتى انتهى اليها .

وأخرج ابن سعد عن سعيد بن المسيب أن أبا بكر لما قعد على المنبر يوم الجمعة قال له بلال : يا أبا بكر قال : لبيك ، قال : أعتقتنى لله أو لنفسك ؟ قال : لله ، فأذن لى حتى أغزو فى سبيل الله ، قال : فأذن له فذهب الى الشام فمات ثم .

بلال لا ينكر أصله :

فقد جاء عن قتادة : ان بلالا تزوج امرأة عربية من بنى زهرة ، وجاء فى طبقات ابن سعد قال : خطب بلال وأخوه ، الى أهل بيت من اليمن فقال : أنا بلال وهذا أخى ، عبدان من الحبشة كنا ضالين فهدانا الله ، وكنا عبدين فأعتقنا الله ، ان تنكحونا فالحمد لله ، وان تمنعونا فالله أكبر ، وجاء بنو أبى الكبير الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : زوج أختنا فلانا ، فقال لهم : أين أنتم عن بلال ؟ وللمرة الثالثة وهم

يطلبون منه أن يزوج أختهم من فلان ، فقال لهم : أين أنتم عن بلال ؟ أين أنتم عن بلال رجل من رجال الجنة ؟ قال : فأنكحوه .

وقال أصحاب السير : كان الناس يأتون بلالا فيذكرون فضله ، وما قسم الله له من الخير ، فكان يقول لهم : انما أنا عبد حبشى كنت بالامس عبدا .

وكان المشرك (أمية بن خلف) الجمحى ممن يعذبون بلالا ، بل كان هو أكبر معذبيه ، فكان يوالى عليه العذاب والاهانة والمكروه ، فكان من قضاء الله وقدره أن مكن الله بلالا من عدو الله وعدوه أمية بن خلف يوم غزوة بدر فقتله ، حسبما ورد هذا فى كتب السيرة، فقد جاء فيها أن بلالا لما أبصر عدو الله أمية بن خلف صاح وقال : أمية بن خلف عدو الله ... لا نجوت ان نجا ، وأجهز عليه فقتله ، وأخذ ثأره وحقه منه ، لما كان يفعله به من أنواع التعذيب والتنكيل والاهانة ، فقال فيه أبو بكر رضى الله عنه :

هنيئا زادك الرحمن خيرا فقد أدركت ثأرك يا بلال

ذلك أن أمية بن خلف ــ معذب بلال ــ كان يخرجه اذا حميت شمس الظهيرة ، فيطرحه على ظهره فى بطحاء مكة ــ كما مر ــ ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له : (لا والله) لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى ، فيجيبه

بلال وهو فى هذا البلاء العظيم : **أحد أحد** ، وقيل يقول له : لا تزال هكذا أو تفارق دين محمد .

هذا هو ايمان هذه الشخصية العظيمة فى عقيدتها، والصلبة فى دينها ، وبهذه العقيدة الفذة تغلب على كل الصعاب والعقبات التى اعترضت سبيله ، فى كل مراحل حياته الاسلامية .

فهل يوجد فى المسلمين ـ اليوم ـ من له شىء من ايمان هذا الرجل العظيم ؟ من غير اعتبار اللون والوطن.

رواة الحديث عنه :

روى الحديث عن بلال وأخذ عنه كبار الصحابة رضى الله عنهم أجمعين ، منهم : أبو بكر الصديق ، وعمر الفاروق ، وعلى بن أبى طالب ، وعالما الصحابة عبد الله ابن مسعود ، وعبد الله بن عمر ، وغيرهم ، كما روى عنه جماعة من كبار التابعين بالمدينة والشام والكوفة ، وقال على بن عمر : روى عن بلال جماعة من الصحابة وهم : أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وأسامة ابن زيد ، وعبد الله بن عمر ، وكعب بن عجرة ، والبراء بن عازب ، وغيرهم .

ومن فضائله رضى الله عنه :

روى ابن وهب وابن القاسم عن الامام مالك قال : بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبلال : **(يَا بِلَالُ إِنِّى دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَسَمِعْتُ فِيهَا خَشْفاً ـ والخشف**

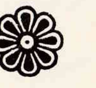
الوطء بالاقدام والحس ـ أَمَامِي قَالَ : فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا قَالَ بِلَالٌ ، قَالَ: فَكَانَ بِلَالٌ إِذَا ذَكَرَ ذَلِكَ بَكَى) .

وجاء أنه كان اذا أذن بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ذكر الصحابة بعهد الرسول عليه الصلاة والسلام فبكوا لذلك ، وروى الامام الذهبى فى كتابه : « سير أعلام النبلاء » عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : قدمنا الشام مع عمر بن الخطاب ، فأذن بلال ، فذكر الناس النبى صلى الله عليه وسلم ، فلم أر يوما أكثر باكيا منه .

وقال الذهبى أيضا : قال أبو حيان التيمى عن أبى زرعة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال عند صلاة الصبح : **(حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الْإِسْلَامِ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ اللَّيْلَةَ خَشْفَةَ** ـ حركة ـ **نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ ، قَالَ : مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى مِنْ أَنِّي لَمْ أَطَّهَّرْ طُهُورًا تَامًّا فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلَّا صَلَّيْتُ لِرَبِّي مَا كَتَبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ)** . ومن المعلوم ان الذى سمعه الرسول صلى الله عليه وسلم من بلال انما هو روحه لا جسده، فان جسده لا زال لم يدخل الجنة ، وفيه أيضا أنه دعا بلالا فقال له : **(بِمَ سَبَقْتَنِي إِلَى الْجَنَّةِ ؟ مَا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ قَطُّ إِلَّا وَسَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ** ـ الخشخشة حركة لها صوت كصوت السلاح ـ **أَمَامِي وَأَنْتَ عَلَى قَصْرٍ مِنْ ذَهَبٍ ، فَقَالَ بِلَالٌ : مَا أَذَّنْتُ قَطُّ إِلَّا صَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ ، وَمَا أَصَابَنِي حَدَثٌ إِلَّا تَوَضَّأْتُ ، وَرَأَيْتُ أَنَّ لِلَّهِ عَلَيَّ رَكْعَتَيْنِ أَرْكَعُهُمَا ، فَقَالَ : بِهِمَا)** .

وتوفى بلال رضى الله عنه بدمشق ، وقيل مات فى « داريا » وحمل فأقبر فى الباب الصغير ، وقيل دفن بباب كيسان ، أما داريا فهى قرية كبيرة من قرى دمشق ، بالغوطة مشهورة ، وكانت وفاته سنة عشرين من الهجرة ، وقيل سنة احدى وعشرين ، ودفن بدمشق عند الباب الصغير فى مقبرة دمشق ، على الخلاف كما مر ، وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وقيل ابن سبعين سنة ، ويقال انه كان ترب أبى بكر رضى الله عنهما ، وقد شهد بلال بدرا ، وأحدا ، والخندق ، والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولما حضرته الوفاة قال : **(غَدًا نَلْقَى الْأَحِبَّهْ ، مُحَمَّدًا وَحِزْبَهْ)** ولما سمع امرأته تندبه وتقول : وا ويلاه ـ على عادة النساء عند مشاهدة موت ذويهن ـ فقال هو : وا فرحتاه ، رحمه الله ورضى عن هذا الرجل العظيم الذى كان من السابقين الاولين الذين واكبوا الدعوة الاسلامية من أولها .



— 5 —

عمـــار بـن يـاسر وأسرتـه

من أول من أظهروا الاسلام :

هو أبو اليقظان عمار بن ياسر ، وأمه سمية البرة التقية المؤمنة الصالحة ، أول شهيد فى الاسلام ، وأبوه ياسر وأخوه عبد الله ، وهذه الاسرة الطيبة الكريمة على الله من المستضعفين ، ومن السابقين الى اعتنـاق الاسلام وعقيدة التوحيد ونبذ الشرك وعبادة غير الله تعالى من معبودات الجاهلية ، وكان اسلام عمار بعد بضعة وثلاثين ممن أسلموا ، وهو وأمه ممن عذبوا فى اللـه العذاب الشديد .

وأسلم عمار ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار الارقم بن أبى الارقم ، أين كان يجتمع بالمسلمين خفية لتعليمهم قواعد الدين ليكونوا ثابتين على عقيدتهم فلا يفتنهم المشركون ، والوقت ذاك وقت فتنة ، اسلم هو وصهيب بن سنان الرومى فى وقت واحد .

قال عمار : لقيت صهيب بن سنان على باب « دار الارقم » ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ، فقلت له : ما تريد ؟ فقال لى : وما تريد أنت ؟ فقلت : أريد

أن أدخل على محمد فأسمع كلامه ، فقال لى وأنا أريد ذلك ، فدخلنا عليه ، فعرض علينا الاسلام فأسلمنا ، ثم مكثنا يوما على ذلك حتى أمسينا ثم خرجنا ، ونحن مستخفون ، وكان اسلام عمار وصهيب بعد بضع وثلاثين رجلا كما سلف .

وكان عمار بن ياسر من مستضعفى الصحابة الذين كانوا يعذبون فى مكة من مشركيها ليرجعوا عن دينهم ولكنهم كانوا يأبون هذا الذى يأمرهم به المشركون .

والمستضعفون قوم لا عشائر لهم فى مكة تحميهم من طغاة أقوياء المشركين ، فكان العذاب ينزل عليهم بلا شفقة ولا حنان ولا خوف من أحد ، اذ ليس لهم منعة ولا قوة غير قوة الله الواحد القهار ، فكانت قريش تعذبهم بالرمضاء فى وسط النهار ، ليرجعوا عن دينهم ، وكان عمار وصهيب يعذبان العذاب الشديد حتى ما يدرى أحدهما ما يقول ، فبمواقف هؤلاء المؤمنين وبصبرهم على ما أصابهم من شديد العذاب ظهر الحق وانتصر على الباطل وأعوانه وأنصاره ، وانتشرت عقيدة التوحيد ، وهى العقيدة الصحيحة .

ذكر ابن سعد فى طبقاته الكبرى نسب عمار بن ياسر ونسب أمه سمية ، فقال : هو عمار بن ياسر بن عامر ابن مالك بن كنانة ... الخ ، ثم قال : كان قدم ياسر ابن عامر وأخواه الحارث ومالك من اليمن الى مكة يطلبون أخا لهم ، فرجع الحارث ومالك الى اليمن ، وبقى

ياسر بمكة ، وحالف أبا حذيفة بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم ، وزوجه حذيفة أمة له يقال لها « سمية بنت خباط » (1) فولدت له عمارا ، فأعتقه — عمارا — أبو حذيفة ، ولم يزل ياسر وعمار مع أبى حذيفة الى أن مات ، وجاء الله بالاسلام ، فأسلم ياسر ، وسمية ، وعمار ، وأخوه عبد الله بن ياسر ، وكان عمار يكنى أبا اليقظان .

قال مجاهد : أول من أظهر الاسلام سبعة : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، وبلال ، وخباب ، وصهيب ، وعمار ، وأمه سمية .

دار الارقم : ودار الارقم بن أبى الارقم كانت أول مركز — تجمع فيه المسلمون — وخلية من مراكز وخلايا انبثاق نور الاسلام ، اذ كان المسلمون لا يجرؤون على الجهر بالاسلام واقامة شعائره أمام الناس ، كالصلاة ، فلا يستطيعون اظهارها ، وكانوا يجتمعون سرا فى هذه الدار ، الى أن أظهر الله الدين باسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فخرج بهم الى الحرم وأدوا الصلاة فيه ، — والمشركون ينظرون ويسمعون — فلم يمنعهم أحد ، ودار الارقم مقرها بجوار « باب الصفا » فى مكة المكرمة ولهذه الدار وصاحبها الشجاع فضل ومزية فى نشر الاسلام ودعوته .

---

(1) خباط بضم المعجمة وتشديد الموحدة ، الاصابة ج 8 ص 113 — 114 .

محنته وفتنته مع معذبيه :

قال الكثيرون ممن كتبوا فى سيرة الصحابة رضى الله عنهم : ان المشركين عذبوا من أسلم وأظهر اسلامه شديد العذاب ليرتدوا عن دينهم ويكفروا بالله الواحد الاحد وبمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا يطلبون منهم النطق بكلمة الشرك ليكفوا عن تعذيبهم، والا استمر تعذيبهم ما داموا على الاسلام ، فمن أولئك المعذبين من أبى أن يعطيهم شيئا مما طلبوه ، كبلال رضى الله عنه ـ كما تقدم ـ عند بيان موقفه الصلب وعقيدته فى الله وفى رسوله وفى الاسلام ، ومنهم من أعطاهم ذلك ـ ظاهرا ـ ليخففوا عنه العذاب ، وثبت على عقيدة التوحيد والاعتراف برسالة محمد صلى الله عليه وسلم فى باطن نفسه ، كعمار بن ياسر ، فقد ذكر جل المفسرين للقرآن الكريم أن هذه الآية وهى قوله تعالى : « **مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ، وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** »(1) . نزلت فى عمار ابن ياسر ومن عذب من المستضعفين ، حين عذبهم المشركون ، وشددوا عليهم فى العذاب ، وقالوا له ـ عمار ـ : لا نكف عن عذابك حتى تكفر بمحمد ، فوافقهم على ما طلبوه منه ـ مكرها ـ وجاء معتذرا الى

---

(1) سورة النحل ، الآية 106 .

رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وشكا له ما أصابه من ذلك العذاب ، فقال له النبى صى الله عليه وسلم : (**كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ**) ؟ قال : مطمئنا بالايمان ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : (**إِنْ عَادُوا فَعُدْ**) وجاء فى بعض الروايات عند البيهقى وغيره أنه سب النبى صلى الله عليهوسلم تحت الضغط عليه بل وذكر آلهتهم بخير ، وشكا ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم، فقال : يا رسول الله : ما تركت حتى سببتك ، وذكرت آلهتهم بخير ، فقال له : (**كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ ؟**) قال مطمئنا بالايمان ، فقال له : (**إِنْ عَادُوا فَعُدْ**) وفى هذا أنزل الله تعالى قوله : « **إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ** ». ولهذا اتفق العلماء على أن المكره على الكفر يجوز له ـ ظاهرا لا باطنا ـ أن يقبل ويفعل ما طلب منه فعله ابقاء على حياته ، كما فعل عمار بن ياسر وله أن يمتنع عن اجابتهم لما طلب منه كما فعل بلال رضى الله عنه ، فانه أبى أن يعطى شيئا للمشركين ، وهم يعذبونه ويفعلون به الافاعيل ، حتى انهم ليضعون الصخرة العظيمة على صدره فى ساعة اشتداد الحر ، ويأمرونه بقول كلمة فيها ما يرضيهم ، فيأبى عليهم هذا ، ويقول لهم : **أحد أحد ،** بل ويقول لهم : والله لو أعلم كلمة هى أغيظ لكم لقلتها لكم زيادة فى غيظكم وغضبكم .

وبناء على ما سلف بيانه من موقف عمار بن ياسر مع معذبيه ، قال المفسرون لكتاب الله : ان الآية السابقة : « **مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ**

بِالْإِيمَانِ ، وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ » . ان هذه الآية تشمل نوعين ممن كفر بالله وأشرك معه غيره ، أو جحده بتاتا .

النوع الاول : من كفر وجحد وجود الله، أو وحدانيته وهو فى كفره مختار وكفر عن رضى منه ، وانشرح صدره له ، فهذا حكمه فى الاسلام أنه كافر ، قولا ، ونية وقصدا ، وعملا ، لانشراح صدره بالكفر ، فهو ممن غضب الله عليه ، لقوله تعالى : « فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ » . وذلك لأنه استحب الحياة الدنيا على الآخرة ، وآثرها عليها وأولاها كل عنايته واهتمامه فى حياته ، ولم يستجب لدعوة الله له الى التوحيد، فان كان كفره عن وراثة من أهله، فانه يدخل في عامة الكفار، وحكمهم بين في الاسلام ، وأما من كفر بالله ـ مختارا ـ بعد الايمان به والاقرار له بالالوهية والتوحيد ، وهو ما أشارت اليه الآية وصرحت به فانه يعتبر فيه الارتداد عن الايمان الى الكفر ، فانه يسمى مرتدا ـ راجعا وعائدا من الايمان الى الكفر ـ وحكمه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فيه : (مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ) أخرجه أئمة الحديث ، كالبخارى وأحمد وأصحاب السنن ، عن ابن عباس رضى الله عنه ، فهو قد انتقل من صف المؤمنين بالله ، الى صف الكافرين الجاحدين له ، وهذا منه تلاعب واستهزاء بدين الله ، فكانت تلك عاقبته وعقوبته ، فهو قد ارتد عن دينه

مختارا ، لهذا جازاه الله وعاقبه على ذلك بالعذاب العظيم ، فى الدنيا والآخرة .

أما النوع الثانى ، وهو من أظهر خلاف ما أبطن . كما فعل عمار بن ياسر مع معذبيه ، فأظهر لهم خلاف ما أبطن ، وقال ما قال اتقاء لشرهم وتعذيبهم له ، وذلك ليخففوا عنه العذاب ، فهذا لا حرج عليه فى سلوكه مع معذبيه أعداء الله هذا المسلك ، اذا أظهر لهم أنه موافقهم على ما طلبوه منه ـ ظاهرا فقط ـ فقد طلبوا منه الكفر بالله وبالدين وبالرسول صلى الله عليه وسلم ، ليكفوا عن تعذيبه ، فأجابهم الى ما طلبوه منه ، واتبع رأيهم فى الظاهر ، فهذا لا شىء عليه كما تقدم ، ولا يخاف عذاب الله على كفره به ـ ظاهرا ـ لانه اتقى به فقط عذاب معذبيه ، والله جل جلاله قال : « إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً » سورة آل عمران ، والرسول صلى الله عليه وسلم قال : (إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِى الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ) . رواه ابن ماجه عن أبى ذر رضى الله عنه ، وفى رواية أخرى عند ابن ماجه عن ابن عباس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : (إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ عَنْ أُمَّتِى الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ)،وفى كلا سند الحديثين للعلماء مقال .

ولبيان كل ما تقدم يظهر هذا فى قوله تعالى : «وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ

عَذَابٌ عَظِيمٌ » ، فانشراح الصدر فى الآية كناية عن القبول الاختيارى والرضى بالامر الذى مالت اليه النفس ورضيت به واختارته عقيدة وعملا ، فمن وسع صدره وقلبه وعقله لقبول الكفر بالله والردة بعد الايمان ، من غير أن تنازعه نفسه فى هذا الرضى والقبول ، فهذا كان مختارا من غير اضطرار ، فانشرح صدره ورضى قلبه بقبول الكفر والجحود ، غير مكره عليه ولا كاره له ، فهذا ملعون ومغضوب عليه من الله ، الاله الواحد لجميع المخلوقات ، فهذا ظلم وقع من ظالم لذا وجبت معاقبته ، وهذا العذاب العظيم جزاء كفره وجحوده، وهو عذاب جهنم الذى أعده الله لمن كفر به وجحده .

فالذى نطق بكلمة الكفر **مُكْرَهًا** عليها بالتهديد بالقتل كعمار بن ياسر رضى الله عنه ، كان الاكراه فى حقه عذرا مقبولا ، فان نطقه بها يطبق عليه قوله تعالى : « **إِلَّآ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً** » سورة آل عمران ، ذلك أن العلماء قالوا : ان من أكره على الكفر حتى خشى على نفسه القتل فانه لا أثم عليه ان كفر بلسانه ، وقلبه مطمئن بالايمان راض به ، ولا تبين منه زوجته ـ أى تطلق عليه ـ ولا يحكم عليه بالردة والكفر بعد الايمان ، ذلك أنه يدخل فى باب « **التقية** » المرخص فيها شرعا ، لتكون ملجأ للنجاة من ظلم الظالمين .

بعض ما كان المشركون يعذبون به المؤمنين :

ذكر ابن الاثير فى كتابه « أسد الغابة » نقلا عن محمد بن سيرين فقال : (**مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ وَهُوَ يَبْكِي يَدْلُكُ عَيْنَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَالَكَ ؟ أَخَذَكَ الْكُفَّارُ فَغَطُّوكَ فِي الْمَاءِ ـ وفي رواية في النار ـ فَقُلْتُ كَذَا وَكَذَا ، فَإِنْ عَادُوا لَكَ فَقُلْ كَمَا قُلْتَ** ؟) وهو يقصد من هذا أن الكفار ألزموه بسب الرسول وشتمه ، والنطق بكلمات الشرك ، اذ لا حرج على من أكره على ذلك .

وقال ابن الاثير أيضا عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس رضى الله عنهم : أكان المشركون يبلغون من المسلمين فى العذاب ما يُعْذَرُونَ به فى ترك دينهم ؟ ؟ فقال : نعم ، والله ان كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر على أن يستوى جالسا من شدة الضر الذى به ، حتى انه ليعطيهم ما سألوه من الفتنة ، وحتى يقولوا له : اللات والعزى الهك من دون الله ، فيقول : نعم ، وحتى ان « الْجُعَلَ » ـ نوع من الخنافس ـ ليمر بهم فيقولون له : هذا الهك من دون الله ؟ فيقول : نعم ، افتداء منهم لما يبلغون من جهد .

هذا هو الصحابى الجليل **عمار بن ياسر** وبعض ما أصابه من مشركى قريش ، وهو مخزومى من بنى مخزوم ، وقد هاجر الى الحبشة فيمن هاجر من الصحابة حين اشتد عليهم المشركون فى التعذيب ، وشهد بيعة

الرضوان وبدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وابلى ببدر البلاء الحسن ، كما شهد « اليمامة » فابلى فيها أيضا ، وفيها قطعت أذنه ، رضى الله عنه .

وأرض اليمامة معروفة ، وهى جزء من بلاد العرب ، معدودة من تراب « نجـد » ، وكان فى اليمامة اذ ذاك « مسيلمة » الكذاب الذى ادعى النبوة فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحرب اليمامة وقعت فى السنة الثانية عشرة من الهجرة ، فقد ارتد من ارتد من بعض القبائل العربية ، بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ومنعوا الزكاة فلم يدفعوها الى بيت المال كما كان العمل جاريا فى زمنه ، ومن تلك القبائل قبيلة بنى حنيفة باليمامة بزعامة كذابها مسيلمة النبى الكذاب ، فجهز لهم الخليفة الاول أبو بكر الصديق رضى الله عنه ثلاثة جيوش فكان ثالثها وآخرها ـ وهو جيش النصر ـ القاضى عليها بقيادة سيف الله المسلول على الكافرين «خالد بن الوليد» رضى الله عنه. على ما ورد في كتب التاريخ، كما مر، ودارت الحرب بين حنيفة وجيش الاسلام بشدة ، وقتل فيها زعيمها مسيلمة الكذاب ، كما قتل فيها من الصحابة رضوان الله عنهم عدد وافر وخاصة حفظة القرآن الكريم ، وهذا ما جعل عمر بن الخطاب يفكر فى جمع القرآن مخافة دروسه وذهابه بذهاب حفظته ، فأشار على أبى بكر بذلك ، فامتنع الخليفة الاول أولا ثم شرح

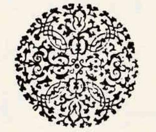
الله صدره له فيما بعد ، حيث توقف فى الجمع والنسخ، لانه عمل لم يعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعد قتل زعيم أهل الردة « مسليمة » وانتصار جيش الاسلام وانهزام حنيفة جرى الصلح بينهم وبين القائد البطل خالد رضى الله عنه وعن جميع الصحابة حماة الاسلام والعقيدة ، وانتهت حروب الردة .

وعمار بن ياسر من السابقين الى الاسلام كما تقدم ، وقد شارك فى بناء مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فى المدينة ، اقتداء بصاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم وذلك حين كان يعمل مع أصحابه فى بنائه ليرغبهم فى العمل ، وكان عمار يحمل اللبن ـ الطوب ـ وقد أثقله اخوانه به ، اذ كانوا يحملون لبنة لبنة ويحملونه هو لبنتين اثنتين ، فشكا لرسول الله ما يلاقيه من اخوانه الصحابة ، قال : يا رسول الله قتلونى ، ـ وهو يمزح ـ يحملون على ما لا يحملون هم ، وقد ذكرت أم سلمة رضى الله عنها أنها رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفض وفرته ـ الوفرة ما نزل من الشعر على الاذنين ـ بيده الشريفة ، وكان عمار رجلا جعد الشعر ، وهو صلى الله عليه وسلم يقول : **(وَيْحَ ابْنَ سُمَيَّةَ ، لَيْسُوا بِالَّذِينَ يَقْتُلُونَكَ ، إِنَّمَا تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ)** .

قال أصحاب السير : ان أول من بنى مسجدا هو عمار بن ياسر ، يعنون بهذا مسجد « قباء » ، ذلك أن

عمارا هو الذى أشار على النبى صلى الله عليه وسلم ببنائه ، وقال : ما لرسول الله صلى الله عليه وسلم بد من أن نجعل له مكانا اذا استظل من قائلة أن يستظل فيه ، ويصلى فيه ، فجمع حجارة وبنى مسجد « قباء » فهو أول مسجد بنى على ما قيل ، اذ هو الذى جمع الحجارة له ، فلما أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم استتم بنيانه عمار .

وعندما آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار كانت مؤاخاة عمار بن ياسر مع حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما .



— 6 —

سمية

أما أمه « سمية » رضى الله عنها ـ أول شهيد فى الاسلام ـ فهى أيضا لم تنج من تعذيب المشركين ، ولم يكف فيها التعذيب وحده ، بل وصل بهم الامر الى قتلها، فقد قتلها عدو الله : أبو جهل عمرو بن هشام ، حيث وجاها ـ ضربها ـ بحربة من حديد فى قبلها ـ وقيل فى قلبها ـ والاول اشهر فماتت ، فهى أول شهيد فى الاسلام فكان هذا الشهيد امرأة ، وهكذا ينال المسلمين ما ينالهم من أعدائهم بلا فرق وبلا تمييز بين الرجال والنساء ، فهم فيه سواء ، كما حدث أيام ثورة التحرير الجزائرية، من الجيش الفرنسى الاستعمارى .

وشهد عمار بن ياسر قتال المرتدين ـ فى حرب اليمامة ـ التى قتل فيها مسليمة النبى الكذاب ، كما تقدم فقد روى نافع عن ابن عمر قال : رأيت عمارا

يوم اليمامة على صخرة ، وقد أشرف يصيح : يا معشر المسلمين ، أمن الجنة تفرون ؟؟ أنا عمـار بن ياسر ، هلموا الى ، قال : وأنا أنظر الى أذنه قد قطعت ، فهى تذبذب ــ تتحرك ــ وهو يقاتل أشد القتال .

وصحب عمار عليا رضى الله عنهما ، وشهد معه الْجَمَلَ وَصِفِّينَ ، فأبلى فيهما ، قال أبو عبد الرحمن السلمى : شهدنا « صِفِّينَ » مع علي ، فرأيت عمار ابن.ياسر لا يأخذ فى ناحية ولا واد من أودية « صفين » الا رأيت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبعونه كأنه علم لهم ، قال وسمعته يومئذ يقول لهاشم ابن عتبة بن أبى وقاص : يا هاشم تفر من الجنة ؟ الجنة تحت البارقة ــ السيوف ــ اليوم ألقى الاحبة ، محمدا وحزبه ، والله لو قاتلونا حتى يبلغوا بنا شعاب هجر لعلمت اننا على حق ، وأنهم عـلى الباطل ، وقـال أبو الْبَخْتَرِى : قال عمار بن ياسر يوم « صفين » ايتونى بشربة ، فأتى بشربة لبن ، فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى : (آخِرُ شَرْبَةٍ تَشْرَبُهَا مِنَ الدُّنْيَا شَرْبَةُ لَبَنٍ) . فشربها ، ثم قاتل حتى قتل ، رحمه الله ورضى عنه ، وكان عمره أربعا وتسعين سنة ، وقيل ثلاثا وتسعين ، وقيل احدى وتسعين .

وفى المعذبين من ضعفاء الصحابة رضوان الله عنهم نزل قوله تعالى على ما قاله المفسرون : « **وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِى اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً ،**

وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ » (1) . وقوله : « **ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ، ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ** » (2).

وقال بعض المفسرين : انها نزلت فى عمار بن ياسر خاصة ، والمعذبون من الصحابة رضى الله عنهم هم : عمار بن ياسر ، وأمه سمية ، وأبوه ياسر ، وبـلال ، وصهيـب ، وخباب .

قال ابن اسحاق : وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار وأبيه ياسر ، وبأمه سمية ، وكانوا أهل بيت اسلام ، اذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة ، وهى شدة حرارة الشمس ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر بأسرة عمار بن ياسر وهي تعذب فيقول لهـم : (**صَبْراً آلَ يَاسِرٍ ، مَوْعِدُكُمُ الْجَنَّةُ**) .

وعن محمد بن كعب القرظى قال : أخبرنى من رآى عمار بن ياسر متجردا فى سراويل ــ سروال ــ قـال فنظرت الى ظهره فيه حبط كثـير ــ أثـر الضرب بالسياط ــ فقلت له : ما هذا ؟ قال : هذا ما كانت تعذبنى به قريش فى رمضاء ــ حر ــ مكة ، كما عذبوه بالاحراق بالنار .

---

(1) الآية 41 من سورة النحل .
(2) الآية 110 من سورة النحل .

بعض فضائل عمار بن ياسر ووفاته :

قال بعض كتاب السير : انه لم يسلم أبوا أحد من السابقين المهاجرين غير أبى بكر وعمار .

وجاء فى « أسد الغابة » لابن الاثير عن حذيفة ابن اليمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(اِقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِى أَبِى بَكْرٍ وَعُمَرَ ، وَاهْتَدُوا بِهَدْيِ عَمَّارٍ ، وَمَا حَدَّثَكُمُ ٱبْنُ مَسْعُودٍ فَاقْبَلُوهُ)**. وأخرجه أبو يعلى فى مسنده ، وأخرج الترمذى وغيره أنه عليه الصلاة والسلام قال : **(اِقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِى مِنْ أَصْحَابِى : أَبِى بَكْرٍ وَعُمَرَ ، وَاهْتَدُوا بِهَدْيِ عَمَّارٍ ، وَتَمَسَّكُوا بِعَهْدِ ٱبْنِ مَسْعُودٍ)** . كما اخرجه ابن عدى عن أنس ، وأخرج الترمذى والحاكم عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **(مَا خُيِّرَ عَمَّارٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلاَّ ٱخْتَارَ أَرْشَدَهُمَا)** ، وقال له : **(أَبْشِرْ عَمَّارُ تَقْتُلُكَ ٱلْفِئَةُ ٱلْبَاغِيَةُ)** .

وجاء عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : **« أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ ٱللَّيْلِ »** قال نزلت فى عمار ابن ياسر .

والذى أجمع عليه رواة الاخبار فى موته ، أنه قتل فى معركة « صفين » فى حرب على بن أبى طالب مع معاوية بن أبى سفيان ، فى صفر سنة سبع وثلاثين ، وهو ابن ثلاث وتسعين سنة وقيل غير هذا كما مر ،

ودفن هناك فى « صفين » رحمه الله ورضى عنه ، وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال فيه : **(تَقْتُلُهُ ٱلْفِئَةُ ٱلْبَاغِيَةُ)** . كما قال فيه أيضا : **(إِنَّ قَاتِلَهُ وَسَالِبَهُ فِى ٱلنَّارِ)** . وروى هذا الاثر الاخير عن عبد الله ابن عمرو بن العاص حين أَخْبَرَ بقتله معاوية يوم الوقعة المذكورة ، فكأن عمرو بن العاص حين أخبر معاوية بقتل عمار يشير الى أنه هو المقصود بهذا الاثر ، غير أن معاوية المشهور بحيله ودهائه رد على عمرو بقوله : (لسنا نحن الذين قتلناه حتى نكون من البغاة بل قتله من جاء به الى المعركة حتى يموت فيها) . وهذا من معاوية تأويل بعيد كما يقول الفقهاء ، وعلى كل حال فهذا من قدر الله ، وعنده يجتمع الخصوم ، وهو الحاكم بين الخصوم يوم القيامة ، وهناك لا يظلم أحد ، ولا تضيع الحقوق فى ذلك اليوم كما ضاعت فى الدنيا، وقد نهينا عن الخوض فيما حدث بين الصحابة ، نظرا لمنزلتهم عند الله وعند رسوله ، لما قدموه من تضحيات جسام لا يستطيعها سواهم ، وجاء فى فضله ومنزلته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء من ذلك ، كما فى سنن ابن ماجه عن على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه قول على : كنت جالسا عند النبى صلى الله عليه وسلم فاستأذن عمار بن ياسر فقال النبى صلى الله عليه وسلم : **(اِئْذَنُوا لَهُ ، مَرْحَباً بِالطَّيِّبِ ٱلْمُطَيَّبِ)**.
وفيها أيضا عن هانئى بن هانئى قال : دخل عمار على على فقال : مرحبا بالطيب المطيب ، سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقول (**مُلِىءَ عَمَّارٌ إِيمَانًا إِلَى مُشَاشِهِ**) ـ رؤوس العظام كالمرفقين والكتفين والركبتين ـ .

وفى سنن ابن ماجه أيضا عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**عَمَّارٌ مَا عُرِضَ عَلَيْهِ أَمْرَانِ إِلاَّ اخْتَارَ الْأَرْشَدَ مِنْهُمَا**) .

ومن أعمال أبى جهل بالمسلمين الذين يسلمون ويتبعون الرسول صلى الله عليه وسلم ، أنه كان اذا سمع برجل أسلم واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ينظر اليه على حسب قوته وهيبته ومكانه فى قومه ، فان كان له شرف وحسب ومنعة فى قومه لامه على اسلامه وأنبه وخزاه ، من غير أن ينال منه بمكروه ، ويكتفى بالقول له : تركت دين أبيك وهو خير منك ، **لَنُسَفِّهَنَّ حِلْمَكَ ، وَلَنُفَيِّلَنَّ**(1) **رَأْيَكَ وَلَنَضَعَنَّ شَرَفَكَ** ، وان كان تاجرا قال له : والله لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك ، أما ان كان ضعيفا لا منعة له ، ولا قبيلة تحميه وتدافع عنه ضربه وأغرى به ونال منه بما شاء ، من أنواع التعذيب والعذاب والاذى ، هذا شأنه مع المسلمين الاقوياء منهم والضعفاء ، من أجل نصرة معبوداته وأصنامه وآلهته المعبودة بالباطل ، ينتصر لها بما يستطيع ، وهذا دأب الضالين والظالمين فى كل زمان ومكان ، ولكن العاقبة والنهاية للمحقين والمتقين .

---

(1) فيل رأيه تفييلا ضعفه وقبحه وخطاه .

— 7 —

صهيب بن سنان الرومى :

هو من السابقين الى الاسلام ، ومن المستضعفين ، ومن أولئك السابقين الذين نالهم من مشركى قريش أذى كثير ، وفتنة عمياء ، وبلاء عظيم لا يتحمله الا أصحاب العقيدة الصحيحة المؤمنين بها ، من أجل عقيدتهم ، ومن الثابتين على الحق بالرغم من كل ذلك .

فهو « صهيب » بن سنان بن مالك بن عبد عمرو ، وهو من بنى « النمر بن قاسط » ، وأمه سلمى بنت قعيد بن مهيص ، وكنيته « أبو يحيى » ، كناه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو عربى الاصل ، اذ هو من « الجزيرة » ومن أرض الشام ، وقال من كتبوا عنه : وانما قيل له الرومى ، لان الروم سَبَوْهُ (اختطفوه) وهو صغير ، فقد سُبِىَ من قرية «نِينَوَى» من أعمال الموصل ، وكان أبوه أو عمه عاملا لكسرى على « الْأُبُلَّةَ » . قال ياقوت الحموى فى معجم البلدان : (الابلة بلد على شاطىء دجلة البصرة العظمى ، وفى زاوية الخليج الذى يدخل الى البصرة) . وبلدة الابلة أقدم من البصرة ـ اذ البصرة بناها عتبة بن غزوان الصحابى المعروف ـ فى خلافة عمر بن الخطاب رضى

الله عنهما ـ وكانت منازل آل صهيب على نهـر دجلـة من جهة الموصل ، وقيل كانت منازلهم بأرض الموصل فى قرية على شط الفرات مما يلى الجزيرة والموصل ، وقيل كانوا على الفرات من أرض الجزيرة ، فأغارت الروم عليها فأخذت صهيبا وهو طفل صغير ، فنشـأ بالروم، فصار أَلْكَنَ ، فباعته الروم الى رجل من قبيلة « كَلْبٍ » ثم قدم به من اشتراه الى مكة ، فاشتراه منـه « عبد الله بن جُدْعَانَ » القرشى التيمى وأعتقه ، وأقام معه الى أن هلك عبد الله بن جدعان ، وبعث النبى صلى الله عليه وسلم ، فأراد الله له الكرامة ، فمن عليه بنعمة الاسلام فأسلم .

وقال صهيب وولده : بل انه هرب من عند الروم لما كبر وعقل ، فقدم مكة وحالف عبد الله بن جدعان وأقام معه الى أن هلك ـ مات ـ ابن جُدْعَانَ .

ولما بُعث النبى صلى الله عليه وسلم بالرسالة أسلم ، وكان من كبار السابقين والبدريين ، وروى عنه أنـه قال : (**صَحِبْتُ ٱلنَّبِىَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ**) وكان صهيب يعذب حتى لا يدرى ما يقول .

اسـلامـه :

قال الواقدى : كان اسلام صهيب وعمار بن ياسر فى يوم واحد ـ كما مر ـ وكان اسلامهما بعد بضعة وثلاثين رجلا ، وكان من المستضعفين فى مكة ، الذين عذبوا من أجل عقيدتهم واتباعهم لرسول الله صلى الله

عليه وسلم ، وقيل كان اسمه قبل أن يُسْبَى (عميـرة) فسماه الروم « صهيبا » لانه كان شديـد الصهوبة ، تشوبها حمرة .

قال عمار بن ياسر ـ كما تقدم عنه ـ : لقيت صهيب ابن سنان على باب دار الارقم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ، فقلت له : ما تريد ؟ فقال لى: وما تريد أنت ؟ فقلت : أردت الدخول الى محمد صلى الله عليه وسلم فأسمع كلامه ، فقال : فأنا أريد ذلك ، فدخلنا عليه ، فعرض علينا الاسلام فأسلمنا ، ثم مكثنا يومنا حتى أمسينا ، ثم خرجنا مستخفين .

وقـال ابـن الاثـير فى كتابـه (أسـد الغابـة فى تمييز الصحابـة) عنـد تـرجمته لصهيـب رضـى اللـه عنـه مسنـدا مـا ذكـره الى أبـى زكـرياء يزيد بن اياس ما يلى : وكان اشتراه ـ يقصد صهيبا ـ عبد الله بن جدعان من رجل من كلب (قبيلة) بمكـة ، وكانت كلب اشترته من الروم ـ وقيل بل هو فر من الروم ـ وأعتقه ، وأسلم صهيب ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار « الارقم » ، بعد بضعة وثلاثين رجلا، وكان من المستضعفين بمكة المعذبين فى الله عز وجل ، وأسلم هو وعمار فى يوم واحد . كما مر فى كلمة عمار.

صهيب يشترى هجرته ونفسه بكل ما يكسبه :

حين عزم صهيب على الهجرة من مكـة المكرمـة الى المدينة المنورة اسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم

وبمن هاجر من اخوانه صحابة رسول الله ، وكان هذا في منتصف شهر ربيع الاول ، وكان هو وعلى بن أبى طالب من آخر من هاجر ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما زال مقيما بقباء لم يرم – يفارق ويبرح – بعد .

وذكرت كتب السيرة : أن صهيبا لما خرج من مكة مهاجرا لحقه مشركو قريش وقالوا له : يا صهيب أتيتنا صعلوكا (1) حقيرا فكثر مالك عندنا ، وبلغت ما بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك ، والله لا يكون ذلك ، فقال لهم صهيب : أرأيتم ان جعلت لكم مالى أتخلون سبيلى ؟ قالوا : نعم ، قال : فانى جعلت لكم مالى ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : **(رَبِحَ صُهَيْبٌ رَبِحَ صُهَيْبٌ)** وفى مال صهيب الكثير قال مصعب الزبيرى : هرب صهيب من الروم ومعه مال كثير ، فنزل مكة فعاقد عبد الله بن جدعان وحالفه وانتمى اليه .

وجاء فى رواية أخرى فيها شىء من زيادة البيان والتوضيح عن موقف المشركين مع صهيب فى قصة خروجه من مكة بنية الهجرة واللحاق بمن سبقه ، جاء فيها : أن صهيبا حين خرج مهاجرا الى المدينة تبعه نفر من المشركين ، ولما رآهم مقبلين نحوه يريدونه وقف لهم ونثل كنانته (2) – استخرج نبالها ونثرها أمامه –

(1) الصعلوك الفقير .

(2) الكنانة جعبة تجعل فيها النبال سواء كانت من جلد أو من غيره .

وقال لهم : يا معشر قريش تعلمون أنى من أرماكم ، والله لا تصلون الى حتى أرميكم بكل سهم معى ، ثم أضربكم بسيفى ما بقى بيدى منه شىء ، فاذا كنتم تريدون مالى دللتكم عليه ، قالوا : فدلنا على مالك ، ونخلى عنك ، فتعاهدوا على ذلك ، فدلهم عليه وتركوه ، فلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : **(رَبِحَ الْبَيْعُ أَبَا يَحْيَى)** فانزل الله عز وجل فى هذا قوله : **« وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ »** (1) .

وروى أصحاب السنن عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(السُّبَّاقُ أَرْبَعَةٌ أَنَا سَابِقُ الْعَرَبِ ، وَصُهَيْبٌ سَابِقُ الرُّومِ ، وَسَلْمَانُ سَابِقُ الْفُرْسِ ، وَبِلَالٌ سَابِقُ الْحَبَشَةِ)** .

وقد تقدم عن مجاهد أنه قال : أول من أظهر اسلامه سبعة : النبى صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، وبلال ، وصهيب ، وخباب ، وعمار بن ياسر ، وأمه سمية ، رضى الله عنهم أجمعين ، فأما النبى صلى الله عليه وسلم فمنعه الله من عذابهم بعمه أبى طالب ، وأما أبو بكر الصديق فمنعه الله بقومه ، لمكانتهم عند العرب ، وأما الآخرون فأخذوا وألبسوا أدراع الحديد ثم صهروا فى الشمس .

(1) سورة البقرة الآية 207 .

فالى هؤلاء المسلمين الضعفاء يرجع فضل نشر الاسلام وانتشاره ، فقد تحملوا من أنواع العذاب الشيء الكثير ، والسؤال الموجه منهم الينا : هل استفدتم أيها المسلمون ــ بعدنا ــ من مواقفنا الصلبة التى لم تلن فى جانب الله وعقيدة التوحيد لاى أحد مهما كانت قوته ؟ ؟ وهل أخذتم عنا ما يكون لكم مادة قوية وذخيرة حية صالحة للتربية على أن تنهجوا فى حياتكم نهج الحق والصلابة فيه ؟ وعدم التساهل مع من يسعى لتوهين هذه العقيدة فى قلوب المسلمين ، هذه العقيدة التى هي عقيدة الحق ، ولا عقيدة غيرها ، (**فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ**) ؟ ؟ .

بعض الأحاديث التى رويت عنه :

أخرج الامام مسلم والترمذى عن صهيب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلْجَنَّةَ يَقُولُ ٱللَّهُ تَعَالَى : تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ : أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا ؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا ٱلْجَنَّةَ ؟ وَتُنَجِّنَا مِنَ ٱلنَّارِ ؟ فَيَكْشِفُ ٱلْحِجَابَ ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ ٱلنَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ**) .

وجاء فى رواية أخرى أوردها كل من الامام أحمد وابن ماجه وابن خزيمة ، وابن حبان فى صحيحه عن صهيب رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلْجَنَّةَ وَأَهْلُ ٱلنَّارِ ٱلنَّارَ نَادَى مُنَادٍ : يَا أَهْلَ ٱلْجَنَّةِ : إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ ٱللَّهِ مَوْعِدًا**

يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ ، فَيَقُولُونَ : وَمَا هُوَ ؟ أَلَمْ يُثَقِّلْ مَوَازِينَنَا ؟ وَيُبَيِّضْ وُجُوهَنَا ؟ وَيُدْخِلْنَا ٱلْجَنَّةَ ؟ وَيُنَجِّنَا مِنَ ٱلنَّارِ ؟ فَيَكْشِفُ ٱلْحِجَابَ ، فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ ، فَوَٱللَّهِ مَا أَعْطَاهُمُ ٱللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ ٱلنَّظَرِ إِلَيْهِ ، وَلَا أَقَرَّ لِأَعْيُنِهِمْ) . وجاء في بعض روايات الحديث المذكور أن ذلك هو (**ٱلزِّيَادَةُ**) التى قال الله فيها : « **لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا ٱلْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ** » . سورة يونس .

وروى الترمذى بسنده الى صهيب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**مَا آمَنَ بِٱلْقُرْآنِ مَنِ ٱسْتَحَلَّ مَحَارِمَهُ**) وقال الذهبى فى كتابه «سير أعلام النبلاء» : قال أبو زرعة : حدثنا يوسف بن عدي ، حدثنا يوسف ابن محمد بن يزيد بن صيفى عن أبيه عن جده عن صهيب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَلْيُحِبَّ صُهَيْبًا حُبَّ ٱلْوَالِدَةِ لِوَلَدِهَا**) . كما ذكره ابن عبد البر فى (الاستيعاب) فى ترجمة صهيب .

وروى ابن عمر عن صهيب أنه قال : (**مَرَرْتُ بِرَسُولِ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّي فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيَّ إِشَارَةً بِإِصْبَعِهِ**) . ومن الاحاديث التى رواها صهيب قوله عليه الصلاة والسلام : (**عَجَبًا لِأَمْرِ ٱلْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**) . أخرجه الامامان : مسلم وأحمد .

وله نحو الثلاثين حديثا ، روى له مسلم منها ثلاثة ، وروى عنه من الصحابة : عبد الله بن عمر ، وجابر وغيرهم ، ومن التابعين كعب الاحبار ، وعبد الرحمن ابن أبى ليلى ، وأسلم مولى عمر ، وسعيد بن المسيب ، وآخرون ويعد فى المدنيين ، وكان يقول ـ فيما نقل عنه ـ : هلموا نحدثكم عن مغازينا ، فأما أن أقول : قال رسول الله فلا ، فهو بهذا يتجنب رواية الحديث .

وكان فيه مع فضله وايمانه وعلو درجته ـ مداعبة وحسن خلق ، وروى عنه من هذا أنه حين قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هجرته وهو بقباء قبل أن يتحول منها ، ومعه أبوبكر ، وعمر ، وكان بين أيديهم رطب وتمر ، وصهيب قد رمد ، اذ أصابه الرمد وهو فى طريقه الى المدينة ، كما أصابته مجاعة شديدة من قلة الزاد معه ، ولما وجد الرطب والتمر أمامه وقع فى الرطب يأكل أكل الجوعان ، فقال عمر : يا رسول الله ألا ترى الى صهيب يأكل الرطب وهو رَمِدٌ ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له : (**تَأْكُلُ الرُّطَبَ وَأَنْتَ رَمِدٌ ؟**) فقال له صهيب : انما آكل على شق عينى الصحيحة ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ، وقال صهيب : يا رسول الله ما تزودت الا مُدًّا من دقيق عجنته بالابواء حتى قدمت عليك .

وكان فى لسانه عجمة شديدة، وهى ناتجة عن تربيته وطول اقامته فى أرض الروم ، لانهم أخذوه من وسط قومه وهو طفل صغير كما مر ذكره آنفا ، وروى ز ابن أسلم ـ الذى كان ملازما لعمر ـ عن أبيه قال: خرجت مع عمر حتى دخل على صهيب حائطا له بالعالية ، فلما رآه صهيب قال : يَانَاسْ يَانَاسْ، فقال عمر : ما له ـ لا أبا له ـ يدعو بالناس ، فقلت له : انما يدعو غلاما له اسمه « يَحْنَسُ » ، وانما قال ذلك لعقدة فى لسانه ، فقال له عمر : ما فيك شيء أعيبه يا صهيب الا ثلاث خصال ، لولاهن ما قدمت عليك أحدا : أراك تنتسب عربيا ، ولسانك أعجمى ، وتكتنى بأبى يحيى اسم نبى وليس لك ولد ، وتبذر مالك ، فقال له صهيب : أما تبذير مالى فما أنفقه الا فى حقه ، وأما اكتنائى بأبى يحيى فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كنانى بأبى يحيى ، فلن أتركها ، وأما انتمائى للعرب ولسانى أعجمى فان الروم سبتنى صغيرا فأخذت لسانهم ، وأنا رجل من النَّمِرِ بن قاسط من الموصل ولو أنْفَلَقَتْ عَنْ رَوْثَةٍ ـ بعرة ـ لانتسبت اليها .

وكان من حب عمر لصهيب رضى الله عنهما ، أن عمر كان حسن الظن فى صهيب ، وظهر هذا معه فى عدة مناسبات ، منها أنه حين طُعِنَ رضى الله عنه أوصى أن يصلى عليه اذا مات صهيب ، كما أوصى أن يصلى بجماعة المسلمين ثلاثا حتي يتفق أهل الشورى على من سيخلف.

وذكر ابن سعد فى طبقاته أن صهيبا قال لابى بكر : وعدتنى أن نصطحب ـ يعنى فى الهجرة ـ فخرجت وتركتنى ، وقال هذا أيضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : وعدتنى يا رسول الله أن تصاحبنى ، فانطلقت وتركتنى فأخذتنى قريش فحبسونى، فاشتريت نفسى وأهلى بمالى، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (رَبِحَ الْبَيْعُ) فأنزل الله « وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ » . سورة البقرة ـ الآية 207 .

نشاطه وخدمته للاسلام وسط المجموعة الاسلامية :

روى الحميدى والطبرانى عن صهيب ، ومن طريق الستة أنه قال : لم يشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا قط الا كنت حاضره ، ولم يبايع بيعة قط الا كنت حاضرها ، ولم يُسَيِّرْ سَرِيَّةً الا كنت حاضرها ، ولا غزا غزاة الا كنت فيها عن يمينه أو شماله ، وما خافوا أمامهم قط الا كنت أمامهم ، ولا ما وراءهم الا كنت وراءهم وما جعلت رسول الله صلى الله عليه وسلم بينى وبين العدو قط حتى توفى، وكان صهيب حاضرا بدرا ، والمشاهد بعدها ، ولم يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أى مشهد من المشاهد التى شهدها الرسول صلى الله عليه وسلم .

قال ابن شهاب : وممن شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من النَّمِرِ بن قاسط صهيب بن سنان وفى كتاب البخارى عن محمد بن سيرين قال : كان صهيب من العرب من النمر بن قاسط .

كلمة حول عبد الله بن جُدْعَانَ :

من يكون عبد الله بن جدعان هذا ؟ معتق صهيب ، والذى اشتراه من بعض قبيلة كلب ، أو حليفه كما جاء فى الرواية الاخرى .

هو عبد الله بن جُدْعَانَ ـ بضم الجيم وسكون الدال ـ القرشى التيمى من مشاهير أجواد العرب وكرمائهم ، كان يعيش فى مكة المكرمة قبل الاسلام ، وهو من أثرياء قريش وأغنيائهم ، وكان رجلا كريما مضيافا يطعم الطعام ، وكان يلقب بـ : (حاسى الذهب) لانه كان يشرب فى اناء من ذهب ، وفى سبب غناه أقوال ربما لا يحتملها العقل ، وكان يطعم الناس الطعام ، ويفعل المعروف مع من يعرف ومن لا يعرف ، على عادة الاجواد والكرماء العرب ، وكان ربما حضر النبى صلى الله عليه وسلم طعامه قبل البعثة ، وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : **(شَاهَدْتُ مَأْدُبَةً فِي دَارِ بْنِ جُدْعَانَ)**. وكانت له جفنة كبيرة ، بلغت من كبرها وسعتها ما لا يتصوره العقل على ما رواه الرواة فيها وفى وصفها ، فقد قالوا فى وصفها ونعتها : ان القائم يأكل منها واقفا ، وكذلك

الراكب على البعير من عرض حافتها ، وكثرة طعامها ، لعظمها وسعتها ، وقالوا أيضا : انه سقط فيها صبى فغرق ومات فيها ، وكان يملأها بِلُبَابِ الْبُرِّ يُلْبَكُ — يخلط — بالشهد والسمن ، على عادة العرب فى كرمهم .

وجاء فى غريب الحديث لابن قتيبة ج 1 ص 400 ، وفى الفائق للزمخشرى ج 2 ص 32 ، كما جاء فى النهاية فى غريب الحديث لابن الاثير ج 3 ص 43 : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (**كَانَ يَسْتَظِلُّ بِظِلِّ جَفْنَةِ عَبْدِ ٱللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ فِى ٱلْإِسْلَامِ صَكَّةَ عُمَىٍّ**) وهى شدة الحر فى الهاجرة ، وعبد الله بن جدعان هذا ابن عم والد أبى بكر الصديق رضى الله عنه — على ما ذكره الرواة ، اذ هو تيمى ، ولذا قالت عائشة رضى الله عنها — من أجل تلك القرابة التى كانت بينه وبين أبيها — كما جاء فى صحيح الامام مسلم قالت : (**يَا رَسُولَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱبْنَ جُدْعَانَ كَانَ يُطْعِمُ ٱلطَّعَامَ ، وَيَقْرِى ٱلضَّيْفَ ، وَيَفْعَلُ ٱلْمَعْرُوفَ ، فَهَلْ يَنْفَعُهُ ذَلِكَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ؟ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا : رَبِّ ٱغْفِرْ لِى خَطِيئَتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ**) .

وكان لابن جدعان مناد ينادى لقصعته : (**هَلُمَّ إِلَى ٱلْفَالُوذِ**) وكان هذا فى الجاهلية وربما حضر طعامه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه) .

هذه الجملة سيقت مساق المدح والثناء على من قيلت فيه ، فقد تناقلها الناس ، وبحثوا هذا الاثر من الزمن القديم ، واختلفوا فى قائله ، فمن قائل انه حديث نبوى شريف ، ومن قائل انه غير حديث لكثرة البحث عنه ممن لهم عناية واهتمام بالحديث ، فالكثير من العلماء يرون انه من كلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وقد علمنا مما تقدم أن عمر كان يحب صهيبا ، وهذا ما جعله يقدمه على غيره فى عدة مواضيع ، قال العجلونى فى كتابه (كشف الخفاء) : اشتهر فى كلام الاصوليين وأصحاب المعانى وأهل العربية من حديث عمر ، وبعضهم يرفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم ، وذكر البهاء السبكى : أنه لم يظفر به بعد البحث .

وهذا الاثر يورده علماء العربية كثيرا كشاهد على عمل حرف « لو » الشرطية ، كما يذكره علماء الاصول والمعانى ، من غير تعرض لبقية استعمالاتها ، اذ لاستعمال حرف « لو » خمسة أقسام .

1) أن تكون للعرض ، نحو لو تنزل عندنا فتصيب خيرا .

2) أن تستعمل للتقليل ، كقوله عليه الصلاة والسلام (**تَصَدَّقُوا وَلَوْ بِتَمْرَةٍ ، فَإِنَّهَا تَسُدُّ مِنَ ٱلْجَائِعِ وَتُطْفِئُ ٱلْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ ٱلْمَاءُ ٱلنَّارَ**) رواه ابن المبارك عن

عكرمة مرسلا والاثر الآخر : (**تَصَدَّقُوا وَلَوْ بِظِلْفٍ مُحْرَقٍ**) .

3) أن تكون للتمنى ، نحو لو تأتينا فتحدثنا بما يفيدنا .

4) أن تكون مصدرية مثل أن ، الا أنها لا تنصب الفعل المضارع ، نحو قوله تعالى : (**وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ**) الادهان : اللين والمجاملة للأعداء ، أى تمنى المشركون منك يا محمد ان تلين لهم فتتنازل عن دينك ، فيقابلونك بالمثل .

5) أن تكون شرطية مثل الواردة فى الاثر السابق والمذكور أولا ، وهى التى تحتاج الى شرط وجوابه ، ليتم بهما المراد من الجملة ، ونحن نعلم أن « لو » الشرطية تحتاج الى فعل الشرط وجوابه مثل باقى أدوات الشرط المعروفة ، غير أنها لا تجزم الفعل المضارع كما تجزمه أدوات الشرط الجوازم ، فاستعمالها شرطية على قسمين .

1) امتناعية ، وهى للتعليق فى الماضى ، وهذا هو الكثير فى استعمالها .

2) امتناعية بمعنى « ان » وهى للتعليق فى المستقبل وهذا قليل فى استعمالها ، والى هذا يشير ابن مالك فى ألفيته حيث قال :

لَوْ حَرْفُ شَرْطٍ فِى مُضِىٍّ وَيَقِلّْ
إِيلاَؤُهَا مُسْتَقْبَلاً لَكِنْ قُبِلْ

فاستعمالها فى الجملة يدل على تعليق فعل على فعل فيما مضى ، وهذا هو الاكثر فى استعمالها ، فيلزم من تقدير حصول شرطها حصول جوابها ، ويلزم كون شرطها محكوما بامتناعه فى بعض استعمالاتها .

وقد تبارى علماء اللغة العربية فى اطلاق تعريف شامل لـ « لو » الشرطية هذه ، وهذه التعاريف لم تسلم من الاعتراض عليها ، لما يطرأ عليها من النقص وعدم الشمول ، وأسلمها ــ نوعا ما ــ تعريف أمام اللغة العربية « سيبويه » حيث قال فى تعريفها : (**هِىَ حَرْفٌ لِمَا كَانَ سَيَقَعُ لِوُقُوعِ غَيْرِهِ**) ولم يسلم تعريفه هذا لها من اشكال أيضا ، كل هذا مبسوط فى محله من كتب النحو مثل « المغنى » لابن هشام وغيره ، وبعض النحويين يعرفها بقوله : (**هِىَ حَرْفُ امْتِنَاعٍ لِامْتِنَاعٍ**) وفساد هذا التعريف ظاهر .

ومما هو معلوم فى مدلول الجملة التى دخلت عليها « لو » الشرطية أن لو الشرطية تجعل الجملة على خلاف ظاهرها ، فان كانت فى سياق الاثبات دلت على أنها منفية وان كانت فى سياق النفى دلت على أنها مثبتة ، أى على اثبات مدلول الجملة ، ويوضح هذا قولك لولدك ــ مثلا ــ الذى لم ينجح فى امتحانه : (**لَوِ اجْتَهَدْتَ فِى قِرَاءَتِكَ لَنَجَحْتَ فِى امْتِحَانِكَ**) ، فهذه الجملة كانت فى سياق الاثبات : فانقلبت بعمل « لو » الى النفى ، فيصير معناها : لم تنجح في امتحانك لانك لم تجتهد في قراءتك ، فانتفى

جواب لو وهو النجاح فى الامتحان لانتفاء شرطها وهو الاجتهاد فى القراءة ، وهكذا العمل فى الجملة المنفية ، فانها تفيد الاثبات ، كأن تقول لولدك : « **لَوْ لَمْ تَجْتَهِدْ فِى قِرَاءَتِكَ لَمْ تَنْجَحْ فِى امْتِحَانِكَ** » . ومعنى هذا أنك نجحت فى امتحانك لانك اجتهدت فى قراءتك .

ومن هذا القبيل الاثر السابق المنقول عن عمر رضى الله عنه وهو قوله : (**نِعْمَ الْعَبْدُ صُهَيْبٌ ، لَوْ لَمْ يَخَفِ اللّٰهَ لَمْ يَعْصِهِ**) . فان الجملة كانت فى سياق النفى فتفيد الاثبات ، فـ « لو » فى هذا الاثر لتقرير الجواب ، وبناء على قاعدة « لو » الشرطية يكون معنى الجملة ان صهيبا (خاف الله وعصاه) وهذا غير مراد للقائل ، فيلزم على هذه القاعدة فى الاثر المذكور ثبوت المعصية مع ثبوت الخوف من اللـه ، وهذا عكس المراد منه ، بل المراد لعمر أن صهيبا لا يعصى اللـه أبدا ، سواء خافه أو لم يخفه ، وأولى اذا خافه ، فهو لا يعصيه ولو لم يخفه ، والذى صيره لا يعصى ربه هو اجلاله وتعظيمه والحياء منه ، والحب له والمهابة من عظمته ، فترك صهيب معصية الله انما كان لامر خارج ، وذلك لما طبع عليه من الطاعة والحب والمهابة لجلاله والحياء منه اذا وقف بين يديه يوم القيامة للحساب ، فعدم معصيته له معلل بأمر خارج عن الخوف وعدمه ، وذلك كالاجلال والتعظيم لله جل جلاله هذا ملخص عمل «لو» الشرطية ، فى هذا الاثر المحفوظ .

ومثل هذا الاثر الذى قاله عمر فى صهيب ، ما قاله العلماء فيما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم حين

عرض عليه الزواج بربيبته « درة » بنت أبى سلمة ــ أخيه من الرضاع ــ فقد جاء فى كتب الحديث ما يلى : عرضت أم حبيبة بنت أبى سفيان ــ زوج النبى صلى الله عليه وسلم ــ عليه أن يتزوج أختها ، فقال لها : (**فَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِي**) وهذا منه اشارة لقوله تعالى : « **وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ** » . قالت أم حبيبة : فقلت له فوالله لقد أخبرت أنك تخطـب بنت أبى سلمة ، فقـال : (**بِنْتُ أَبِي سَلَمَةَ ؟**) قالت نعم ، قال : (**فَوَاللّٰهِ لَوْ لَمْ تَكُنْ رَبِيبَتِي فِي حِجْرِي مَا حَلَّتْ لِي ، إِنَّهَا لَابْنَةُ أَخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ ، أَرْضَعَتْنِي وَأَبَاهَا ثُوَيْبَةُ ، فَلَا تَعْرِضْنَ عَلَيَّ بَنَاتِكُنَّ وَلَا أَخَوَاتِكُنَّ**) . قال رواه الحديث : متفق على صحته ، وقال العلماء : ان حل بنت أبى سلمة منفى عنه صلى الله عليه وسلم من جهتين اثنتين ، أولا انها ربيبته فى حجره وهذا حرام بنص الآية ، وثانيا انها ابنة أخيه من الرضاعة ، وهى عليه حرام بلفظ الحديث صراحة والقرآن ضمنا ، اذ لو كان فيها مانع واحد لكفى فى التحريم ، فكيف اذا اجتمع فيها مانعان اثنان كما هنا : مانع كونها ربيبته فى حجره لقوله تعالى : « **وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ** » والمانع الثانى كونها ابنة أخيه من الرضاعة ، لقوله عليه الصلاة والسلام فى الحديث الصحيح : (**يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ**) . فقد أرضعت « ثويبة » مولاة أبى لهب وأمته الرسول صلى الله عليه وسلم مع أبى سلمة ، فكان أبو سلمة أخا للنبى صلى الله عليه وسلم ، فلا يحل للمسلم الزواج

بابنة الاخ سواء من النسب أو من الرضاع ، وكون أمها زوجته ، فهى ربيبته تربت عنده وفى حجره ، والرجل اذا تزوج امرأة حرمت عليه ابنتها من غيره ، فهـذا معنى اجتماع مانعين فيها وكما تقدم فى الاثر السابق الوارد فى صهيب ، فمعصية صهيب لله تعالى منتفية من جهتى الخوف والاجلال والتعظيم لله تعالى والحياء منه .

وقد سقت هذا الاثر لبيان فضـل هذا الصحابى الورع ، وقد كنا درسناه فى أيام الدراسة ، أما الآن فقد تركت الآثار والقواعد العلمية التى تفتح الفكر للنقاش والحوار لفهم اللغة العربية، كما فى ذلك رياضة للفكر وتدريب له على الكلام البليغ والفصيح لفطاحل علماء اللغة العربية ، لغة كلام الله وكلام رسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

هذا وتوفى صهيب رضى الله عنه بالمدينة سنة ثمان وثلاثين فى شوال ، وقيل سنة تسع وثلاثين ، وهـو ابن ثلاث وسبعين سنة ، وقيل ابن سبعين ، ودفـن بالمدينة ، وكان أصهب شديد الصهوبة تشوبها حمرة ، لذلك سمى صهيبا ، وكان ليس بالطويل ولا بالقصير ، وهو الى القصر أقرب ، كثير شعر الرأس . رحمه اللـه ورضى عنه .

— 8 —

خبـاب بـن الأرَتّ

كان من المؤمنين الصادقين ، والمسلمين الصابريـن على البلاء والامتحان والعذاب الذى نزل عليه من أعداء الله ، وخصوم الشرائع السماوية ، وأنصار الشرك بالله وعباد الاوثان ، فهو من المستضعفين المعذبين فى الله ، لما خلعوا من رقابهم قيد العبودية لغير الله ، وكان من نجباء الصحابة السابقين ، فهـو خبـاب بن الارت — بتشديد التاء — بن جندبة ، واختلف فى نسبه ، فقيل انه تميمى وقيل هو خزاعى ، والذى صححه النسابون انه تميمى النسب ، لحقه سباء — أسر — فى الجاهليـة ، حيث كان العرب يسبى بعضهم بعضا ، فاشترته امرأة تسمى « أم أنمار » بنت سباع (الخزاعية) من خزاعة وأعتقته ، فهو من السابقين الى الاسلام ، وروى أنـه كان سادس ستة ، وكان قَيْناً « حدادا » يعمل السيوف فى الجاهلية ، ويكنى أبا عبد الله ، وقيل أبا يحيى ، وقيل أبا محمد ، وكان قديم الاسلام كما مر ، وكان من المستضعفين ، لانه أسلم فى الاوائل وهؤلاء كانوا ضعفاء ، لا قوة لهم تحميهم وتقف أمام جبروت مشركى قريش ، فلا غرابة اذا أصابه ما أصاب اخوانه، السابقين

الى اعتناق عقيدة التوحيد ، ونبذ عقيدة الشرك بالله ، والابتعاد عن أعمال المشركين عباد الاحجار والاوثان ، فهو اذن من المستضعفين الذين استضعفهم كفار قريش ، فألحقوا بهم العذاب الشديد ، وكانوا يطاردونهم من مكان لآخر ، وكان المسلمون يختفون عن أنظارهم حتى لا يصيبهم منهم ما يكرهون ، الى أن اشتد ساعد المسلمين باسلام عمر بن الخطاب ، وحمزة ابن عبد المطلب وغيرهم ، فعندها رجحت كفة ميزان الاسلام وصار المسلمون يفعلون شعائر دينهم جهارا نهارا وأمام الملإ من مشركى قريش ، وقد عذب خباب العذاب الشديد من أجل عقيدته الاسلامية – عقيدة التوحيد – فصبر على ما أصابه فى سبيل دينه .

وكان خباب بن الارت تميميا بالنسب ، كما كان خزاعيا بالولاء ، لام أنمار بنت سباع الخزاعية كما سبق ، قد وقع عليه سبى – أسر – فاشترته وأعتقته ، فولاؤه لها .

وذكر أن عمر بن الخطاب – سأله عما لقى فى ذات الله من العذاب ، فكشف له عن ظهره ليرى بعينيه أثر العذاب والاحراق بالنار ، فلما رآى عمر ذلك قال : ما رأيت كاليوم ! ! ! فقال خباب : يا أمير المؤمنين لقد أوقدوا لى نارا فما أطفأها الا شحمى .

وكان خباب بن الارت يتردد على بيت سعيد بن زيد ابن عمرو بن نُفَيْلٍ ، زوج فاطمة بنت الخطاب – أخت

عمر – وكانت فاطمة بنت الخطاب وزوجها سعيد ابن زيد قد أسلما وآمنا بالله ربا واحدا لا شريك له فى ألوهيته ، وبمحمد رسول من الله ، وصدقا بكل ما جاء به من عند الله .

فلما سمع عمر باسلام أخته فاطمة وايمانها بمحمد وبما جاء به من عند الله ، كما آمن وأسلم خباب ابن الارت وأنه يتردد عليهما فى منزلهما ليقرئهما القرآن ، هاله ما سمع ، وبينما عمر يتجول فى سكك مكة يتتبع أخبار الدعوة الاسلامية أين بلغت ، ويبحث عن مدى انتشارها فى الاوساط القرشية ، كما يتتبع أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب الدعوة والرسالة ، اذ فاجأه الخبر باسلام أخته فاطمة وزوجها حيث التقى فى الطريق بنُعَيْمِ بن عبد الله النَّحَّام – رجل من قوم عمر بنى عدى – وكان هو الآخر قد أسلم وأخفى اسلامه فرقا وخوفا من عمر ، وكان عمر – حين لقيه نعيم بن عبد الله – متوشحا سيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورهطا من أصحابه قد ذكروا له باسلامهم واتباعهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما ذكروا له بأنهم مجتمعون فى دار عند الصفا – هى دار الارقم – وكانت دار الارقم فى ذلك الوقت مركزا لنشر الدعوة الاسلامية وتعليم المؤمنين فروض عقيدتهم ومبادىء الاسلام ، وكان القوم المجتمعون فيها قريبا من أربعين ، ما بين رجال ونساء ، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الدار

« عمه حمزة » ، وأبو بكر الصديق ، وعلى بن أبى طالب ، وغيرهم من عصبة الايمان ، فخرج عمر يبحث عنهم ليفتك بهم ، حسبما خولته له نفس الجاهل المشرك دفاعا عن أوثانه الحجرية ، وقد جعل الله لكل شىء سببا ، فكان خروجه هذا آخر العهد بوثنيته ، بل بالاوثان كلها ، فلما رآه نعيم بن عبد الله قال له : أين تريد يا عمر ؟ أجابه عمر بقوله : أريد محمدا هذا الصابىء ـ الكافر ـ الذى فرق أمر قريش وسفه أحلامها ، وعاب دينها ، وسب آلهتها فأقتله ، فقال له نعيم : والله لقد غرتك نفسك يا عمر ، أفلا ترجع الى أهل بيتك فتقيم أمرهم ؟ فقال له عمر : وأى أهل بيتى تريد ؟ قال : ختنك ـ صهرك ـ وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو ابن نفيل ، وأختك فاطمة بنت الخطاب ، فقد ـ والله ـ أسلما وتابعا محمدا على دينه ، فعليك بهما .

لنتصور وقع هذا الخبر على نفس عمر ، فى هذه اللحظة بالخصوص ، وهى لحظة دقيقة وحرجة عليه للغاية ، وما هو موقفه من نفسه التى أخذت فى الغليان مثلما تغلى المرجل أو القدر الكبيرة ، فبينما كان يبحث فى سكك مكة وطرقها عمن آمنوا وأسلموا واتبعوا دين الله ورسوله ، اذا به يفاجأ بنبأ أظلم عنه شمس النهار وجعله فى حيرة من أمره لهذا الخبر ، الطارىء عليه ، اذ ما كان يتوقعه ، فذهب مسرعا ، وترك ما خرج من أجله ـ عامدا بيت أخته فاطمة بنت الخطاب وزوجها سعيد بن زيد ، تاركا البحث عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم وصحبه الكرام ، فأتى منزلهما ، وكان عندهما ـ فى ذلك الوقت ـ الصحابى الجليل « خباب بن الارت » ومعه صحيفة مكتوب فيها شىء من القرآن ، من سورة « طه » يقرئهما اياها ، فلما اقترب من البيت الذى فيه أخته وزوجها وخباب سمع صوت قراءة خباب عليهما القرآن ، فقرع باب الدار ودخل ، فأسرع خباب الى الاختفاء منه ، ووقع ما وقع من عمر لاخته وزوجها ، حين قامت لتكفه عن زوجها وصهره ، وكان قد سمع شيئا من القرآن عند ما قرب من الدار .

ان شجاعة فاطمة بنت الخطاب أخت عمر دلت على تمكن الايمان من قلبها ، فانها عند ما قامت الى أخيها لتحجزه وتكفه عن زوجها دفعها بقوة الجاهل حتى سقطت على الارض وضربها فشج وجهها وأسال دمها ، فصاحت فى وجهه قائلة : لقد أسلمنا وآمنا بالله وبرسوله فاصنع ما بدا لك ، فلما رآى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع بها ، وارعوى عن غيه وجهله ، فسلك سبيل الحق .

وفى هذه اللحظة بلغت رحمة الله الى قلب عمر وادركته السكينة التى تنزل على المسلم ، فاطمأن قلبه ، عند ما سمع كلام الحق جل جلاله ، وذهب عنه ما كان يجده من بغضه للاسلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم فسكنت نفسه الثائرة ، وهدأت تلك الفورة الغضبية عنه ، فهشّ قلبه للايمان بالحق ، والدخول فى دين الله ، وخلع عبادة الاوثان والآلهة الباطلة ، وكأنه قال

لنفسه الغاضبة عن الحق : كفاك أيتها النفس الامارة بالسوء التواقة الى الباطل ، تسعين اليه سعيا حثيثا لكى ترضيه ويرضى عنك . دعى المكابرة فى الحق وعودى الى الصواب والواجب ، فالرجوع الى الحق من الفضائل النفسية ، فرق قلبه الجافى جفاء الجاهليين الى الايمان بالله وبرسوله وبدينه ، ولما هدأت نفسه الغاضبة ، وثاب اليه رشده ووعيه الذى كان فقده من سيطرة الباطل الجاهلى عليه ، سأل عن مكان وجود الرسول صلى الله عليه وسلم ، ليذهب اليه ويعلن عنده ايمانه واسلامه .

ولما سمع خباب ـ المختفى من عمر ـ قول عمر هذا خرج من مخبئه بعد أن علم أن عمر هو الآن سائر فى طريق الايمان ، والهداية الاسلامية ، فخرج وقال لعمر : أبشر يا عمر ، فلعل الله قد استجاب دعوة رسوله فيك ، فانى سمعته أمس يدعو ويقول (**اَللَّهُمَّ أَيِّدِ الْإِسْلَامَ بِأَبِى الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ ، أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَاللَّهَ اللَّهَ يَا عُمَرُ**) . وفى رواية أخرى أوردها الامام أحمد فى مسنده ، والترمذى فى سننه وغيرهما أنه قال : (**اَللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ : بِأَبِى جَهْلٍ ، أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ**) .

وحين دلوا عمر على مكان وجود الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأخبروه بأنه فى دار « الأرقم » عند الصفا مع نفر من أصحابه ، أخذ عمر سيفه فتوشحه ثم ذهب اليه ليظهر اسلامه ، وليطهر قلبه من رجس الشرك

والوثنية ، وينطق بكلمة الشهادة أمامه ، فسار اليه ودخل على الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن دق الباب وعلم من كان فى الدار أن الطارق للباب هو عمر ابن الخطاب ، فذعروا وخافوا من شدته أن يصيبهم منها أذى أو مكروه وكان مع الرسول صلى الله عليه وسلم عمه حمزة ، فذهب اليه الرسول وتلقاه بالباب ، وأخذ بتلابيبه وزجره عن تماديه فى الغواية والضلال ، ولكنه طمأنه بأنه ما جاء اليه الا ليعلن اسلامه وينطق بكلمة الشهادة ، كلمة الحق والصدق الواجبة على كل انسان عرف الحقيقة وواقعه ، وهداه الله ، وعرف أنه ما هو الا مخلوق ضعيف لخالق قوى قادر على كل شىء ، يجب على هذا المخلوق أن يقر له بالالوهية والربوبية ، وعليه أن ينزع الى الحق ، ويكف عن الباطل ، ويقلع عن الضلال والسفه والغواية والطيش ، ان كان يحب لنفسه الخير والسعادة السرمدية .

وعند ما دخل عمر على الرسول صلى الله عليه وسلم الدار التى كان فيها ودار بينه وبين الرسول ما دار من الكلام ، أعلن عمر اسلامه أمامه وبين يديه بكلمة جهورية مدوية فكبر لها الرسول صلى الله عليه وسلم تكبيرة سمعها من فى الدار ، وعلموا أن عمر قد أسلم ، وفرحوا باسلامه فرحا لا نظير له ، لان اسلام عمر نصر كبير له على نفسه ، كما هو نصر مبين للاسلام ، أراده الله له ، وتأييد للدعوة الاسلامية فى وقت احتاجت فيه الى قوة تساندها وتدفعها الى الامام ، لتنتشر فى الآفاق

ولتنقذ العديد من الملايين من أبناء الانسانية الضالين عن سبيل الله ، سبيل الحق والخير ، فجعل الله من اسلام عمر بن الخطاب ، وحمزة بن عبد المطلب وغيرهما نصرا عظيما وقوة كبيرة للدعوة الاسلامية ، كما جاء فى صحيح البخارى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال : (**مَازِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ**).

وقفـــة استعراض وتقييم :

وهنا نقف وقفة استعراض وتقييم ، نستعرض فيها مراحل الدعوة الاسلامية فى نشأتها الاولى وفى بدايتها التى أصابها فيها ما يصيب ــ عادة ــ جميع الدعوات فى نشأتها ، وقفة نطق لا وقفة صمت للترحم على أرواح شهداء الدعوة الاسلامية ، تلك الدعوة التى شقت طريقها وسط مجتمع جاهلى ألف التمسك بتراث الآباء والاجداد ولو كانوا على ضلال مبين .

فى زماننا هذا ظهرت فى مجتمعنا **وقفة** خشوع مفتعل وتقليد كافر بالدين والقيم الروحية ، اذ هى ليست منا ولا يعرفها مجتمعنا المسلم الطاهر ، فلكل زائر من المسلمين للمقابر أن يدعو الله لساكنيها بالرحمة والمغفرة لهم والعفو عنهم ، تلك الوقفة التقليدية التى أخذناها عن الكفرة بالله ، ولم يكن لها نصيب فى شرعنا الطاهر الحنيف ، فهى مبتدعة وبعيدة عنا ، فنحن المسلمين نترحم على موتانا فى كل وقت

وحين ، واثر صلواتنا وفيها ، وفى غير هذين الوقتين ، ومن غير المعروف ــ شرعا ــ ان ذلك لا يتم الا اذا كان أمام هيكل الميت ، قلنا : **انها وقفة تقليدية** ، وخاصة اذا كانت مصحوبة باكليل من النوار والازهار المتنوعة الاشكال والانواع والالوان ، وهنا نتذكر المثل الشائع بيننا القائل : (**كَمْ مِنْ قَبْرٍ يُزَارُ وَصَاحِبُهُ فِى النَّارْ**) . قلت انها وقفة تقليدية لمن لا يؤمن بالله راحم عباده المؤمنين ، اذ هو الرحمن الرحيم العفو الغفور ، وهل أولئك الذين يتعبون أنفسهم برفع أكفهم بالدعاء لطلب المغفرة والرحمة للشهداء هل هم أهل لان يستجيب الله دعاءهم ؟؟ فيغفر لميتهم ؟ ولو تصدقوا بقيمة ذلك الاكليل من الورود ــ وثمنه مرتفع جدا ــ لكان أجدى وأنفع للميت ، فليراجع كل منهم موقفه من ربه ، الذى يطلبون منه الرحمة للميت .

فان كان تقديم الاكليل لله فان الله منزه عن شم الرياحين ، وان كان للميت ، فالميت قد فقد حاسة الشم بموته ، فلمن اذن تقدم تلك الازهار ؟ ان الشهيد الذى قتل مجاهدا فى سبيل الله قد غفر الله له كل خطاياه ، فهو لا يحتاج الى غيره بل غيره يحتاج اليه كالشفاعة مثلا ، وهذا هو السهو والغفلة عن الاعمال ، وينظر الى ذلك شرعا بأنه اسراف وتضييع لمال المسلمين ــ وهذا حرام شرعا ــ كيف والقوم قد تعودوا على الاسراف وفعل الحرام وتضييع المال فيما لا فائدة فيه ؟ فمن علم من نفسه أنه أهل للدعاء أهّله

له وطهره من ذنوبه طاعته للرحمن الرحيم، فهو اذا دعاه رجا منه المغفرة للميت وقبول دعائه ، اما اذا كان عاصيا لربه بترك الفروض التى هو مكلف بها ، أو هو فاعل لما هو منهى عنه ، أو كان غير مقر له بالالوهية ولا هو معترف له بالربوبية بأنه الخالق لكل موجود ، والذى هو واحد فى الوهيته فهذا عليه ان لا يتعب نفسه برفع يديه الى السماء ـ فللشرع موازينه ـ وليرسلهما فى أمور أخرى ، هو أعلم بها ، وذلك أجدى له وأنفع ، والنبى (ص) قال ما قال : فى حق الذى يدعو ربه ولم يكن مستقيما على سبيل الشرع العزيز بأن كانت معيشته : من أكل وشرب ولباس وتغذية فى صغره ، وطول حياته مكتسبة مما حرم الله ، ذلك ما جاء فى حديث ابى هريرة عند مسلم ، وهو قوله : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**إِنَّ ٱللَّـهَ تَعَالَى طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّباً ... ثُمَّ ذَكَرَ ٱلرَّجُلَ يُطِيلُ ٱلسَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى ٱلسَّمَاءِ : يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ**) ؟ فقد سأل رسول الله سؤال تعجيب حيث قال : (**فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَـهُ ؟**) فكأنه قال : تعجبوا ممن هذا حاله ووصفه ، كيف يدعو الله ويرجوه ليجيب دعاءه ؟ والدعاء لا يكون له عند الله قيمة واعتبار الا اذا توفرت فيه شروطه ، وهذا الداعى لم تتوفر فى دعائه شروط الدعاء ، وكذلك لا يكون من الذين قال الله فيهم : « **يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ**

ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ، إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ ٱلْقَوْلِ ، وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً » . سورة النساء الآية 108 .

اننا نستعرض فى هذه الوقفة القصيرة حالة المسلمين فى بداية ظهور الاسلام ، فالمسلمون الاولون ـ وهم المستضعفون ـ كانوا قبل اسلام عمر قلة ، ومع هذه القلة الضعيفة فقد ثبتوا على ما هداهم الله اليه من خلع عبادة الاوثان ، والاقبال على عبادة الرحمان الواحد الديان ، بالرغم مما أصابهم من ألوان التعذيب والاضطهاد ، وقد تجاوز مشركو قريش كل ما عرف فى الماضى من أنواع التعذيب والاضطهاد لمن خالفهم فى العقيدة ، وكل هذه الانواع مدونة ومسجلة فى كتب التاريخ والسير ، وقد أراد الله لهذا الدين نصرا وعزا يدومان له الى الابد ، فبدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم ربه بأن ينصر الاسلام بأحد الرجلين اللذين كانت لهما العزة والمنعة ، وهما : عمر بن الخطاب ، أو عمرو ابن هشام ـ أبو جهل ـ فان من كان فى جوار أحدهما عَزَّ وَبَزَّ ، وقد قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فى اسلام عمر بن الخطاب : (**إِنَّ إِسْلَامَ عُمَرَ كَانَ فَتْحاً وَإِنَّ هِجْرَتَهُ كَانَتْ نَصْراً ، وَإِنَّ إِمَارَتَهُ كَانَتْ رَحْمَةً ، وَلَقَدْ كُنَّا وَمَا نُصَلِّي عِنْدَ ٱلْكَعْبَةِ حَتَّى أَسْلَمَ عُمَرُ ، فَلَمَّا أَسْلَمَ عُمَرَ قَاتَلَ قُرَيْشاً حَتَّى صَلَّى عِنْدَ ٱلْكَعْبَةِ وَصَلَّيْنَا مَعَـهُ**) .

فبهذه الوقفة ـ القصيرة ـ التى استعرضنا فيها لمحة من حال المسلمين قبل اسلام عمر بن الخطاب كانت

معرفتها والاحاطة بها ضرورية لنا ، فقد رأينا كيف تمثل فيها العدوان والظلم والقهر والباطل بأبشع صوره من مشركى قريش على المستضعفين من المسلمين ، دفاعا عن أحجارهم وأوثانهم المعبودة من دون الله ، أما حالهم بعد اسلامه فانهم نالوا به عزا ومنعة وقوة منحتهم الحرية فى عبادتهم لربهم ، واظهار شعائر دينهم كالصلاة فى أى مكان أرادوه ، وهل هناك مكان تقام فيه الصلاة أفضل من حرم الله وأمام بيت الله ، وقبلة المسلمين فيما بعد فقد تبدل الحال وصار المسلمون يصلون لربهم ، ومشركو قريش ينظرون اليهم ولا يتكلمون ، كل هذا بفضل الايمان بالله والصبر على ما أصاب المسنمين فى سبيل الله ، ان العاقبة لاهل الايمان والعقيدة الصحيحة .

هذا وغيره ناله المسلمون من اسلام عمر بن الخطاب، فهذا – لعمرى – هو النصر المؤزر من الله جاء من اسلام عمر .

ان الباطل لا يلجمه الا لجام القوة ، وفى المثل المعروف (**لَا يَفُلُّ الْحَدِيدَ إِلاَّ الْحَدِيدُ**) .

فقد مرت على المسلمين فى اعتناقهم للاسلام ، والتحاقهم بركب الموحدين لربهم ، بعد أن كانوا تائهين فى ضلال الشرك والوثنية مع الاحجار صباحا ومساء – قلت مرت على أوائل المسلمين سنوات شداد عليهم ، من جراء قساوة قلوب مشركى قريش عليهم ومعاملاتهم

لهم ، فالمسلمون يتنقل بهم الزمان ويتطور من سنة لاخرى ، فيزيد عددهم ، ويزيد معه البلاء والمحن والعذاب من لون الى لون ، فكل واحد من المشركين ينتقم لآلهته الحجرية بحسب ما يراه يرضيها عنه ، كما هو الحال فى آلهة زماننا هذا من حكام المسلمين أينما كانوا ، فاذا ما تكلم أى انسان فى سلوك واحد منهم المنحرف عن الصراط المستقيم وأظهر ما فى هذا السلوك من العيوب والاخطار التى ستلحق الامة المحمدية نتيجة لذلك الانحراف ، أو كشف النقاب عن مخازيه وعبثه وتفريطه فيما هو واجب عليه ، أو تبذيره لأموال خزينة الدولة التى هى في الحقيقة خزينة شعبه وأمته، أو اهماله لشؤون وظيفته ومصالح الشعب الذى هو مسؤول عنها وعنه ، أو خاف من غضب شعبه عليه وانتقامه منه ، أو محاسبته – فى يوم من الايام – على أعماله وتصرفاته ، اذا وقع شىء من هذا ارتفعت الاصوات ونودى : ان « المكاسب » فى خطر !

ما بمثل هذا النوع تخدم الاوطان ، وتجلب لها الرفاهية والسعادة !

ان الحكام المنصفين النزهاء – أمثال عمر الفاروق – يسمعون كلام خصومهم قبل كلام أعوانهم وانصارهم وأوليائهم ، كى يصلحوا خللهم ويقوموا اعوجاجهم ليبقوا صالحين فى أماكنهم ، اذا كانوا صالحين للبقاء فيها ، وكان عمر يقول : (**رَحِمَ اللَّهُ**

عَبْدًا أَهْدَى إِلَيَّ عُيُوبِي) . فعد ذلك منه هدية له ، وعن سفيان بن عيينة قال : قال عمر بن الخطاب : **(أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ مَنْ رَفَعَ إِلَيَّ عُيُوبِي)** .

اننا فقدنا النصيحة ، وفقدنا تأثيرها فينا ، وأحللنا مكانها الغش والخديعة والتزوير ، والبهتان والتملق وما الى ذلك ، ورسولنا عليه الصلاة والسلام قال : **(مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا)**. فقد فقدنا بالنصيحة حرية الرأى وحرية القول الذى يترجم عن ذلك الرأى وهذا من أمارات الخسران ، وبذلك كثرت شهادة الزور التى هى من كبائر الذنوب ، وانتشرت حتى من بعض من ينتسبون للعلم والجهاد . فياويل هؤلاء يوم يقفون بين يدي الله للحساب على ما صدر من العباد ، من العقاب الشديد لشاهد الزور .

الاسلام يأمر المسلمين بأن ينصر بعضهم بعضا، كما ثبت هذا بصريح الحديث الصحيح ، فالمفروض على المسلم أن ينصر أخاه المسلم اذا كان مظلوما ، فيرد عنه ظلم الظالم له ، اما اذا كان هذا الاخ ظالما فيكون عليه نصره أيضا بنهيه عن الظلم منه وارجاعه الى سبيل الحق والصواب ، وهذا نصر له ، وهو ما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم ، من أجل تربية المسلمين على قولة الحق والانصاف والعدل ، فقد قال عليه الصلاة والسلام فى الحديث الذى أخرجه الائمة مثل البخارى وغيره عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم : **(أُنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ، قِيلَ كَيْفَ أَنْصُرُهُ ظَالِمًا ؟ قَالَ تَحْجُزُهُ عَنِ الظُّلْمِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ)** .

وأكثر ما يتعجب منه العقلاء والنزهاء فى هذا الزمان ادعاء طائفة من الناس أنهم من أهل العلم ، وخاصة علم الدين ، والواقع الملموس أنهم من أبعد خلق الله عليه ، لهذا انكشف أمرهم ، بل هم الذين كشفوا أنفسهم بأنفسهم ، وهذه عاقبة الطائشين ، والذى لم يدرس شيئا فى حياته كيف يسيغ لنفسه التكلم فيه ، اللهم الا اذا كان ذلك لغرض شخصى ونفس دنيئة ألفت الصيد فى الماء العكر ، أو دفعوا اليه دفعا من غيرهم وهذا أتعس شىء فى حياة الانسان، حيث يظهر أن ما قاله ليس منه بل أملى عليه املاء ، وعند الله يجتمع الخصوم .

وقفة قصيرة وقفناها على حال المسلمين قبل اسلام عمر بن الخطاب وبعد اسلامه ، وذكرنا شيئا عن ضعفاء الايمان والعقيدة فى الدين ، وقد بان لنا من خلال ذلك صفات الرجال العظماء أصحاب المبادىء العالية والثابتة ، التى كانت للحق لا للخلق ، نرجو أن نحذو حذوها ، فنستفيد منها ، فلا صلاح للنفوس والمجتمعات فى غير الحق والانصاف ، كما رأينا بعض صفات وخصال ذوى النفوس المهينة الحقيرة التى باعت ضمائرها لغيرها.

تعذيب المشركين لخباب :

كان مشركو قريش يتفنون فى تعذيب المؤمنين بالله وحده ، كل حسب رأيه وهواه ، فتعذيبهم وعذابهم لهم لا يختلف كثيرا ، فى مقاديره ، وانما يختلف فى أنواعه ، فقد كان البعض منهم يلبس من كلف بتعذيبه درع أو أدراع الحديد ، ثم يصهرونهم في حر الشمس ـ يحمونهم بها ـ فيبلغ منهم الجهد والعذاب ما شاء الله أن يبلغ من حر الشمس وحر الحديد المحمى فيها معا ، قال الشعبى وغيره : ان خبابا صبر على ذلك العذاب ولم يعط الكفار ما سألوه ، فجعلوا يلصقون ظهره بالرَّضْفِ ـ الحجارة المحماة بالنار أو بالشمس ـ حتى ذهب متنه .

وروى عن عروة بن الزبير قال : كان خباب من المستضعفين الذين يعذبون فى مكة ليرجع عن دينه .

وروى عن خباب بن الارت قال : شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة ، فقلنا : ألا تستنصر لنا ؟ ـ أى تدعو الله تعالى لينصرنا على المشركين ـ ألا تدعو لنا ؟ فجلس ـ محمرا ـ وجهه وقال : (**لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ حُفْرَةٌ ، وَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ ، مَا يَصْرِفُهُ عَنْ دِينِهِ ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عَظْمٍ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ مَا يَصْرِفُهُ عَنْ دِينِهِ ، وَلَيُتِمَّنَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هَذَا الْأَمْرَ**

حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مَا بَيْنَ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخْشَى إِلَّا اللَّهَ تَعَالَى وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ (1).

فهذا امتحان لأهل الإيمان ، هل يصبرون على ما يصيبهم فيفوزوا بالحياة الهنية السعيدة والآمنة ، أو يجزعون فيخسروا ذلك ؟ وقد انتدبهم الله الى حمل شريعته وتبليغها الى عباده المهيئين لحملها وتحملها ، وتحمل كل أذى يصيبهم فى سبيل ذلك .

وهذا ما أراده الله ورسوله للمؤمنين كى يصبروا ويوطنوا أنفسهم على تحمل الاتعاب والمشاق فى سبيل العقيدة الاسلامية ، عقيدة الحق والتوحيد ، ولا يستعجلوا ، فمن أراد الشهد أصابه لسع ابر النحل .

كان خباب فى جاهليته قينا ـ حدادا ـ يصنع السيوف ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يألفه ويأتيه فأخبرت مولاته ـ سيدته ـ بذلك ، فكانت تأخذ الحديدة الْمُحْمَاةَ فتضعها على رأسه ـ عقابا له ـ فشكا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا له وقال : (**اللَّهُمَّ انْصُرْ خَبَّاباً**) فأجاب الله دعاء رسوله فى هذه المرأة سيئة الْخُلُقِ والمعاشرة للمملوك الذى جعله الله تحت يدها ، فعاشرته معاشرة سيئة ، اذ عاقبته بالنار لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتردد عليه ويجلس معه ، فاشتكت ـ مرضت هى الاخرى ـ سيدته

(1) مسند الامام أحمد ، ج 5 ، ص 109 والجزء 6 ، ص 395 بألفاظ متقاربة ، وأسد الغابة لابن الاثير ، ج 2 ص 98 .

أم أنمار ــ من مرض أصاب رأسها ، فكانت تعوى مثل الكلب ــ من عقاب الله لها ــ فقيل لها : أكتوي ، فكانت تأمر عبدها خبابا بأخذ الحديدة المحماة فيكوى بها رأسها.

ما شاء الله كان ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، فكان الجزاء الالهى السريع من جنس العمل ، وكان سريعا ، لكن مع وجود الفارق ، كانت سيدته تعذبه بالنار ولا يستطيع أن يمتنع منها لانها مالكته وسيدته ، فبدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم نزل عليها قضاء من لا يخفى عليه شيء ، سبحانك ما أعدلك يا رب العالمين ، هذه هى محكمة العدل الالهى ، لا يفر منها ظالم مهما كان ، فأصابها وجع برأسها ، فاضطرت الى أن تطلب من عبدها خباب أن يكويها بالنار ، اذ لعلها تجد فى الكى راحة ، فيكف عنها وجعها ، كما كانت هى تكويه بالنار عقابا له على ايمانه واتباعه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتبارك الله أعدل الحاكمين وناصر المظلومين .

قال الشعبى : سأل عمر بن الخطاب خبابا رضى الله عنهما عما لقى من المشركين ؟ فقال : يا أمير المؤمنين انظر الى ظهرى ، فكشف له عن ظهره ، فلما رآه عمر قال : ما رأيت كاليوم ظهر رجل ، وذلك لما رأى فيه من أثار الاحراق بالنار ، من أجل عقيدته وتصديقه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وايمانه به واتباعه لشرع الله وتركه لعبادة الاوثان ، فقال خباب لما دهش عمر من أثر الحريق : لقد أُوقِدَتْ لي نار وسحبت عليها فما أطفأها الا ودك ظهرى .

ومما أصابه من المشركين ما قصه هو بنفسه ، قال : كنت رجلا قَيْناً ــ حدادا ــ وكان لى على العاص بن وائل ــ أحد طغاة المشركين ــ دين فأتيته أتقاضاه ــ أطلب دينى منه ــ فقال لى : لن أقضيك حتى تكفر بمحمد ، فقلت له : لن أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث، فقال : وانى لمبعوث من بعد الموت ؟ فسوف أقضيك اذا رجعت الى مال وولد ــ قالها استهزاء ــ قال فأنزل الله فيه : « **أَفَرَأَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ : لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً** » الآيات : 77 ــ 78 ــ 79 من سورة مريم .

رواة الحديث عنه :

وممن روى الحديث عن خباب الامام الشعبى ، ولهذا يذكر الكثير من أخباره ، كما روى عنه غيره من رواة الحديث ، وممن روى عنه ابنه عبد الله بن خباب ابن الارت ، فقد روى عن أبيه خباب قال : صلى رسول صلاة فأطالها فقلنا : يا رسول الله صليت صلاة لم تكن تصليها قال : (**أَجَلْ إِنَّهَا صَلَاةُ رَغْبَةٍ وَرَهْبَةٍ ، إِنِّى سَأَلْتُ اللّـهَ عَزَّ وَجَلَّ ثَلَاثًا ، فَأَعْطَانِى اُثْنَتَيْنِ وَمَنَعَنِى وَاحِدَةً ، سَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِى بِسَنَةٍ عَامَّةٍ فَأَعْطَانِيهَا ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَعْطَانِيهَا ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُذِيقَ بَعْضُهُمْ بَأْسَ بَعْضٍ فَمَنَعَنِيهَا**) وقد اخرج حديث خباب هذا الامام أحمد فى مسنده وغيره من رواة الحديث ، كما جاء بعضه فى حديث ثوبان ــ مولى رسول الله (ص) ــ عند الائمة : مسلم والترمذى وأبى

داود وهو قوله : (إِنَّ ٱللَّهَ زَوَى لِي ٱلْأَرْضَ ، الخ) بقليل من اختلاف الالفاظ .

وكان خباب رضى الله عنه لا يأمن على نفسه من التقصير فى العمل بما يرضى الله عز وجل ، فكان يحذر شديد الحذر من أن يخالف فعله قوله ، فقد ذكر ابن الاثير فى كتابه « أسد الغابة » بسنده الى مالك ابن الحارث عن أبى خالد ، شيخ من أصحاب عبد الله قال : بينما نحن فى المسجد اذ جاء خباب بن الارت ، فجلس وسكت ، فقال له القوم : ان أصحابك قد اجتمعوا لتحدثهم أو لتأمرهم ، قال : بم آمرهم ؟ ولعلى آمرهم بما لست فاعلا .

وروى قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال : عاد خبابا نفرٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له : أبشر يا أبا عبد الله ، اخوانك تقدم عليهم غدا ، فبكى وقال : أما انه ليس بى جزع من الموت ولكن ذكرتمونى أقواما وسميتموهم اخوانا ، وان أولئك قد مضوا بأجورهم كما هى ، وانى أخاف أن يكون ثواب ما تذكرون من تلك الاعمال ما أوتينا من بعدهم ، وأوتى بكفنه قُبَاطِى — نوع من الثياب الكتانية منسوبة الى القبط — فبكى ، ثم قال : لكن حمزة عم النبى صلى الله عليه وسلم كُفِّنَ فى بردة ، فاذا مُدَّتْ على قدميه قلصت عن رأسه ، واذا مدت على رأسه قَلَصَتْ على قدميه ، حتى جُعِل عليه إِذْخِرٌ ، ولقد رأيتني مع رسول الله صلى

الله عليه وسلم ما أملك دينارا ولا درهما ، وان فى ناحية بيتى فى تابوتى لاربعين ألف واف ، ولقد خشيت أن تكون قد عجلت لنا طيباتنا فى حياتنا .

فكلمة « خباب » هذه تشبه كلمة « عمر بن الخطاب » رضى الله عنهما ، تلك الكلمة الوعظية التى قالها حين بسطت الدنيا أجنحتها على المسلمين ، فكثر عليهم المال حتى فاض ، بعد أن كانوا فقراء لا يجدون قوتا ولا كساء ولا مسكنا فى أيامهم الخالية ، قبل الاسلام ، وقبل كثرة الفتوحات ، ولا عجب فى خوفهما هذا فكلاهما شرب من معين النبوة الصافى من الاكدار ، وارتوى من نبع القرآن العذب المروى لا يحتاج الشارب منه الى سواه ، وكلاهما يشير الى آية سورة الاحقاف وهى قوله تعالى : « **وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى ٱلنَّارِ ، أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا ، فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ** » الآية 20 من سورة الاحقاف ، هكذا فهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم التلذذ بمتاع الحياة الدنيا ، فهم يخشون شديد الخشية أن تكون هذه الملذات التى أصابوها فى حياتهم الدنيا ، بعد الفقر والفاقة ، من أطعمة وألبسة ، ومساكن وقصور ، أن تكون هى حظهم من النعيم قدم لهم واستوفوه فى حياتهم الدنيا ، اذ قد أطلقوا لانفسهم وشهواتهم العنان فى التمتع بها وبجميع أصنافها وأنواعها بلا حدود يقفون عندها ، لذا فهم يخشون أن لا يكون لهم نصيب فى متاع

الحياة الآخرة ، فيقول لهم ربهم ما يقوله للكافرين الذين قضوا كل حياتهم الدنيا فى الملاذ والشهوات ، فاذا جاؤوا يوم القيامة للحياة التى وعدوا بها ، وهى الحياة الدائمة ، جاؤوا اليها بلا زاد لحياتهم هذه ، اذ لم تتركهم شهواتهم يقدمون اليها شيئا من الطاعات لربهم يجدون ثوابه ينتظرهم لتلك الحياة الطويلة ، والتى لا نهاية لها ، فيقول لهم ربهم : لا حظ لكم هنا ولا نصيب من التمتع فى هذه الحياة ، فقد أذهبتم طيبات حياتكم هذه فى حياتكم الاولى واستمتعتم بها هناك ، اذ غلبتكم شهوات نفوسكم ، فلم تدخروا من الاعمال الصالحة لهذه الحياة ما يسعدكم فيها وينجيكم من عذاب الله اذ اتباع الشهوات يقود صاحبه الى النار ، كما أن فعل ما تكرهه النفوس — ترضية لله — يقود صاحبه الى الجنة دار الراحة والكرامة والتكريم ، وقد حذرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بما لا مزيد عليه لمن هداه الله ووفقه لما يرضى عنه ربه ، مثل حديث البخارى عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (**حُجِبَتِ ٱلنَّارُ بِالشَّهَوَاتِ ، وَحُجِبَتِ ٱلْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ**) ومثل حديث الائمة أحمد ومسلم والترمذى عن أنس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال — عن الله — : « **حُفَّتِ ٱلْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ ، وَحُفَّتِ ٱلنَّارُ بِالشَّهَوَاتِ** » . فالجنة محجوبة عن الانظار بفعل ما هو ثقيل على النفس فتكرهه، فمن ألزم نفسه بما تكرهه كأن يقوم بالفرائض التى أوجبها الله عليه كالصيام والصلاة والزكاة الخ .

والزم نفسه — وهى كارهة لها — بأدائها دخل الجنة ، ومن غلبته شهوات نفسه — وذلك ما تحبه النفس الامارة بالسوء — وأطاعها وعصى ربه ، قادته طاعته لنفسه باتباع شهواتها الى جهنم ، فالسور الذى أحيطت به الجنة هو ما تكرهه النفوس وما هو ثقيل عليها ، والسور الذى أحيطت به النار هو اتباع شهوات النفس وهو خفيف عليها ، فَتَخَطِّى سور الجنة للدخول اليها لا يكون الا بما تكرهه النفس ، كما أن فعل كل ما تشتهيه النفس وما هو خفيف عليها يُدْخِلُ الى النار ، هذا معنى الحديثين الشريفين والتوفيق من الله تعالى .

فكلا الصحابيين رضى الله عنهما نظر الى ما ناله المسلمون من متاع الدنيا بعد أن كانوا محرومين منه ، فخافا أن يكون هذا تعجيلا من الله لهم ثوابهم الذى أعطاهم لهم جزاء أعمالهم التى قدموها فى الحياة الدنيا ليجدوا ثوابها فى الآخرة ، فان كل واحد منهما خاف أن يكون قد تعجل فى الدنيا — أجر طاعته لله ، — كالجهاد فى سبيل الله — مثلا — ولا يكون له نصيب منه فى الآخرة ، فكان عمر يقول : أخشى أن يقول الله لنا كما يقول للكافرين : « **أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا ، فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ** » ، سورة الاحقاف الآية 20 .

وعندما مرض خباب مرضه الشديد وطال به واكتوى سبع كيات ، وعاده بعض اخوانه قال لهم : لولا أنى

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (**لَا يَنْبَغِى لِأَحَدٍ أَنْ يَتَمَنَّى ٱلْمَوْتَ لَاَلْفَانِى قَدْ تَمَنَّيْتُهُ**) .

ونزل خباب الكوفة ومات بها ، وجاء أنه أول من دفن بظهر الكوفة من الصحابة، وكان موته سنة سبع وثلاثين، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة ، ولـم يشهد « صفين » مع على ، قال زيد بن وهب : سرنا مع على حين رجع من صفين حتى اذا كان عند باب الكوفة اذا نحن بقبور سبعة عن أيماننا ، فقال على : ما هذه القبور ؟ ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ان خبابَ بن الارت توفي بعد مخرجك الى صفين ، فأوصى أن يدفن فى ظاهر الكوفة ، وكان الناس انما يدفنون موتاهم فى أفنيتهم وعلى أبواب دورهم ، فلما رأوا خبابا أوصى أن يدفن بالظهر دفن الناس ، ثم دنا من قبورهم فقال : (**اَلسَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ ٱلدِّيَارِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُسْلِمِينَ ، أَنْتُمْ لَنَا سَلَفٌ فَارِطٌ ، وَنَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ ، عَمَّا قَلِيلٍ لَاحِقٌ ، اَللَّهُمَّ اَغْفِرْ لَنَا وَلَهُمْ ، وَتَجَاوَزْ بِعَفْوِكَ عَنَّا وَعَنْهُمْ ، طُوبَى لِمَنْ ذَكَرَ ٱلْمَعَادَ ، وَعَمِلَ لِلْحِسَابِ وَقَنِعَ بِٱلْكَفَافِ ، وَأَرْضَى ٱللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ**) .

وأخرج الطبرانى من طريق زيد بن وهب قال : لما رجع على من « صفين » مر بقبر خباب فقال : (**رَحِمَ ٱللَّهُ خَبَّاباً ، أَسْلَمَ رَاغِباً ، وَهَاجَرَ طَائِعاً ، وَعَاشَ مُجَاهِداً ، وَٱبْتُلِيَ فِى جِسْمِهِ أَحْوَالاً ، وَلَنْ يُضَيِّعَ ٱللَّهُ أَجْرَهُ**) .

هذه شهادة تزكية واعتراف من أمير المؤمنين « على » كرم الله وجهه لهذا البطل العظيم من أبطال الاسلام

وعقيدة التوحيد ، فهو لها أهل ، وبها أحق وأجدر ، رحمه الله ورضى عنه ، وجعل فى المسلمين المعاصرين من يسلك سبيله ويقتفى أثره آمين .

وذكر ابن سعد فى طبقاته الكبرى قال : دخل خباب بن الارت على عمر بن الخطاب فأجلسه على متكئه وقال : ما على الارض أحد أحق بهذا المجلس من هذا الا رجل واحد ، فقال له خباب : من هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : بلال ــ وفى رواية عمار بن ياسر ــ قال فقال له خباب : يا أمير المؤمنين ما هو بأحق به منى ، ان بلالا كان فى المشركين من يمنعه الله به ، ولم يكن لى أحد يمنعنى ، فلقد رأيتنى أخذونى وأوقدوا لى نارا ثم سلقونى ــ أحرقونى ــ فيها ، ثم وضع رجل رجله على صدرى ، فما اتقيت الارض ، أو قال برد الارض الا بظهرى ، قال : (**ثُمَّ كَشَفَ عَنْ ظَهْرِهِ ، فَإِذَا هُوَ قَدْ بَرِصَ**) . أى أصابه البرص من العذاب بالنار .

وشهد خباب بدرا ، وأحدا ، والخندق ، والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رحمه الله ، ورضى عنه ورزقنا القدوة الحسنة لابطال الاسلام ذوى العقيدة الراسخة والايمان القوى المتين الذى لا تزعزعه صروف الايام ، ولا تقلبات الزمان والاحوال آمين .

— 9 —

سلمان الفارسى
وابتداؤه رحلة الايمان

هو أبو عبد الله سلمان الفارسى ، ، ويعرف – بعد اسلامه – بسلمان الخير ، وهو أحد المؤمنين المستضعفين، الذين عذبهم كفار قريش المشركون لعقيدتهم التى آمنوا بها – عقيدة التوحيد – ولاسلامهم وايمانهم بالله وبرسوله ، ولتركهم للاوثان وعبادتها وعبادها ، بالرغم من أنه نشأ فى وسط المجوسية وعبادة النار ، ولكن الله أراد له السعادة الابدية ، والنجاة السرمدية ، فساقه الى حمى الاسلام ، وسئل يوما عن نسبه فأجاب : (أَنَا ابْنُ الْإِسْلَامِ) .

أصله من بلاد الفرس ، ومن بلدة تسمى « رام هرمز» وقيل انه من «جَيٌّ» وهى مدينة بناحية (أَصْفِهَانَ) المشهورة ، وكان اسمه قبل اسلامه «مَابِهْ بْنَ بُوذَخْشَانَ» وكان مجوسيا – بحكم بيئته وقومه – ممن يعبدون النار، كما كان سادنها وخادمها الذى يزودها بالحطب حتى لا تخمد ، والقائم عليها ، وكان سبب اسلامه ما أخبر به – هو – نفسه عبد الله بن عباس رضى الله عنهم

أجمعين ، قال ابن عباس : حدثنى سلمان الفارسى وأنا أسمع من فيه قال : كنت رجلا من أهل فارس من أَصْبِهَانَ من قرية يقال لها (جَيٌّ) ابن رجل من دَهَاقِينِهَا ، وقال : كان أبى دهقان (1) أرضه ، وكنت أحب خلق اليه ، وفى رواية أحب عباد الله اليه ، فأجلسنى فى البيت كالجوارى ، فاجتهدت فى المجوسية حتى كنت (قَاطِنَ ٱلنَّارِ) الذى يوقدها ولا يتركها تخبو ـ تطفأ ـ ساعة وكانت لابى ضيعة ـ مزرعة ـ وكان له بنيان يعالجه ، فقال لى يوما : يا بنى قد شغلنى ما ترى فانطلق الى الضيعة ، ـ وأمرى ببعض ما يريد ـ ولا تحتبس عنى ، فانك ان احتبست عنى كنت أهم الى من ضيعتى وشغلتنى عن كل شىء من أمرى ، قال فخرجت لذلك ، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى ، فسمعت فيها أصواتهم وهم يصلون ، فملت اليهم ، وأعجبنى أمرهم ، فقلت : هذا والله خير من ديننا ، فأقمت عندهم حتى غابت الشمس ، لا أنا أتيت الضيعة ، ولا رجعت اليه ، فاستبطانى وبعث رسلا فى طلبى ، وقد قلت للنصارى : حين أعجبنى أمرهم : أين أصل هذا الدين ؟ قالوا : بالشام ، فرجعت الى والدى ، فقال : يا بنى قد بعثت اليك رسلا فقلت : مررت بقوم يصلون فى كنيسة فأعجبنى ما رأيت من أمرهم ، وعلمت أن دينهم خير من ديننا ، فقال : يا بنى دينك ودين آبائك خير من دينهم ،

(1) الدهقان بكسر الدال وضمها ، والجمع دهاقنة هو رئيس الاقليم ، أو شيخ القرية العارف بالفلاحة وبمصالح الارض .

فقلت : كلا والله ، فخافنى وقيدنى بالحديد ، فبعثت الى النصارى وأعلمتهم ما وافقنى من أمرهم .

وقصته مذكورة فى كتاب « دلائل النبوة » للامام البيهقى وفى غيره .

سلمان الفارسى يبحث عن حقيقة العقيدة والدين الصحيح :

هذا سلمان الفارسى فى رحلة زمانية ومكانية طويلة وشاقة محفوفة بالمخاطر والاهوال ، وفى نهايتها يبلغ مراده ، بعد أتعاب ومشاق وأهوال ، قال سلمان : وسألتهم ـ النصارى ـ اعلامى بمن يريد الشام ، ففعلوا ، قال : فألقيت الحديد من رجلى وخرجت معهم الى الشام ، فسألتهم عن عالمهم ؟ فقالوا : الاسقف ، فأتيته فأخبرته وقلت له أكون معك ، أخدمك وأصلى معك ، فقال : أقم ، فمكثت مع رجل سوء فى دينه ، وكان يأمرهم بالصدقة ، فاذا أعطوه شيئا أمسكه لنفسه ، حتى جمع سبع قلال مملوءة ذهبا وورقا ـ فضة ـ فتوفى فأخبرتهم بخبره ، فزبرونى ـ زجرونى ـ فدللتهم على ماله ، فصلبوه ولم يغيبوه ورجموه ، (فقد كان هذا الراهب يسرق الاموال باسم الدين ، فجازوه جزاء الخائن للامانة ، فما أولى بهذا الحكم وما أحقه بالتطبيق على خونة هذا الزمان باسم الدين) قال سلمان : وأجلسوا مكانه رجلا فاضلا فى دينه ، زهدا ورغبة فى الآخرة ،

وصلاحا ، فألقى الله حبه فى قلبى ، حتى اذا حضرته الوفاة قلت له : أوصنى ، فذكر رجلا بالموصل ، كانا على أمر واحد ، حتى هلك ، فأتيت الموصل ، فلقيت الرجل فأخبرته بخبرى ، وأن فلانا أمرنى بالاتيان اليك ، فقال لى : أقم ، فوجدته على أمره وسبيله ، حتى حضرته الوفاة ، فقلت له : أوصنى ، فقال : ما أعرف أحدا على ما نحن عليه الا رجلا بِعَمُّورِيَّةَ ـ بلدة فى أرض الروم ـ ـ الشام ـ ، فأتيته بِعَمُّورِيَّةَ فأخبرته بخبرى ، فأمرنى بالمقام عنده واكتسبت ، فاتخذت غُنَيْمَـــةً وَبَقَرَاتٍ ، فحضرته الوفاة فقلت له : الى مـــن توصى بى ، وبم تأمرنى ؟ ؟ فقال : أى بنى ، والله لا أعلم أحدا اليوم على مثل ما كنا عليه ، ولكن قد أظلك زمان نبى يبعث بدين ابراهيم « الحنيفية » يخرج بأرض العرب ، مُهَاجَرُهُ بأرض بين حَرَّتَيْنِ ، بينهما نخل ، وبه آيات وعلامات لا تخفى ، بين منكبيه خاتم النبوة ، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، فان استطعت أن تلحق بتلك الارض فافعل .

ثم استمر سلمان فى سرد قصته ـ العجيبة ـ وهداية الله له الى الاسلام الحنيف ، الذى رحل من أجله هـذه الرحلة الطويلة فى الزمان والمكان بحثا عن الحقيقة ، الى أن ظفر بمبتغاه ، قال سلمان : فتوفى ذلك الرجل **الصالح** ـ وهو الثالث ممن صحبهم سلمان ـ مـن أجـل البحث عن الدين الحق ، والعقيدة الصحيحة ، ومر بى ركب من العرب من قبيلة (كلب) فقلت لهم : أصحبكم وأعطيكم بقراتى وغنمى هذه وتحملونى الى بلادكم ،

فحملونى الى وادى القرى (1) ، قال سلمان فظلمونى وباعونى « عبدا » من رجل يهودى ، فرأيت النخل ، فعلمت أنه البلد الذى وصف لى ، فأقمت عند الـــذى اشترانى ، وقدم عليه رجل من بنى قريظة ، فاشترانى منه ، وقدم بى الى « المدينة » فعرفتها بصفتها ، فأقمت فى « رِقِّى » معه أعمل فى نخله ، **وبعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم** ، فأقام بمكة ما أقام ، وعقلت عن ذلك ، حتى قدم المدينة ، فنزل فى بنى عمرو بن عوف ، فانى لفى رأس نخلة اذ أقبل ابن عم لصاحبى فقال : أى فلان قاتل الله بنى قَيْلَةَ (2) مررت بهـم آنفا وهـم مجتمعون على رجل قدم عليهم من مكة ، يزعم أنه نبى ، فوالله ما هو الا أن سمعتها فأخذنى **العرواء** ـ الرعدة من الحمى والبرد ـ ورجفت بى النخلة حتى كدت أن أسقط ، ونزلت سريعا فقلت : ما هذا الخبر ؟ فلكمنى صاحبى لكمة شديدة وقال : وما أنت وذاك ؟ أقبل على شأنك ، فأقبلت على عملى حتى أمسيت ، فجمعت شيئا فأتيته به وهو بقباء عند أصحابه ، فقلت له : اجتمع عندى شىء أردت أن أتصدق به ، فبلغنى أنك رجل صالح ومعك رجال من أصحابك ذوو حاجة ، فرأيتكم أحق به ، فوضعته بين يديه ، فكف يده وقال لاصحابه : كلوا ، فأكلوا ، فقلت : هذه واحدة ـ يعنى من أمارات

---

(1) وادى القرى قال فيه ياقوت : هو واد بين المدينة والشام ، من أعمال المدينة ، كثير القرى .

(2) بنو قيلة هم الانصار ، وقيلة اسم امرأة وهى أم الاوس والخزرج

نبوته — ورجعت ، وتحول الى المدينة ، فجمعت شيئا ، فأتيته به فقلت : أحببت اكرامك فأهديته لك هدية وليست بصدقة ، فمد يده فأكل ، وأكل أصحابه، فقلت : هاتان اثنتان ، ورجعت ، فأتيته وقد تبع جنازة فى بقيع الغرقد وحوله أصحابه ، فسلمت وتحولت أنظر الى الخاتم فى ظهره ، فعلم ما أردت ، فألقى رداءه ، فرأيت الخاتم ، فقبلته وبكيت ، فأجلسنى بين يديه ، فحدثته بشأنى كله ، كما حدثتك يا ابن عباس ، فأعجبه ذلك ، وأحب أن يسمعه أصحابه ، قال سلمان : ما فاتنى من الغزوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بدر ، وأحد ، فقد فاتانى بسبب الرق ، لانى كنت عبدا مملوكا لليهودى .

سلمان يكاتب عن حريته :
لأن الحرية مبدأ أساسى فى الاسلام :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى الحرية والتحرر من ربقة الرق والعبودية لغير الخلاق العليم وهذا هو المبدأ الاسلامى الاساسى فى الدعوة ، بل وفى حياة المسلمين كلها ، والحرية مبدأ أساسى فى الاسلام ، فالانسان ولد حرا ، فينبغى أن تبقى له حريته هذه ، وتصاحبه طول حياته كى يتمتع بها ، اذ هى هبة له من الله خالقه ورازقه ومدبر أموره كلها ، فاذا طرأ عليها طارىء الرق والعبودية بأى أسلوب كانت هذه العبودية،

أسرع الاسلام وتشريعه الربانى الى فك رقبته من قيود العبودية ، من أجل هذا شرع الاسلام تحرير الرقبة فى الكفارات وفى غيرها من سبل البر والخير ، والاحسان الى الناس ، وخاصة الضعفاء منهم والحرية مطلب مهم فى التشريع الاسلامى ، وقد ذكرت هذه الآية وجها من ذلك ، فى قوله تعالى : « **فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ، فَكُّ رَقَبَةٍ ، أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ، يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ، أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ، ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ، أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ** » (1) . لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسلمان : **(كَاتِبْ يَا سَلْمَانُ عَنْ نَفْسِكَ).**
فالقرآن يحض المسلمين ويحثهم على ما فيه الخير لبنى الانسان كلهم فى هذه الآيات الثمانية ، على فك الرقبة — تحريرها — من قيد العبودية ، الى ميدان الحرية ، أو اطعام البطون الجائعة فى أيام المجاعة المهلكة — وهى المسغبة — لليتامى والمساكين ، ويزيد على ما ذكر ايمان وتصديق بالله وبرسوله وبكل ما جاء من لدن رب العالمين ، مع رحمة وعطف على النفس وعلى عباد الله أجمعين ، ملأت القلب وصيرته زينة للنفس ، اذ بدونها لا يساوى قلامة ظفر .

فبهذه المذكورات هنا وبغيرها من خصال الخير من كل ما جاء فى الشرع الاسلامى ، يمكن اقتحام عقبة يوم

(1) سورة البلد .

القيامة ، ولا عقبة هنا ، وانما المراد بها الشدائد يوم القيامة والحساب الذى سيحاسبه العباد ، وهو أمر شديد يشبه صعود العقبة الصعبة الصعود ، وهى عقبة شديدة الاقتحام لا يعرف الانسان حقيقتها ، ويكفيه دلالة على شدة يوم القيامة وما يقع فيه من الاهوال أن الله عبر عنه هنا باقتحام العقبة ، لما فيه من الشدائد والاهوال على ضعفاء الايمان أو عادميه ، فقد ذكر أهوال يوم القيامة الشديد بلفظ العقبة ، لان صعود العقبة شاق ومتعب لا يستطيعه الا اقوياء الابدان ـ وهو هنا الايمان ـ الاشداء فيه ، فكذلك الحساب يوم القيامة ، وهو آت لا ريب فيه ، سواء آمن به بعض البشر أو جحدوه ، وهو يوم الوقوف بين يدى الرب الواحد القهار المعبود بحق ، فى ذلك اليوم المشهود ، وتلك العقبة الكؤود الشاقة والصعبة الصعود ، فلا يستطيع تخطى هذه العقبة الا الصالحون والصادقون .

نعود الى سرد قصة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم « سلمان » الفارسى حيث استقر به المقام بالمدينة المنورة ، بعد أن حظى بمراده ، وبلغ مناه ، بعد تلك الرحلة الطويلة التى قطع فيها « سلمان » مئات الاميال لينال ما جاء من أجله ، وهو جائزة سنية للحياة الحقة ، وذلك فى اعتناقه للاسلام ومشاهدته وصحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأى مكسب خير من هذين المكسبين العظيمين ، غير أن حظه هذا لم يكن سهلا ميسورا . فقد كلفه ذلك ما كلفه من أتعاب وأوصاب ،

فقد فقد ـ زيادة عما ذكر ـ حريته الشخصية من أجل ذلك ، الى أن أعادها اليه الاسلام ، ولم يخف الله فيه من صحبه من وطنه ذلك الى أرض العرب ، فاسترقه واستعبده ، وهو حر ابن أحرار على ما كان سائدا فى ذلك آلزمان المظلم بظلام الجاهلية الاولى ، وباعه من التجأ اليه فى مسيرته تلك لليهود أعداء الله والحرية وعباد المادة والمال ، وهم أشرار خلق الله ، وتاريخ الانسانية عامر بمآسيهم المحزنة ، ومآمراتهم الخسيسة، وفسادهم فى الارض ، قلنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر سلمان بتحرير رقبته ـ بالمكاتبة ـ ونزع قيد الذل والعبودية عنه، فقال له الحبيب محب الحرية والتحرر كما أخبر **سلمان نفسه ،** قال نادانى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لى: **(كَاتِبْ يَا سَلْمَانُ عَنْ نَفْسِكَ).**
قال سلمان : فلم أزل بصاحبى ـ يعنى مالكه اليهودى ـ أساله وأطلب منه المكاتبة ، حتى كاتبنى على أن أغرس له ثلاثمائة وقيل خمسمائة (ودية) ـ صغار النخل ـ فسيلة ـ وهى الجبارة أو الزمرة كما يسميها عندنا فى الجزائر أهل غراسة النخيل لا زراعة النخيل ، فالنخيل تغرس ولا تزرع ، مضافا الى الثلاثمائة **«ودية»** اربعين أوقية من الذهب ، على هذا المبلغ من الذهب والغراسة المذكورة تم الاتفاق بين **سلمان** ومالكه اليهودى ، وهو مبلغ باهظ يطلب من رجل فقير لا مال عنده ، وغريب عن هذه الديار ولا أهل له يعينونه على اداء ما أبرم بينه وبين اليهودى وهو من جنس الذين

لا يرحمون سواهم ، ولكنه ثمن « **الحرية** » والحرية يبذل فيها كل ما يمكن بذله من جهد ومال وأنفس ، ثلاثمائة ـ فسيلة ـ وأربعون أوقية ذهبا ، ثمن كثير ، وأخبر **سلمان** رسول الله صلى الله عليه وسلم بما تم الاتفاق عليه مع اليهودى الجشع ، قال **سلمان : فقال** رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه رضوان الله عنهم أجمعين : **(أَعِينُوا أَخَاكُمْ)** قال سلمان : فأعانونى بالخمس والعشر نخلات صغيرة ، حتى اجتمع عدد الثلاثمائة بفضل هذا التعاون من الصحابة وبفضل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم بمديد المعونة لاخيهم سلمان على فك رقبته وقيده من ذل العبودية ، قال سلمان : فقالى لى الرسول صلى الله عليه وسلم : **(اِذْهَبْ يَا سَلْمَانُ فَفَقِّرْ ـ احفر ـ لَهَا ، وَلَاتَضَعْ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّى أَضَعَهُ أَنَا بِيَدِى)** . فقال سلمان : ففعلت ما أمرنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعاننى أصحابى على الحفر حتى فرغت ، فأتيته ، فكنت آتيه بالنخلة فيضعها ويسوى عليها ترابا ، فانصرف ـ والذى بعثه بالحق ـ فما ماتت منها واحدة ، وبقى الذهب ، فبينما هو قاعد اذ أتاه رجل من أصحابه بمثل بيضة الدجاجة من ذهب أصابه من بعض المعادن ، وقيل من بعض الغزوات فقال : **(اُدْعُ لِى سَلْمَانَ الْمِسْكِينَ الْفَارِسِىَّ الْمُكَاتَبَ ، فَلَمَّا جِئْتُهُ قَالَ : أَدِّ هَذِهِ)** . فقلت : يا رسول الله وأين تقع هذه مما علىّ ، قال : **(خُذْهَا فَإِنَّ اللَّهَ سَيُؤَدِّى بِهَا عَنْكَ)**.

قال سلمان فأخذتها فوزنت لهم منها ـ والذى نفس سلمان بيده ـ أربعين أوقية ، فأوفيتهم حقهم منها .

وبهذا التعاون الاسلامى تم عتق رقبة سلمان الفارسى ، وخرج للدنيا حرا طليقا حرا مثل عباد الله الاحرار ، وكما رأينا ، فقد شارك فى تحرير سلمان ثلة من الصحابة بالتعاون ، وأمامهم امامهم الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم ، فقد بذل لسلمان ما أعانه على الوفاء بما التزم به لمالكه اليهودى ، أعانه بعرق جبينه الشريف ، حيث كان يغرس له بيده الطاهرة كل **(وَدِيَّةً جَبَّارَةً)** فصلحت كلها ، ولم تيبس منها واحدة ، هكذا كان ويكون التعاون بين المسلمين ، لا فرق بينهم فى المعاملة الحسنة ، كلهم يتعاونون على فعل الخير ، وليس هناك مثال ـ وكم له من أمثال ـ أدل على هذا التعاون من مشاركة خير الخلق أجمعين فى عمل شاق فيه تحرير رقبة « عبد » من فارس ، ذلك أن الاسلام يعتبر المسلمين كلهم اخوة ، بلا فرق فى العرق والجنس ، ليت المسلمين رجعوا ألى تشريع شريعتهم ، والغوا ما استوردوه من فضلة قوانين وضعية وضعها الكفرة بالله ، زرعت بينهم الحسد عن التعاون والبغضاء والانانية وحب الذات ، وهذه كلها أمراض تصيب المجتمع فتعوقه وتقتل فيه روح التعاون ، ليتهم يفعلون هذا فيسعدوا وينعموا بحياتهم هذه ، فقد كفاهم ما هم فيه من التفرق والتدابر والتناحر والتخاذل الشنيع ، وهذه الامراض الاجتماعية نتيجة لتلك الامراض ،

ولكنهم ابتعدوا ـ كثيرا ـ عما هم مطالبون به ، والله الموفق للخير والهداية . فعتق سلمان بهذا التعاون ، وخرج من الرق حرا يتمتع بحياته ، كما يتمتع بها الاحرار ، يعبد ربه كما يشاء ويريد ، ويتبع رسول الله كما يحب أن يتبعه من غير أن يمنعه مانع ، ويزوره كما يشاء بلا خوف ولا اختفاء عن أعين الرقباء ، هذه هى الحرية التى دعا اليها الاسلام ، وطبقها فى أيام حكم القرآن ، لا حرية الكفر والفجور والفسوق والعصيان والالحاد ، التى يتبجح ويفتخر بها بعض الحكام الذين ابتليت بهم الشعوب الاسلامية ، فقد قهروا المسلمين بظلمهم وطغيانهم باسم الحرية ، وفتحوا الباب على مصراعيه لمن لا دين له ولا ذمة يرعى حقوقها ، فعاثوا فى الارض فسادا ، وزرعوا فى شعوبهم بذور الشرور والتفرقة والبغضاء بين أبناء الوطن الواحد ، ومنعوا حرية الرأى والقول والتعبير ، فلا يسمح لاحد أن يتكلم أو يكتب أو ينشر على الناس الا ما وافق أغراضهم وأهواءهم وما فيه مصالحهم الخاصة بهم ولو كان فى ذلك هلاك الوطن والامة معا ، فى حين تركوا الملحدين وذوى الاخلاق السيئة يقولون ما يريدون أن يقولوه ، وينشرون على الناس ما ظهر لهم أن ينشروه ، والويل لمن كتب فى الاسلام ، أو تعرض لفضائله وأحكامه ، هذا ما رأيناه منتشرا فى غالب الاوطان الاسلامية ، بالقول وبالفعل ، وهذه احدى النكبات التى أصابت الشعوب الاسلامية بعد تحررها من الاستعمار الكافر بفضل الاسلام

فانقلب بعض حكامهم على الاسلام وصاروا له خصوما ، والبعض منهم تحول ـ بعد فوات الاوان ـ الى مسلم شديد التمسك بالاسلام يدعو اليه ويعترف بفضله عن غيره من أنواع الحكم ، بعد ان وصفه بـ « البالى » وسمى القائمين بالاسلام والداعين اليه والمدافعين عنه بالرجعيين ! ولولا الاسلام لما وصل هؤلاء الى ما وصلوا ! فصار حالنا شبيها بحال من كان يعيش فى القرون الوسطى المظلمة بظلام الجور والذل والقهر ، وقد أغلقوا أبواب مقر حكمهم الحديدية فى وجوه المظلومين ، وبذلك أثبتوا أنهم لا يصلحون للحكم بين الناس ، ونسوا موقفهم يوم القيامة ـ وهو آت لابد منه ـ بين يدى أحكم الحاكمين وسيحاسبهم على أعمالهم وهو اسرع الحاسبين ، وصاروا لا يقبلون النصيحة من اى أحد كان ، واذا ضاعت الحقوق فى الدنيا فانها لا تضيع يوم القيامة ، وتكملة لروح التعاون التى كانت بين المسلمين أقول ، قد روى أبو الطفيل عن سلمان الفارسى قال : أعاننى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيضة من ذهب ، فلو وزنت بأحد ـ الجبل ـ لكانت أثقل منه .

من هو المكاتَب وما هى الكتابة ؟ ؟

الكتابة عقد يبرم ويتم بين السيد المالك وعبده المملوك له ، فهى عقدة بيع وشراء واتفاق بينهما على

مبلغ من المال يدفعه العبد لسيده ، فاذا دفعه له خرج من عنده حرا فلا تكون له سلطة عليه ، وهذا نوع من أنواع العتق ، فالعبد المملوك يشترى رقبته من سيده ومالكه ، ليزيل عن نفسه عناء العبودية وذلها وشقاءها، يمنح السيد عبده فرصة للعمل خارج نطاق ملك سيده ، فيعمل العبد بالاجرة ويأتيه بالقدر الذى يحصله منها ويدفعه له فاذا تم دفع المبلغ المتفق عليه بينهما حرر العبد نفسه بنفسه ، كما فعل سلمان مع مالكه اليهودى ، باشارة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هكذا كان العمل جاريا فى السابق من الزمان أيام كانت العبودية والعبيد ، ومن تتبع التاريخ القديم أدرك مدى الغاية التى يرمى اليها الاسلام فى تشريعه لهذه الاحكام ، التى ترمى الى الحرية والتحرر، سواء كان هذا بالكتابة ، أو بتحرير الرقاب ، كما فى الكفارات ، أو بالعتق لله وفى سبيل الله ، والكتابة المذكورة باب من أبواب الفقه الاسلامى .

وقد رغب القرآن الكريم فى الكتابة هذه وحث المسلمين عليها وطلب من المالكين تسهيلها وتيسيرها على عبيدهم ، اذا علموا فيهم خيرا ، كصلاح فى الاقوال والاعمال ، أو قدرة على كسب المال ، أو ليتفرغوا لشؤونهم الخاصة : كزواج ، وجهاد ، وتعلم حرفة ، الى غير هذا مما يزيد فى قوة المسلمين ، فاذا طلبها العبيد من مالكيهم أعطوها لهم ومكنوهم منها ، كما فعل مالك سلمان — اليهودى — وغيره من السادة

المالكين للعبيد ، وهذا كان شائعا فى العصور القديمة، وقد دعا اليها الله جل جلاله ورغب فيها ، فقال : **« وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ، فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً، وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِى آتَاكُمْ».** سورة النور من الآية 33 .

فالآية فيها ترغيب للمسلمين على منح الكتابة لعبيدهم وتسهيل ذلك عليهم ، بل ما هو أكبر من ذلك، فقد أمر باعانتهم بالمال على ذلك ، سواء كان المال من مال السيد الخاص به ، أو من مال الجماعة الاسلامية كمال الزكاة مثلا ، وهذا حق لهم مقرر من الله وموجود فى مصارف الزكاة الثمانية ، اذ هذه الاعانة على التحرر احدى الاوجه الثمانية ، وهى فى قوله تعالى : « **وَفِى الرِّقَابِ** » فتلخص من هذا أن العبد المملوك يشترى نفسه من سيده بمال يؤديه له حسب الاتفاق الذى يتم بينهما ، ويكون بدفع ذلك المال حرا وسيدا لنفسه ولا سلطة لاحد من الناس عليه ،وهذه هى الكتابة شرعا .

هذا ما أراده الرسول صلى الله عليه وسلم لصاحبه « **سلمان الفارسى** » حين طلب منه أن يكاتب مالكه اليهودى ، وعلى هذا أعانه بالمال — الذهب — وغرس النخيل حتى فك رقبته من سيده اليهودى الذى اشتراه هو بالمال أيضا كما تقدم وهذا باب معتبر من أبواب الخير والاعانة عليه ، كما هو باب من أبواب الفقه الاسلامي ، له شروطه وأحكامه المقررة له .

ونلاحظ هنا : أن الرق ـ والعبودية بالمعنى القديم ـ قد زال من العالم الحاضر ، لانعدام الجهاد الشرعي فقد خلفه رق من أنواع أخرى ، وهو أخطر وأفظع وأشد على النفس البشرية من الرق القديم ، والمعروف أن ذلك هو رق الافكار والعقول والمشاعر ، فقد استولى عليها رق الالحاد الذى نشر سلطانه على ضعفاء العقيدة ووجد الوسائل الكفيلة ببلوغه الى مراده ومنه استرقاق الحكومات القوية ـ كأمريكا وروسيا ـ لبعض الشعوب وحكوماتها الضعيفة فجعلتها تابعة ومسخرة لها تسير فى فلكها لا تملك لنفسها أمرا ، ويضاف الى ذلك نوع آخر كرق حب المال والشهوات ، ومن المعروف أن الرق أو العبودية لا يوجد الا فى أوساط الضعفاء ، فيتسلط عليهم بقوته ، غير أن الضمير الاسلامى لازال يقظا ـ والحمد لله ـ فالالحاد مثله مثل السارق الذى ينتهز فرصة غفلة رب البضاعة أو المتاع ليستحوذ عليها ، ومن سوء طالعه التعيس أن تيقظ له هذا الضمير ، فانتبه لما يريده هذا اللص الخبيث ، فصاح به مستعملا كلمة كنا نسمعها من بعض الصبيان وقت اللعب فى صغرهم مع بعضهم البعض ، أو من بعض الرجال من محترفي ـ السياسة ـ فى أيام مجدهم السياسى وارتفاع صيتهم فى غفلة من الزمان ، فاذا أرادوا الرجوع الى كسب ما فقدوه من مناصب كانوا عبثوا فيها وداسوا بها الكرامة والمبادىء ، صاح بهم أبناء الشعب الذى سخروا منه أولا مرددين هذه الكلمة،

وهى قولهم لهم : **(فاقوا بكم)** . ـ ومعناها انتبه الناس لما تريدون ـ هذا ما يقوله المسلم ـ اليوم ـ لدعاة الالحاد ، والشهوات ، وعبيد المال .

اذن فليعن بعضنا البعض على التحرر من عبودية الشهوات ، وعقائد الزيغ والضلال والالحاد ، اذ عبودية الرقاب قد انتهى زمنها ، وذهب غير مأسوف عليه ، وخلفته عبودية الشهوات ورق المال اللذين صيرا الاحرار عبيدا .

ان سلمان الفارسى قد شارك المسلمين فى حياة النضال والجهاد من أجل العقيدة الصحيحة بعد أن نال حريته بكتابته ، فقد اندمج فى حياة الصحابة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشارك فى كل الغزوات معهم بعد التحرر ، ولم يفته من تلك الغزوات الا غزوتا بَدْر وأُحُدٍ وبعض المناوشات لانه كان عبدا رقيقا مملوكا لسيده والمملوك لا جهاد عليه ، وأول غزوة شارك فيها هى غزوة (الخندق) لانه تحرر من الرق ، ولم يتخلف عن مشهد من المشاهد بعدها . وسميت بغزوة الخندق لان سلمان الفارسى هو الذى أشار على الرسول صلى الله عليه وسلم بحفره اذ العرب كانت لا تعرفه فهو من تنظيمات الدول الحربية .

روايتــه للحديــث :

روى سلمان عدة أحاديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، منها قوله عليه الصلاة والسلام : (**لَا يَغْتَسِلُ الرَّجُلُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طُهْرٍ ، وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِهِ ، أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ ، ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الْإِمَامُ ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى**) . أخرجه الامامان أحمد والبخارى ، وروى عن سلمان رضى الله عنه أنه قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**هَلْ تَدْرِي مَا يَوْمُ الْجُمُعَةِ ؟ قَالَ : قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي جَمَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ أَبَاكُمْ أَوْ أَبَاكَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، مَا مِنْ عَبْدٍ يَتَطَهَّرُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَلَا يَتَكَلَّمُ حَتَّى يَقْضِيَ الْإِمَامُ صَلَاتَهُ إِلَّا كَانَ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا**) .

وقد أحب الرسول صلى الله عليه وسلم صاحبه سلمان ، وشاهد ذلك الحب قوله عليه الصلاة والسلام فيه : (**سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ**) . فهذا وحده كاف فى منزلته عنده ، وروى أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**إِنَّ الْجَنَّةَ لَتَشْتَاقُ إِلَى ثَلَاثَةٍ : عَلِيٍّ ، وَعَمَّارٍ ، وَسَلْمَانَ**) . وفى رواية أربعة بزيادة المقداد ، أخرج الاول الترمذى والحاكم ، وأخرج الثانى الطبرانى ، وأبو نعيم فى الحلية .

وكان سلمان رضى الله عنه من خيار الصحابة وزهادهم وفضلائهم ومن ذوى القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت عائشة رضى الله عنها : كان لسلمان مجلس من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل حتى كان يغلبنا على رسول الله ، وسئل علي رضى الله عنه عن سلمان فقال : (**عَلِمَ الْعِلْمَ الْأَوَّلَ وَالْعِلْمَ الْآخِرَ ، وَهُوَ بَحْرٌ لَا يَنْزِفُ ، وَهُوَ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ**) . وقال الذهبى فى (سير اعلام النبلاء) : سئل على عن سلمان فقال . (**مَنْ لَكُمْ بِمِثْلِ لُقْمَانَ الْحَكِيمِ** ؟ وقال فيه أيضا : **أَدْرَكَ الْعِلْمَ الْأَوَّلَ وَالْعِلْمَ الْآخِرَ ، بَحْرٌ لَا يُدْرَكُ قَعْرُهُ ، وَهُوَ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ**) .

مكانة سامية ، ودرجة عالية فى أسرة الرسول صلى الله عليه وسلم يصل اليها سلمان ، فهو رجل من الفرس غريب عن العرب ، يلحقه الرسول العربى بأسرته وعشيرته (**سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ**) ما ذاك الا لرابطة الدين التى تمحو فوارق العرق والوطن واللون ، وتثبت رابطة العقيدة التى قوت هذه الصلة الروحية التى شرعها الرسول الكريم بنفسه لامته ، وهذا لم يكن فى غير الاسلام الى يومنا هذا ، ولن يكون أبدا والى أبد الآبدين ــ ان شاء الله ــ وهذا من فضل الله على الانسانية كلها ، والحمد لله رب العالمين ، وقد أهملت هذه الرابطة الحكومات الاسلامية ، فى وقتنا الحاضر ، وجعلت مكانها التجنس بجنسية الدولة ، لمن

أراد أن يكون مواطنا فى تلك الدولة المسلمة ، له حق الاقامة والعمل فيها ، سبحان الله ، ما هذا ؟ فقد ألغيت جنسية العقيدة والشريعة الواحدة التى تجمع بين أبناء الملة الواحدة فوطنهم واحد أينما كانوا ووجدوا فوطنهم العقيدة الواحدة ، وعوضت بقوانين من وضع البشر الحقير ، وشتان بين ما شرعه ألله وما شرعه البشر لانفسهم من القوانين ، الوضعية ؛ وهى اخوة العقيدة .

أخوة الاسلام :

ما بين سلمان الفارسى ، وأبى الدرداء العربى :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤاخى بين المهاجرين والانصار ، ومن بين من آخى بينهم سلمان الفارسى وأبو الدرداء العربى كما آخى بين المهاجرين والانصار ، سكن أبو الدرداء الشام ، وسكن سلمان العراق ، فكتب أبو الدرداء من الشام الى أخيه سلمان المستقر بالعراق يقول له : أخى سلمان سلام عليك ، أما بعد فان الله رزقنى بعدك مالا وولدا ونزلت الارض المقدسة ، فكتب اليه سلمان من العراق ، يقول : أخى أبا الدرداء سلام عليكم ، أما بعد فانك كتبت الى ان الله رزقك مالا وولدا ، فاعلم أن الخير ليس بكثرة المال والولد ، ولكن الخير أن يكثر حلمك، وأن ينفعك علمك وكتبت الى تقول : انك نزلت الارض المقدسة ، وأن الارض لا تعمل لأحد ، فاعمل لكأنك ترى ، واعدد نفسك من الموتي .

زهده فى الدنيا :

جاء فى الاخبار أن حذيفة قال لسلمان : ألا نبنى لك بيتا ؟ قال له سلمان : لم ؟ لتجعلنى ملكا وتجعل لى دارا مثل بيتك الذى بالمدائن ؟ قال : لا ، ولكن نبنى لك بيتا من قصب ، ونسقفه بالبردى ، اذا قمت كاد أن يصيب رأسك ، واذا نمت كاد أن يصيب طرفيك ، قال : فكأنك كنت فى نفسى .

وكان عطاء سلمان — وهو ما يأخذه من بيت المال — خمسة آلاف ، فاذا خرج عطاؤه فرقه فى الفقراء والمساكين ، وأكل من كسب يده ، وكان يسف الخوص — أى ينسجه — ليجعل منه المكاتل وغيرها .

وهو الذى أشار على الرسول صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق حول المدينة المنورة حين تحزبت عليه الاحزاب وهم (كفار قريش ، والمنافقون ، واليهود) الذين أتوا لغزو المدينة سنة أربع من الهجرة ، وعمل فيه الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه ، بعد أن عمل باشارة سلمان عليه بحفره ، وقد شارك أصحابه فى العمل ، كما هو مذكور فى محله ، فكان الخندق واقيا للمدينة من زحف الاحزاب عليها ، وبه سلمت من هجوم الاحزاب عليها بقواتهم الوافرة ، وعددهم الضخم اذا قيس بقوة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وهى مكيدة حربية غير معروفة عند العرب فى ذلك الزمان ، فالى سلمان يرجع فضل سلامة المدينة من فساد

اليهود والمنافقين والمشركين ، فلم تقع حرب فيها ، كما قال الله تعالى فى سورة الاحزاب : « **وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ** » حيث رجع الاحزاب على أعقابهم خاسرين وخاسئين ، اذ سلط الله عليهم ريحا قوية وشديدة أسقطت قدورهم من فوق أثافيها المنصوبة عليها ، كما اقتلعت وأسقطت عليهم قوائم خيامهم التى كانت تحملها ، وألقت الرمال والاتربة عليهم ، وقد أفزعهم ما رأوه واقعا ونازلا بهم فى لحظة قليلة ، فأسرعوا بالعودة من حيث أتوا هاربين فارين ، وهذا من نصر الله لرسوله صلى الله عليه وسلم الداعى الى الله وحده، فلا حرب فيها ولا قتال ، وكان اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم لما أشار به سلمان عليه بحفر الخندق نجاحا له لم يكن متوقعا على الاحزاب وانتصارا باهرا لرسوله الكريم ، فقد جاؤوا بنية الغزو والفساد للبلاد والعباد فكانت الخيبة والهزيمة من نصيبهم الذى غنموه وعادوا به الى ديارهم ، وهذا من صنع الله ، لحماية دينه ووقاية رسوله من شر الغزاة المفسدين ، ولما عمل رسول الله باشارة سلمان (فى حفر الخندق) ولما رآى فيها من أنها وسيلة من وسائل الحماية والوقاية للمسلمين ، ادعى كل من الانصار والمهاجرين نسبة سلمان اليهم، فقال المهاجرون : سلمان منا ، وقال الانصار : سلمان منا ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « **سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ ٱلْبَيْتِ** » . أخرجه الحاكم والطبرانى عن عمرو ابن عوف .

رواة الحديث عنه :

روى عنه الحديث كثير من الصحابة ، منهم عبد الله ابن عباس ، وأنس ، وعقبة بن عامر ، وأبو سعيد ، وغيرهم رضى الله عنهم أجمعين ، عن سلمان قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(يَا سَلْمَانُ لَا تُبْغِضْنِى فَتُفَارِقَ دِينَكَ ، قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ ٱللَّهِ وَكَيْفَ أُبْغِضُكَ وَبِكَ هَدَانَا ٱللَّهُ ؟ قَالَ: تُبْغِضُ ٱلْعَرَبَ فَتُبْغِضُنِى)** . أخرجه الامام أحمد ، والترمذى ، والحاكم عن سلمان. **فالى بعض الجهال ممن يدعون الاسلام نسوق هذا الحديث .**

ثناء الرسول صلى الله عليه وسلم عليه : -

فضل الله البعض من عباده على غيرهم بفضائل ، ظهرت فى أعمالهم وسلوكهم ، ومما سلف علمنا فضل سلمان الفارسى ، الذى دفعه حبه للدين الصحيح والعقيدة السليمة وبحثه عن الحق الى المخاطرة بحياته، والى المغامرات التى خاضها من أجل البلوغ الى غايته التى قطع فى سبيلها الفيافى والقفار ، ولم يشأ أن ينعم بنعيم الحياة الدنيا مع أبيه الذى كان يحبه حبا عظيما وبين أهله وعشيرته التى كانت تجله وتقدره لما يقوم به من أعمال دين قومه وعقيدتهم ونارهم المعبودة ، من دون الله رب العالمين ، وهذا توفيق من الله لهذا الرجل الصالح .

وتلك الغاية التى هام بها ومن أجلها ، هى الوصول الى الشرب من معين الدين الحق الذى دله عليه الراهب النصرانى المسيحى ، الذى لازمه مدة لاخذ الدين عنه ، فاستجاب سلمان لنداء ضميره وما تصبو نفسه اليه ، لذا ـ وحده ـ فارق أسرته التى نشأ بين أحضانها ، وترك ذلك العطف والمحبة والحنان الذى كان يحبوه به أبوه ، كما أخبر به هو نفسه ، فارق ذلك كله بحثا عن الحقيقة ، وقد ساقه الله الى قوم فيهم المحسن والمسىء ، حتى بيع على أنه عبد مملوك ، والواقع أنه حر ، الى أن بلغ مراده ، واستقر فى ـ يثرب ـ مدينة الرسول قبل أن يهاجر اليها ، فسبقه سلمان ، وهذا من علامات السعادة التى أنعم الخالق بها على هذا المسلم والمؤمن الصادق الذى تعلق قلبه بالرسول صلى الله عليه وسلم حسبما وصفه له آخر من صحبه من رهبان النصارى ، وعاش صحبة الرسول الكريم ، وقد أحبه وقربه اليه وحباه من فضله وبره ، وقديما قيل : (**لَا يَعْرِفُ ٱلْفَضْلَ إِلَّا ذَوُوهُ**) وقيل أيضا فى القديم :

فَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا ٱلنَّوَى
كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْإِيَابِ ٱلْمُسَافِرُ

ومما جاء فى الثناء عليه ما أخرجه الامام الترمذى فى جامعه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يوما : « **وَإِنْ تَتَوَلَّوْا**

يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ » . سورة محمد صلى الله عليه وسلم ، الآية 38 ، قالوا : ومن يستبدل بنا ؟ قال فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على منكب سلمان ، ثم قال : (**هَذَا وَقَوْمُهُ**) . قال الامام الترمذى بعد أن ساق هذا الحديث : هذا حديث غريب، وفى اسناده مقال ، وفى رواية فضرب على فخذ سلمان وقال : (**هَذَا وَأَصْحَابُهُ**) .

وجاء فى صحيح الامام البخارى من كتاب التفسير عند الكلام على سورة الجمعة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كنا جلوسا عند النبى صلى الله عليه وسلم فأنزلت عليه سورة الجمعة ، وفيها قوله تعالى : « **وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ** ». قال قلت من هم ؟ يا رسول الله ، فلم يراجعه حتى قالها ثلاثا ، وفينا سلمان الفارسى ، فوضع يده على سلمان ثم قال : (**لَوْ كَانَ ٱلْإِيمَانُ عِنْدَ ٱلثُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ أَوْ رَجُلٌ مِنْ هَؤُلَاءِ**) . وجاء فى صحيح الامام مسلم ـ ج 16 بشرح النووى ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (**لَوْ كَانَ ٱلدِّينُ عِنْدَ ٱلثُّرَيَّا لَذَهَبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ فَارِسَ ، أَوْ قَالَ : مِنْ أَبْنَاءِ فَارِس حَتَّى يَتَنَاوَلَهُ**) . ومن طريق أخرى (كما تقدم عن الترمذى فى جامعه) . عند مسلم أيضا وفى نفس الجزء عن أبى هريرة أيضا قال : كنا جلوسا عند النبى صلى

الله عليه وسلم ، اذ نزلت عليه سورة الجمعة ، فلما قرأ : « **وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ** » . قال رجل : من هؤلاء يا رسول الله ؟ فلم يراجعه النبى صلى الله عليه وسلم حتى سأل مرتين أو ثلاثا ، قال وفينا سلمان الفارسى ، قال فوضع النبى صلى الله عليه وسلم يده على سلمان ثم قال : (**لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ هَـؤُلَاءِ**) .

بينت هذه الاحاديث الشريفة فضل سلمان الفارسى وفضل الشعب الذى ينتسب اليه ، انه شعب يحب الدين والايمان ، ويكثر من البحث والاستقصاء للحقائـق ، ولا يكتفى بالقشور الفارغة دون اللب العامر بالفوائد والخيرات .

قد عرفنا السبيل الذى سلكه سلمان الفارسى ، وهو سبيل شاق وطويل ، للوصول الى حقيقة الدين الصحيح ، والمصاعب التى كابدها واعترضت سبيله فى رحلتـه الطويلة ، فقد تنقل فى حياته الدينية بين المجوسيـة — دين أبائه — والمسيحية التى فضلها أولا على المجوسية ، والتى عاشها سنوات بحثه عن الدين الحق ، وتنقل من أجلها فيما بين الشام والعراق ، الى أن وصل الى الغاية من تلك الرحلة الشاقة والطويلة فى الزمان والمكان ، وليس هذا بالامر السهل على كل أحد ، لو لم يكن لـه الصدق فى الطلب ، والعزم فى السعى ، والهمة العالية ،

والرغبة الصادقة ، لما بلغ مـــراده ، رضى الله عنه ، ورزقنا همة كهمته وعزما كعزمه ، وايمانا مثل ايمانه ، انه السميع المجيب ، ولله در من قال (وهو على بن أحمد النعيمى) فى القديم من الزمان :

إِذَا أَظْمَأَتْكَ أَكُفُّ اللِّئَامِ ... كَفَتْكَ الْقَنَاعَةُ شِبْعًا وَرِيًّا
فَكُنْ رَجُلاً رِجْلُهُ فِي الثَّرَى ... وَهَامَةُ هِمَّتِـهِ فِي الثُّرَيَّا
فَإِنَّ إِرَاقَةَ مَاءِ الْحَيَـا ... ةِ دُونَ إِرَاقَةِ مَاءِ الْمُحَيَّا

فقد حفظ التاريخ لبعض الرجال من الشعب الفارسى خصائص قل أن وجدت فى غيرهم ، من قديم الزمان ، سواء فى ميدان العلوم أو الحضارة ، وهو الشعب الذى لا يقل عن بقية الشعوب الاسلامية تمسكا بدينه وعقيدته بل ربما فاق البعض منها فى بعض المواقف ، وألاحظ هنا : (بأننى عربى مسلم ، ولست شعوبيا ، فلا يظنن ظان غير هذا فيهلك مع الهالكين) . وفى هذا التاريخ المحفوظ أسماء لامعة لبعض العلماء العظماء ، سواء فى اللغة العربية ، أو فى التفسير وعلوم القرآن ، أو فى علوم الحديث ، أو فى العلوم العقلية ، وقد شاركـوا بمجهوداتهم الفكرية فى الثقافة الاسلامية ، فلا ينكر فضلهم الا الحسود والجهول ، ومن هنا تظهر خصائص الدين الاسلامى الحنيف ، البعيد عن سوس السياسة المتحيزة ووسواسها الخنـــاس وشيطانها المريـد ، اذ لا طائفية ولا عنصرية فى الاسلام ، فكل المسلمين اخوة ، أبناء دين واحد وعقيدة واحدة ، ولا عبرة فيه لتباين

لغاتهم ولهجاتهم ، وهذه هى الاخوة الاسلامية التى تقاوم نزعات شياطين الانس والجن ، فتدفعها بعيدا عن الساحة الاسلامية الطاهرة حتى لا تفسدها ، فيجب على المسلمين الصادقين أن يرعوا هذه الاخوة ـ دائما ـ وليحذروا تسرب تلك النزغات والنزعات الشيطانية الى صفوف البعض ممن يدعون الاسلام ، فانها تفسد ما بين الاخوة ، وتفرق الجماعة المجتمعة ، وتوهن القوى ، ومن أجل هذه الآثار السيئة التى تتركها تلك العصبية الجاهلية فى الجماعة الاسلامية حاربها الاسلام ونبيه كما هو معلوم لمن درسه بتجرد عنها ، من ذلك ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم (فى غزوة المريسيع) عند ما سمع الانصارى يستنجد بالانصار ، والمهاجر يستغيث بالمهاجرين قال : **(مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ ؟ دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ)** ، فالاستنصار بالعصبية القبلية والطائفية خبيثة العنصر والمادة ، تؤول بالجماعة الواحدة الى الفرقة والعداوة ، فرائحتها خبيثة ، وما تتركه فى الامة شر كبير ، لا يميل اليها ، ولا يرضى بها الا الاشرار والمفسدون ، الذين سيؤول أمرهم الى تفريق الجماعة ، اذا عملوا بها واستجابوا لشيطانها ، لانها من دعوى الجاهلية التى نهى عنها المسلمون بعد أن دخلوا فى الاسلام ، وقد وجد فيها أعداء الاسلام وسيلة فعالة لتفريق الامة الاسلامية بطوائفها المتعددة ، فالمغرور والجاهل بالعواقب من استجاب لهم وعمل بقولهم ، ذلك أن عواقبها تؤدى الى الفرقة والتشتت ، ثم الى الضعف

والوهن ـ وهذا ما يريده اعداء الاسلام ـ كما جاء فى حديث « الحارث الاشعرى » رضى الله عنه الذى أخرجه الامام أحمد فى مسنده والترمذى فى جامعه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : **(إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّاءَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ إِلَى آخِرِ مَا جَاءَ فِى نِصْفِهِ الْأَوَّلِ ، وَجَاءَ فِى نِصْفِهِ الْآخِرِ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللَّهُ أَمَرَنِى بِهِنَّ : السَّمْعِ ، وَالطَّاعَةِ ، وَالْجِهَادِ ، وَالْهِجْرَةِ ، وَالْجَمَاعَةِ ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ ، فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ ، وَمَنِ ادَّعَى دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُثَا جَهَنَّمَ ، فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ : وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ ؟ قَالَ : وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ ـ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ ـ فَادْعُوا بِدَعْوَى اللَّهِ الَّذِى سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ ، عِبَادَ اللَّهِ)**. (صحيح الترمذى ج ١٠) ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح غريب .

وذكر الامام ابن قيم الجوزية فى كتابه « الوابل الصيب » بعد أن ساق الحديث بطوله قال : فذكر صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث العظيم الشأن ـ الذى ينبغى لكل مسلم حفظه وتعقله ـ ما ينجى من الشيطان وما يحصل للعبد به الفوز والنجاة فى دنياه وأخراه) انتهى كلام ابن القيم .

ان الهدف الذى يرمى اليه الاسلام ويدعو المسلمين اليه ـ وهو المعتبر فى حياة الافراد والجماعات ـ انما هو العقيدة ، والتدين والصلاح والاستقامة ، ونقاوة السريرة ، من غير نظر واعتبار الى النسب علا وارتفع ،

أو نزل وتدلى ، ومن هذا المنطلق والاعتبار ما ذكره الامام الذهبى فى (سير أعلام النبلاء) عن معمر عن قتادة قال : كان بين سعد بن أبى وقاص ، وبين سلمان شىء ، فقال له سعد ، انتسب يا سلمان (يريد اذكر نسبك) ـ وفى طلب سعد هذا لمزة ـ فقال سلمان : ما أعرف لى أبا فى الاسلام ، ولكن (سلمان ابن الاسلام) فلله در سلمان فى هذا الجواب ، فقد قال المسلم القديم قبله مفتخرا بأسلامه ، تاركا لمن يفخر بالعظام البالية النخرة والى من يجرى وراءها فى ميدانهم ما أرادوه :

أَبِى ٱلْإِسْلَامُ لَا أَبَ لِي سِوَاهُ * إِذَا ٱفْتَخَرُوا بِقَيْسٍ أَوْ تَمِيمِ

فبلغ ما قاله سعد لاخيه سلمان الى أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب ، فلقى عمر سعدا ذات يوم ، فقال له عمر : انتسب يا سعد ، فقال سعد لعمر : أنشدك بالله يا أمير المؤمنين (قال وكأنه عرف ما أراده عمر من انتسابه) فأبى عمر أن يدعه ، حتى انتسب ، ثم قال له عمر : لقد علمت قريش أن الخطاب كان أعزهم فى الجاهلية ، وأنا عمر ابن الاسلام ، أخو سلمان ابن الاسلام ، ثم قال له عمر : أما والله لولا شىء لعاقبتك .

فما أعدل الاسلام وما أطيبه ، وما أعدل عمر فى حرصه على سلامة الاسلام واطمئنان الغرباء عن العرق العربى الى نسبتهم اليه فلا عيب عليهم ، ولا حيف ولا ظلم يلحقهم اذا كانوا خارجين عن النسب العربى ، فهم والعرب سواء

فى النسبة اليه ، لان الاسلام دين الله الى كل البشر ، لا الى العرب وحدهم ، وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم بعثه الله الى الناس كافة بشيرا ونذيرا ، فلا يفتخروا بهما ـ الاسلام ومحمد ـ عن غيرهم ، فهما لمن اتبعهما وعمل بما جاءا به ، وقد غرس عمر حب الاسلام فى القلوب الحية ، ثم أوضح لسعد ما يفيده بأن الافتخار بالاجداد المشركين لا يكسب المسلم العز والفخر ، بل الهوان والمذلة ، ثم قال له : أوما علمت أن رجلا انتمى الى تسعة آباء فى الجاهلية فكان عاشرهم فى النار ؟ .

فعمر رضى الله عنه يشير بقوله هذا الى الحديث الذى أخرجه الامام أحمد فى مسنده ـ وانفرد به ـ عن أبى ريحانة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **(مَنِ ٱنْتَسَبَ إِلَى تِسْعَةِ آبَاءٍ كُفَّارٍ يُرِيدُ بِهِمْ عِزًّا وَكَرَمًا فَهُوَ عَاشِرُهُمْ فِى ٱلنَّارِ » . أَوْ كَانَ ـ عَاشِرَهُمْ فِى ٱلنَّارِ ـ** كما جاء فى بعض طرق الحديث .

بهذه الروح الاسلامية النقية التى لا تحب الفخر بالآباء المشركين، ظهرت الاخوة الاسلامية بأجلى مظاهرها ولا ترضى بذلك الانتساب المشين ، والافتخار المهين ـ أن يتسرب ويتغلغل فى صفوف أبناء الدين الواحد ، والامة الواحدة ، اذ ما يرمى اليه عمر هو ما دعا اليه الاسلام ، وحث عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأمير المؤمنين عمر أراد للمسلمين أن يتحلوا بحلية الاخوة الاسلامية البعيدة عن الفخر والاعجاب بالانساب

الجاهلية ، فهم اخوة فى الاسلام متساوون فى كل شىء ، لا فرق بين عربى وعجمى الا بقدر طاعة الله ، والعمل بالاسلام وللاسلام ، ومن غير اللائق بهم أن يتطاول منهم أحد على أخيه ، بنسبه أو بعرقه ، لان هذا من شـأن الجاهلية المشركة الاولى ومن أعمالها ، فهو موقف صلب هذا الذى وقفه عمر مع قائد من قواد المسلمين ـ وهو من الصحابة أيضا ـ المشهورين بالشدة فى الحروب ، **(سعد بن أبى وقاص)** . من غير أن يجامله ـ كما نفعل نحن ـ على حساب الدين والمبادىء ، أو بغض الطرف عنه لانه من حزبه ، أو كان تحت امرته وقيادته ، فما أحسنك يا تربية الاسلام .

فسعد بن أبى وقاص أراد أن يفتخر بنسبه العربى الجاهلى على سلمان الفارسى ، فرده عمر الى الصواب ، والى ما يجب أن يكون عليه مع رجل هو أخوه فى الدين والعقيدة جاء من وطن بعيد فى رحلة طويلة وشاقة ، استغرقت مدة من الزمن وقطع فيها آلاف الاميال يطلب الهداية والنور والحقيقة ، فلا يليق بصاحب الاخلاق الاسلامية أن يهينه أو يحتقره ، وهو الذى كان أبناء شعبه الفرس يحترمونه لانه كان سادن معبودهم ـ النار ـ وخادمها القائم عليها حتى لا تخبو ولا تطفأ قال فيه الذهبى فى (سير أعلام النبلاء) وكان لبيبا حازما ، من عقلاء الرجال وعبادهم ونبلائهم ، وقد رأينا كلمة عمر فى تركه للافتخار بأصله الجاهلى ، وافتخر بالاسلام

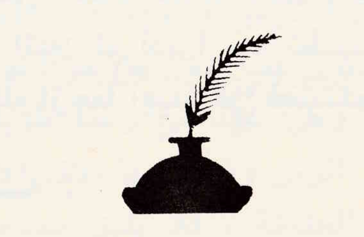
تطمينا لخاطر سلمان وردا على ما طلبه سعد من سلمان ، وتلك هى الحقيقة التى جنح اليها عمر ، فقال عمر : **(وأنا عمر ابن الاسلام)**

وللعلاقة الاخوية التى كانت بين سلمان وأبى الدرداء رضى الله عنهما ، وهى الاخوة التى جعلها بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم ، ذكر أهل السير عن يحيى بن بن سعيد أن أبا الدرداء نزل فى الشام ـ كما تقدم ذكره ـ وكتب الى سلمان النازل بالكوفة ـ كما مر ـ يقول له : أن هَلُمَّ الى الارض المقدسة ، فكتب اليه سلمان : ان الارض لا تقدس أحدا ، وانما يقدس المرء عمله ، وقد بلغنى أنك جعلت طبيبا ـ يشير سلمان الى منصب القضاء الذى كان يشغله أبو الدرداء بين الناس ـ فان كنت تبرىء فنعما لك ، وان كنت متطببا ـ دعيا ـ فاحذر أن تقتل انسانا فتدخل النار ، فكان أبو الدرداء اذا حكم بين اثنين ثم أدبرا عنه نظر اليهما وقال : **(مُتَطَبِّبٌ وَاللَّهِ ارْجِعَا أَعِيدَا عَلَيَّ قَضِيَّتَكُمَا)** أو قصتكما.

وفاته :

قال أهل العلم : عاش سلمان ثلاثمائة وخمسين سنة، وقيل مائتين وخمسين سنة على خلاف فى مدة حياته وقال أبو نعيم : كان سلمان من المعمرين . وتوفى سلمان رحمه الله ورضى عنه سنة خمس وثلاثين للهجرة ، فى آخر خلافة عثمان رضى الله عنه ، وقيل أول سنة ست

وثلاثين ، وقيل غير هذين ، وقال الواقدى : مات سلمان فى خلافة عثمان بالمدائن ، سنة ثلاث وثلاثين ، وقيل ست وثلاثين ، ولم يحضر وقعتى الْجَمَلِ وَصِفِّينَ ، رحمه الله ورضى عنه ، ورزقنا حبه والقدوة الحسنة لسلفنا الصالح ، أنصار العقيدة الاسلامية ، وعمدة الدين .



كلمة ختامية ـ فيها عبرة وذكرى لكل عبد منيب :

بأمثال هؤلاء المؤمنين المستضعفين الصابرين على البلاء والعذاب ظهر الحق وزهق الباطل ، وانتصر العدل على الجور والطغيان ، واندحر الظلم والباطل والفساد ، فاستنارت البصائر المظلمة ، وأشرقت على عالم الانسان شمس اليقين ، وفى هذا السعادة كل السعادة ، والطمأنينة كل الطمأنينة ، فبعثت أرواح بنى آدم بعثا جديدا ، فحلت فى أجسامها بعد أن سكنتها أرواح مردة شياطين الوثنية ، وطهرت من خبث الطوية .

وبمثل هؤلاء الاخيار الطيبين أمكن رفع لواء التوحيد عاليا وخفاقا ، وجد السير به سيرا حثيثا ومتواصلا أشواطا تتبعها أشواط ، الى أن أشرقت شمس المسيرة الاسلامية على أحياء الاحرار ، ومحبى معاشرة الاحرار الاخيار فأنارتها بنور اليقين بعد ظلام دامس فى أيام الشرك ولياليه ، تلك التى امتدت عبر أزمان غابرة ، قطعتها الانسانية فى جهالة جهلاء ، فلما حان موعد الحياة الحقيقية الصالحة بالانسان ، قال الله الخالق المدبر الحكيم لرسوله محمد العظيم : « **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ**

بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا » (1) . وقال له : « لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ » (2) . وقال له : « وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ » (3) . وقال له : « لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ » (4) .

فبمثل هذه النفوس الخيرة التى كونها وصانها الاسلام ، والتى مر بنا شىء يسير من مواقفها الصلبة ، فى صف الحق واليقين ، ضد الباطل والفساد ، تحول اتجاه الانسانية ، وبمثلهم تطهرت الارض من رجس الوثنية ، وأقذار الباطل والضلال ، لا بأولئك المتكبرين والمذبذبين الخوارين ضعاف الايمان ، أصحاب الوجوه المتلونة كـ ـ الحرباء ـ التى تعطى للشمس لونا ، وللظل لونا آخر غير لون الشمس .

أولئك المذبذبون الذين مرجت نفوسهم ، وضعفت عقائدهم ، فتراهم واقفين تارة الى جانب الحق ساعة ظهوره وقوته ، وتارة أخرى تنقلهم الريح ـ اذا هبت ـ الى جانب الباطل ، حين يقوى ـ مؤقتا ـ فيكونون لسانه وسمعه وبصره ، اذا لزم الامر ولاحت المصلحة الذاتية من بعيد ، فطائفة من البشر مثل هؤلاء ، لا تحسب لا فى

---

(1) سورة البقرة ، آية 119 .
(2) سورة يس ، آية 6 .
(3) سورة القصص ، آية 46 .
(4) سورة السجدة ، آية 3 .

العير ولا فى النفير ، فوجودهم وعدمهم سواء ، فلا يوثق بهم ولا يعتمد عليهم ، أما أصل العقيدة وما تتطلبه من الوقوف الى جانبها اذا حاربها خصومها ، وما يقتضيه ذلك الموقف فهذا شىء آخر بحسب الظروف والملابسات، فهم مع الحق فى زمن ظهوره ، ومع الباطل فى ساعة عتوه وجبروته ، والفضل يرجع ـ دائما ـ لاهل الصدق والوفاء ، فهم أنصار الديـــن المتمسكون بعقيدتهم الاسلامية .

ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم كان لا يميل الى الجبابرة والطغاة الذين يفسدون فى الارض ولا يصلحون بل كان يحب الفقراء ويميل اليهم ، فهم فى الغالب يصبرون على ما ينالهم ، ولا يخافون على أموالهم أن تضيع أو تنقص ، ولا على مناصبهم أن تنزع منهم ، بل كان يجالسهم ويعطف عليهم ، وقد ضرب المثل الاعلى فى هذا وكان يقول : (اَللَّهُمَّ أَحْيِنِى مِسْكِينًا وَتَوَفَّنِى مِسْكِينًا وَاحْشُرْنِى فِى زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ) .

أما الطغاة والجبابرة الذين يأنسون من أنفسهم نوعا ـ ما ـ من القوة ، فانهم يترفعون ـ جهلا وغرورا ـ عن اخوانهم الضعفاء ، فكم وكم من نصيحة قدمها ، وكم من توجيه وجههم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقائد المسلمين فلم يعبأوا به ، فأصابهم ما يصيب المعرضين عن نصائح الرسل الكرام ، ففكر قليلا ـ أيها المسلم ـ فى قوله عليه الصلاة والسلام ، فيما أخرجه

البخارى عنه صلى الله عليه وسلم حين قال : (**وَهَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلاَّ بِضُعَفَائِكُمْ**) . والضعفاء اذا دعوا الله لينصر المسلمين استجاب لهم ـ اذا أخلصوا ـ واذا استرزقوه رزقهم ، ولا كذلك المتكبرون والمتجبرون فانهم لا يتواضعون لله ، ولهم أعمال تخالف وصايا الشرائع السماوية ، وهذا شأن الكثير منهم ، وقليل فيهم الصلاح والتقوى .

والرسول محمد صلى الله عليه وسلم وجهه ربه هذا التوجيه ، وأدبه هذا التأديب البعيد عن تأديب الخلق ليكون مثالا صالحا للاخذ عنه والاقتداء به ، وخسر حياته من لم يأخذ حظه من أخلاقه وسجاياه الحميدة ، ومع هذا التوجيه والتأديب فقد حاول جبابرة قريش أن يخرجوه من صف المساكين ساعة من الزمن ليخلو بهم وحدهم دون مشاركة الضعفاء لهم ، غير أن الله عصمه وحفظه مما أرادوه منه ، وأمره بمجالسة الفقراء ، ومن أراد من الاغنياء أن يجالس الرسول مع الفقراء فله ما أراد بلا تخصيص ولا امتياز ، اذ ليس فى الاسلام تفضيل طبقة من الناس على طبقة أخرى الا بتقوى الله كما قال : « **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ** » ، فشريعة الاسلام شريعة العدالة والمساواة ، وبهذا تمتاز عن غيرها من الشرائع .

جاء فى سنن ابن ماجه عن خباب بن الارت فى سبب نزول قوله تعالى : « **وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ**

وَالْعَشِيِّ ، يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ، مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ، وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ ، فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ » ، سورة الانعام ، الآية 52 . قال : جاء بعض كفار قريش (منهم الاقرع بن حابس التميمى ، وعيينة ابن حصن الفزارى ، قبل أن يسلما) الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يريدون الجلوس معه ، فلما رأوه جالسا مع الفقراء الضعفاء ، أمثال خباب بن الارت ، وبلال ، وعمار بن ياسر ، وصهيب الرومى ، وسلمان الفارسى ، الخ . نفروا منهم ، ولم يرغبوا فى الجلوس اليه فى مجلس واحد مع هؤلاء الضعفاء ، واحتقروهم لضعفهم وفقرهم ، فأتوه واختلوا به وقالوا له : نحن نريد أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا ، فان وفود العرب تأتيك فنستحى أن ترانا العرب مع هؤلاء الاعبد ، فاذا جئناك فأقمهم عنك ، فاذا نحن فرغنا فاقعد معهم ان شئت ، قال : نعم ، قالوا : فاكتب لنا عليك كتابا ، قال فدعا بصحيفة ودعا عليا ليكتب ، ونحن قعود فى ناحية ، فنزل جبريل من قبل رب العالمين، على رسوله الامين ، بهذه الآية : « **وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ، مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ ، فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ** » . فكف وترك ما عزم على كتبه اجابة لرغبة عظماء قريش ، يا لها من تربية ربانية لرسوله الحبيب اليه ، فنسبه ربه الى الظلم ان هو أبعد الفقراء عن مجالسته لحظة من الزمن ليتفرغ فيها

الى عظماء المشركين المتجبرين ، الذين يأنفون من مجالسة الفقراء ، ثم أشار الى ما رغب فيه الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن (قبل أن يسلما) فقال الله بعد تلك الآية : « **وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ، لِيَقُولُوا : أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِنْ بَيْنِنَا ؟ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ؟** »
ثم قال تعالى في هذا السياق التربوى الاسلامى : « **وَإِذَا جَاءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ** » ، سورة الانعام ، الآيتان : 53 — 54.
وبعد هذه التربية الربانية لرسوله الكريم الحريص على نشر الاسلام قال خباب بن الارت : فدنونا منه حتى وضعنا ركبنا على ركبته ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس معنا، فاذا أراد أن يقوم قام وتركنا ، فلما أنزل الله عليه الآية 28 من سورة الكهف وهى قوله تعالى : « **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا (أي لا تجالس الاشراف الكفرة) ثم قال : وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا — عيينة والاقرع — وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا** » أى هلاكا ، قال خباب : فكنا نقعد مع النبى صلى الله عليه وسلم ، فاذا بلغنا الساعة التى يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم .

هذه حياته صلى الله عليه وسلم فى مكة المكرمة قبل الهجرة ، أما بعدها فقد تحول الحال وتبدلت العلاقات، وأسلم الاقرع بن حابس ، وعيينة بن حصن ، وصار

الاشراف والفقراء والاغنياء طبقة واحدة ، بفضل الروح الاسلامية التى بثت فيهم الحب لبعضهم والاخوة فيما بينهم ، وسارت فى نفوسهم تقضى على كل فوارق الجاهلية .

فقضية التمييز بين الناس بحسب مراتبهم ، أو طبقات الاشراف والاراذل قضية قديمة بقدم الانسان، لكن الاسلام أبطل التعامل على حسب تلك الفوارق المجحفة ، التى جعلها الانسان لنفسه وليعلو بها على أخيه وأثبت — الاسلام — أن الفرق بينهما يكون بما لا اجحاف فيه ، فهو يرى أن عمل الانسان هو الذى يرفعه أو يضعه والى هذا يشير القرآن حيث قال : « **وَقُلِ ٱعْمَلُوا فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ** » وقال : « **وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ** » . ان الاسلام ينظر الى النفوس والاعمال لا الى الذوات والانساب ، فان أشراف الناس هم أشراف النفوس والهمم ، ولو كانوا فقراء ، وأن أراذل الناس وأنزلهم قيمة هم أراذل النفوس والهمم ، ولو كانوا أغنياء بنسبهم وأموالهم ، ولم يخل زمان ولا مكان منهما ، فالاشراف لا يظلمون الناس لشرفهم ، فهم سراة القوم وأعيانهم ، لهذا كانوا يختارون للحكم بين الناس وللمناصب العالية ، فالامة التى تختار من بين أفرادها النخبة الصالحة من أبنائها للسياسة والرئاسة تسعد وتنال ما تتمنى من الحياة العزيزة الكريمة ، وكذلك الحكومة المختارة من بين أفراد الامة الذين جمعوا بين النفس الشريفة والخلق الكريم ، فانها تشرف

وطنها وتعلى رأسه بين الاوطان ، والعكس بالعكس ، أما أراذل النفوس فانهم يُبَعَّدُونَ عن الحكم والسياسة والرئاسة ، لما فى نفوسهم من النقص والخسة والرذيلة ، وهذا مجرب صحيح كما يقول أهل الطب ، وقديما قال الشاعر العربى :

لَا يَصْلُحُ ٱلنَّاسُ فَوْضَى لاَ سَرَاةَ لَهُمْ
وَلَا سَرَاةَ إِذَا جُهَّالُهُمْ سَادُوا

وقال آخر :

اذا كان الغراب دليل قوم * يمر بهم على جيف الكلاب

وللمناصب والولايات فى الشريعة الاسلامية موازين ومقاييس ، وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته العاملة بشرع الله أن ترعاها وتطبقها اذا أرادت الخير والمنفعة للدين والوطن ، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : (**مَنِ ٱسْتَعْمَلَ رَجُلاً مِنْ عِصَابَةٍ ، وَفِيهِمْ مَنْ هُوَ أَرْضَى لِلَّهِ مِنْهُ ، فَقَدْ خَانَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَٱلْمُؤْمِنِينَ**) . أخرجه الامام أحمد والحاكم ، وقال عليه الصلاة والسلام : (**مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ ٱلْمُسْلِمِينَ شَيْئاً فَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أَحَدًا مُحَابَاةً ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ ٱللَّهِ ، لاَ يَقْبَلُ ٱللَّهُ مِنْهُ صَرْفاً وَلَا عَدْلاً**) . واختلف فى معنى الصرف والعدل ، فقيل : الصرف التطوع ، والعدل الفرض ، وقيل الصرف التوبة ، والعدل الفدية ، وقيل غير هذا ، وعلى كل حال فهو تهديد لمن لا يعدل فى ولايته أو توليته لموظفى مصالح المسلمين ، وقال أيضا عليه الصلاة والسلام :

(**إِذَا أَرَادَ ٱللَّهُ بِالْأَمِيرِ خَيْراً جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ ، وَإِذَا أَرَادَ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ إِنْ نَسِيَ لَمْ يُذَكِّرْهُ وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعِنْهُ**) . أخرجه أبو داود والبيهقى فى شعب الايمان عن عائشة رضى الله عنها . ولما أهمل هذا الاعتبار الاسلامى فى اختيار الموظفين للمناصب ساء الحال ، وتدهورت الاوضاع و « **ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ** » .

نعود الى موضوعنا السابق فى حق أولئك الضعفاء من الصحابة ، وهم : صهيب ، وخباب ، وبلال ، وعمار ، وسلمان وفضائلهم ، كثيرة ، وغيرهم من الصحابة أيضا ، وقد عاتب الله نبيه فيهم في آيات من القرآن كقوله : « **وَأَنْذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ ، لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ** » . الى قوله تعالى : « **وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ** » . الآيات من 51 الى 58 من سورة الانعام ، وقد سبق بعضها .

وذكر ابن عبد البر فى كتابه « الاستيعاب » فى ترجمة صهيب قال : ان أبا سفيان مر على : سلمان ، وصهيب ، وبلال ، وغيرهم من ضعفاء الصحابة ـ وكانوا قعودا ـ فقالوا ما أخذت السيوف من عنق عدو الله ـ كان هذا قبل أن يسلم ـ مأخذها ، فقال لهم أبو بكر أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدها ؟ ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم وأخبره بالذى قالوا ، فقال له النبى

صلى الله عليه وسلم : (**يَا أَبَا بَكْرٍ لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ ؟ وَالذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ ، لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ**) . فرجع اليهم أبو بكر فقال لهم : يا اخوتى لعلى أغضبتكم ؟ فقالوا له : يا أبا بكر يغفر الله لك .

وبالجملة ففضائل الصحابة كثيرة ، فلهم فضل السبق الى اجابة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبذلوا دماءهم وأموالهم فى سبيل الله ، وفى محاربة الباطل الذى تجسم فى الشرك والالحاد ، فى حين أعرض عنه وعنها ذوو القوة والبطش من صناديد قريش وأعيانها، وهذه حقيقة قديمة ، فالضعفاء هم أنصار الرسل والدين فى كل زمان ومكان ، والقرآن ذكر لنا ما قاله قوم نوح ــ مثلا ــ لنوح عليه السلام ، فقد أرادوا أن يعيبوا عليه دعوته وينقصوا من قيمتها ــ فى نظرهم ــ ويحتقروها بقياسهم قيمتها بقيمة أتباعها والمؤمنين بها والمعتنقين لها ، حين قالوا له : « **وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ الرَّأْىِ** » . أما المدركون للحقائق التاريخية والمتتبعون لما جرى من الاحداث فى الزمن الماضى ، فانهم عرفوا أن بعض الضعفاء هم أنصار الحق ــ دائما ــ كما عرفوا صدق رسالة محمد عليه الصلاة والسلام ، بِأَتْبَاعِهِ ، من أمثال « ورقة » بن نوفل ، وهرقل ملك الروم ، والنجاشى ملك الحبشة وغيرهم ، فقد ذكر التاريخ أن « هرقل » اغتنم فرصة وجود ركب تجارى فى الشام من العرب ، فيهم أبو سفيان بن حرب ، جاؤوا للتجارة ، فبعث اليهم واستدعاهم اليه ، وسألهم عن

الرسول الجديد الذى ظهر فيهم ، ذلك حين سأل هرقل كبير قريش أبا سفيان بن حرب عن أتباع محمد صلى الله عليه وسلم ليدرك من خلال هذا حقيقة هذا الرسول ، وهل هو صادق فى دعواه أو هو كاذب ، فأجابه أبو سفيان ــ وهو يدس فى جوابه انتقاصا ــ فى زعمه ــ فى حق الرسول صلى الله عليه وسلم ــ فقال هرقل لابى سفيان : فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟ فقال : بل ضعفاؤهم ، ففهم هرقل الحقيقة من جوابه ، فقال لابى سفيان : هم أتباع الرسل ، فظهرت الحقيقة من فيه من غير أن يشعر ، ذلك لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غالب من اتبعه فى أول بعثته من ضعفاء الناس من الرجال والنساء والعبيد والاماء والفقراء ، ولم يتبعه من الاشراف الا القليل ، مثل أبى بكر رضى الله عنهم أجمعين ، فهذه حقيقة تاريخية قديمة بقدم الزمان والرسالات ، لا تتغير ، وهذا مبنى على أن ذوى العقائد الصحيحة المبنية على الايمان الصحيح تلفيهم لا يترفعون عن الحق حين يعرفون أنه حق ، ويذعنون اليه بدون مكابرة ولا عناد ، لان نفوسهم مستعدة الى تصديقه واتباعه والعمل به ، وبما جاء به والانقياد الى ما يأمرهم به ، وبهم انتصر الحق على الباطل فى كل زمان ومكان ، ويصعب عليهم التحول عما آمنوا به ، وما سبق من مواقف ضعفاء الصحابة شاهد على هذا ، فهم بالرغم من العذاب الشديد ، والاهوال المضنية ، ومحاولات كفار قريش لهم على تركهم عقيدتهم ودينهم ،

كل ذلك لم يزحزحهم عنها ، وبهم انتشر الاسلام وعم نوره الآفاق ، فكل الوسائل التى اتخذها كفار قريش ضدهم رجعوا بها خاسرين ، فلم يغرهم مال ، ولم يصدهم عن دينهم وعقيدتهم تهديد ، ولم تشرئب أعناقهم الى بريق المناصب والوظائف ، ولا الى غرض آخر من الاغراض ، ولا الى أى حظ من حظوظ النفس الرخيصة، بل همهم الوحيد نشر الدين وحماية العقيدة من أعدائها الكثيرين ، رحمهم الله ورضى عنهم ورزقنا القدوة بهم ، لنكون مؤمنين حقا كما يجب علينا أن نكون .

الى هنا أقف عن السير فى خط هذه الفصول التى حررتها لتكون لنا ولاخواننا ـ وبالاخص ـ ولشبابنا ذلك الشباب الناهض الواعى لواجباته الدينية والوطنية مثالا صالحا للسير على نهجه القويم لا لذلك الشباب المذبذب الذى لم يعرف فى سلوكه واجباته فراح يتحول من مبدا الى مبدا ، كالكورة بين أرجل اللاعبين بها ، اقدمها للشباب الصالح لحمل المسؤولية ولتكون له مثالا يصلح للسير على هداه ، فتنبههم الى مواقف ثابتة صلبة ، وقفها سلفهم فى وجه المشركين والظالمين والطغاة فلم يلينوا فيها ولم يهنوا فى مقاومة الشرك ولم يضعفوا ، فأعلنوها كلمة صريحة مدوية : **انهم أتباع الحق وأنصار التوحيد** ، وان كانوا تألموا فى أبشارهم من عذاب المشركين وهمجيتهم ، فانهم لم يتألموا فى ضمائرهم ونفوسهم وقد قال لهم خالقهم : (**إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ، وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ، وَكَانَ**

ٱللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً) . الآية 104 من سورة النساء ، تلك الضمائر والنفوس التى سقاها الخالق العليم من ينبوع الايمان الصافى من كل الاكدار ، فأحياها بعد ما أماتها قحط الشرك والضلال ، فنقلها من عالم الموتى وأصناف الجمادات ، الى عالم الكائنات الحية والمفكرة فى مصيرها المنتظر ، فنزل غيث الايمان عليها فطهرها من أوساخ وأقذار طال بها الامد عليها، وهى تعلو أجسام البشرية، فنسيت بها هذه البشرية المصدر الحقيقى لوجودها وحياتها ودوامها ، وتشبثت بخيوط الاوهام التى هى أو هى من نسيج العنكبوت ، لا تغنيها عن حبل الله المتين شيئا ، فذلك الذى لاح لها من قبل سراب خادع ، وأمل ضائع ، غر الكثيرين ممن لم يعتصموا بحبل الله المتين، اذ لابد للانسان من البحث عن الحقيقة ليتبعها ، تلك الحقيقة التى فيها نجاة الانسان المفكر ، مخافة أن يتعثر فى سلوكه للدروب الجبلية الصحبة وكثيرة التعاريج المملوءة بالاشواك التى تعطل السائر فيها عن بلوغ المرام ، فان تلك الدروب كثيرا ما أضلت سالكيها ، وألقت بهم فى الهاوية وما أدراك ما الهاوية ، فقد أدرك الله بالايمان والهداية اليه نفوسا سبق فى علمه أنها مهيأة للايمان به وبوجوده ، وبأنه المصدر الوحيد لكل موجود ، تجلت فيه عظمة الخالق وقدرته وارادته ، فصدقت به الها واحدا لا شريك له ، فهو رب كل شىء ، سبحانه ما أبدع صنعه ، وما أجل وأعظم قدرته ، وما أوسع علمه ، وحلمه وعفوه ، لم يعجل بعقاب

الجاحدين له ، والمنكرين لربوبيته ، فأرسل رسله لخلقه لينبهوهم الى أنه : لا اله الا هو ، فمن صدق به فلـــه الرضا والجزاء الاوفى ، ومن أنكر وكفر فعليه الغضب والعقاب والبوار ، وسوء المنقلب والمصير ، فكان منقلبه الى نار السعير ، « **وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا** » وأنزل على خاتم رسله وأمره بان يقول لعباده : « **وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ، فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ** » . وقال : « **ذَٰلِكُمُ اللَّـهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ، خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ، فَاعْبُدُوهُ ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ، لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ، قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ ، فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا، وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ** ». سورة الانعام ، الآيات : I02 ــ I03 ــ I04 .

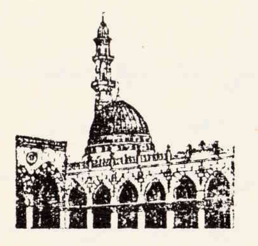
وقال عليه الصلاة والسلام : (**اللَّهُمَّ إِنَّكَ لَسْتَ بِإِلَٰهٍ اسْتَحْدَثْنَاهُ ، وَلَا بِرَبٍّ ابْتَدَعْنَاهُ ، وَلَا كَانَ لَنَا قَبْلَكَ مِنْ إِلَٰهٍ نَلْجَأُ إِلَيْهِ وَنَذَرُكَ ، وَلَا أَعَانَكَ عَلَى خَلْقِنَا أَحَـــدٌ فَنُشْرِكُهُ فِيكَ ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ**) .

ومما ورد فى دعائه عليه الصلاة والسلام قولـه : (**اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ خَلِيلٍ مَاكِرٍ ، عَيْنَاهُ تَرَيَانِى ، وَقَلْبُهُ يَرْعَانِى ، إِنْ رَأَى حَسَنَةً دَفَنَهَا ، وَإِنْ رَأَى سَيِّئَةً أَذَاعَهَا**) .

اللهم عفوك نرجو ورحمتك نبتغى ، فلا تخيب رجاءنا فيك ، ومبتغانا اليك ، اللهم اغفر لنا وارحمنا برحمتك التى وسعت كل شىء ، اللهم ارحم آباءنا ومن سبقنا

بالايمان،وارحم جميع المؤمنين والمؤمنات،وتب على العصاة من هذه الامة،اللهم واهد برحمتك وعفوك الضالين،وصل اللهم وسلم وبارك على روح سيدنا محمد رسولنا وامامنا من أنقذتنا به من نار الجحيم ــ ان شاء الله ــ اللهم واجعل خير أعمالنا خواتيمها ، وخير أيامنا يوم لقائك يا رب العالمين ، وسلام على المرسلين،، ورضاك عـــن أنصارهم الى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .

وكان الفراغ من تحريره ضحوة يوم الاحد ثانى أولى الجماديين ، من عام واحد وأربعمائة وألف من هجرة خير المهاجرين ، وأفضل الخلق أجمعين ، الموافق للثامن من شهر مارس ــ أذار ــ سنة احدى وثمانين وتسعمائة وألف ميلادية ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



مواضيـــع كتـــاب
(فى سبيل العقيدة الاسلامية)

صدر للمؤلف

- كتاب «المزدكية»

- كتاب «سهام الاسلام»

